الاشراف العام
أ.د.عادل نذير بيري

الإعداد والتحرير
م.م.ياسين خضير الجنابي
حسن علي المرسومي

المراجعة العلمية و التدقيق اللغوي
أ.د داود سلمان الزبيدي
أ.د. شعلان عبد علي سلطان
أ.د.ليث قابل الوائلي
م.د.أحمد الغانمي
السيد هادي الحلو

الترجمة
د. مجتبى الحلو

التصميم
كرار عامر الصافي
علي عبد الحليم

Proceedings of the Second conference of the House (Dar al -Rasul al-A›tham of the Great Prophet (PBUH)) Researchs and activities-5-

General Supervision
Prof Dr. `Adil Natheer AL.Hassani

Editing
asst. Lect. Yassin Khudhair Al - Janabi
Hassan Ali El Marsoumi

Proofreading
Prof. Dr. Dawood Salman Al-Zubaidi
Prof. Dr. Shaalan Abdul Ali Sultan
Prof. Dr. Laith Qabil Waeli
Lect. Dr. Ahmed al ghanemi
Mr. Hadi Al-helo

Translation
Dr. Mojtaba Al-Helo

design
Karar Aamir Al-Safy
Ali abdulhaleem

الترقيم الدولي المعياري
ISPN: 978-9922-680-46-0

العتبة العباسية المقدسة. دار الرسول الاعظم ﷺ، مؤلف.
وقائع مؤتمر دار الرسول الاعظم ﷺ الدولي الثاني : بحوث وفعاليات. الجزء الخامس = Proceedings of the Second conferenceof the House (Dar al –Rasul al-Atham of the Great Prophet(pbuh) : Researchs and activities-5-.-الطبعة الاولى.- كربلاء [العراق] : العتبة العباسية المقدسة، دار الرسول الاعظم ﷺ، ١٤٤٤ هـ. = ٢٠٢٣.
مجلد ؛ ٢٤ سم
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغتين العربية والانجليزية ويتضمن مستخلصات باللغة العربية والانجليزية.
١. محمد (ﷺ)، نبي الاسلام، 53 قبل الهجرة-١١ هجري. ٢. السيرة النبوية (شيعة). أ. العنوان.
LCC : BP75.2 .A839б 2023
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد (٢٧٨٤) لسنة ٢٠٢٣

المحتويات

المحور الثالث

• الشورى والرأي العام في السيرة النبوية الشريفة - مقاربة تأسيسية-	أ.د. محمد خليفة صادق	٩
• إضـــاءات علـــى غزوات النبـــــي محمد ﷺ الأسباب و النتائج	أ.د. عهود حسين جبر موزان الحميداوي	٢٩
• السيرة النبوية الشريفة في الاستشراق البريطاني المعاصر -(كارين أرمسترونج) أنموذجًا-	أ.د. مصعب حمادي نجم الزيدي أ.م.د. فائز علي بخيت الحديدي	٥٣
• الصراع العسكري حتى معركة بدر التأصيل القرآني والعرض التأريخي -مقاربات نقدية-	أ.م.د. شهيد كريم محمد الكعبي	١٠٩
• البواعث النفسية والعبقرية العقلية في شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام	أ.م.د. حسـن محمـد أحمـد محمـد	١٤٧
• الخطط العسكرية النبوية الشريفة بين الواقع والمروي -منع المياه أنموذجًا–	م.د. نزار ناجي محمد	١٧٩
• الموارد المالية لرسول الله ﷺ من اموال الخمس والانفال في ضوء القران الكريم	م. أزر عبد الكاظم إسماعيل	١٩٩

المحور الثالث

وَقَائِعُ مُؤْتَمَرِ دَارِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ الدَّوْلِيِّ الثَّانِي

الشورى والرأي العام في السيرة النبوية الشريفة
- مقاربة تأسيسية-

أ.د. محمد خليفة صديق

Shura and public opinion In the biography of the Noble Prophet
- foundational approach –

Prof. Dr. Mohamed Khalifa Seddik

Abstract :

Shura is an authentic Islamic concept, and it is mentioned in two places in the Holy Qur'an, namely, the Almighty's saying: "And their matter is consultation among themselves" (1) and the Almighty's saying: "And consult them in the matter" (2). In essence, the Shura focuses on the right to share the opinion and the implementation of comprehensive dialogue to extract the right opinion. Shura in the Islamic system extends to be a general practice to participate in decision-making, to monitor its implementation, and to hold accountable for its performance.

As for public opinion, it is a modern term that refers to the opinion of the group or the vast majority of people, and it has different definitions and types that overlap, and it is formed according to different foundations based on participation in opinion and the implementation of dialogue. Which is in essence an abstraction of the adult opinion that has gained the approval of the whole.

When examining the concepts of shura and public opinion, we find that shura is superior to public opinion in many respects because it gives every individual in society the right to participate in opinion, while public opinion in its measurements is satisfied with a sample that represents society, and public opinion shares with shura in that it is a general practice that shares in influence. In decision-making in the state and society, and this is known scenes where research centers and public opinion studies conduct periodic surveys of public opinion to identify the trends of public opinion towards specific issues in order to help the decision-maker to see what is going on in society and then take the decision in the light of what he has Data on public opinion.

Public opinion agrees with shura in that it is preceded by intense debate and dialogue on the issue of public opinion. Gen-

eral, which is sometimes formed based on false advertising or a misleading position.

We seek through this research to find and discuss the places where the Prophet, peace and blessings of God be upon him and his family, consulted his companions, which were mentioned in many places of the narratives of the Prophet's biography, such as what was mentioned in the Battle of Badr, meeting the enemy and fighting it, choosing the landing site, dealing with the prisoners of Badr, the Battle of Uhud and the exit from Al-Madina to meet the polytheists, and other places, where the research will elicit the consultative benefits through these narratives, and the extent to which they can be applied in the contemporary life of Muslims.

The research will also trace the places where the Prophet, may God's prayers and peace be upon him and his family, dealt with public opinion, starting with the alliance of al-Fudul before the Prophet's mission, and Al-Madina newspaper, and the sites of the previous prophetic consultation, as they are places of the Prophet's respect for public opinion, in addition to other places such as the non-destruction of the Prophet, may God bless him and grant him peace. On him and his family, the Kaaba and its construction on the foundations of Abraham, peace be upon him, for fear of confusion in public opinion, and others.

The research will also discuss the overlap and rapprochement between Shura and public opinion through the narratives of the Prophet's biography, the characteristics of each of them, where they meet, and where they separate, in preparation for the formulation of a coherent theory about the Prophet's interaction with public opinion and the consultation of the Prophet, may God bless him and his family and his companions.

الملخص:

الشورى مفهوم إسلامي أصيل، ورد في موضعين في القرآن الكريم هما قوله تعالى: ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾[١] وقوله تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[٢]، والشورى في جوهرها تركز على حق المشاركة بالرأي وإعمال الحوار الجامع لاستخلاص الرأي الراشد، والشورى في النظام الإسلامي تمتد لتكون ممارسة عامة للمشاركة في اتخاذ القرار وللرقابة على تنفيذه وللمحاسبة على أدائه.

أما الرأي العام فهو مصطلح حديث يشير إلى رأي المجموع أو السواد الأعظم من الناس، وله تعريفات وأنواع مختلفة متداخلة، ويتكون على وفق أسس مختلفة تقوم على المشاركة بالرأي وإعمال الحوار، فلا يمكن أن يتكون رأي عام بلا مشاركة بالرأي والنقاش والحوار وصولا إلى تبلور الرأي العام الذي هو في جوهره استخلاص للرأي الراشد الذي اكتسب موافقة المجموع.

عند التدقيق في مفهومي الشورى والرأي العام نجد أن الشورى تتفوق على الرأي العام في العديد من النواحي لأنها تُعطي لكل فرد في المجتمع حق المشاركة بالرأي، بينما الرأي العام في قياساته يكتفي بعينة تمثل المجتمع، والرأي العام يشترك مع الشورى في كونه ممارسة عامة تشترك في التأثير في اتخاذ القرار في الدولة والمجتمع، وهذا معلوم مشاهد حيث تقوم مراكز البحوث ودراسات الرأي العام بإجراء استطلاعات دورية للرأي العام للتعرف على اتجاهات الرأي العام تجاه قضايا محددة حتى تعين صانع القرار على الاطلاع على ما يدور في المجتمع ومن ثم يتخذ القرار على ضوء ما عنده من معطيات حول الرأي العام.

يتفق الرأي العام مع الشورى في أنه يسبقه جدل وحوار كثيف حول المسألة موضع الرأي العام، والشورى هي معرض عام للرأي وإدارة للمناظرة العامة في المجتمع تنويرا له وتعويدًا على الأناة والتروي والتماس

الرأي الحسن عند الآخرين، والشورى في موضع الأناة والتروي والتماس الرأي الحسن تتفوق على الرأي العام الذي يتشكل أحيانا بناء على دعاية كاذبة أو موقف مضلل.

نسعى في ضوء هذا البحث إلى تلمس مواضع مشاورة النبي ﷺ لأصحابه ومناقشتها، والتي وردت في مواضع متعددة من مرويات السيرة النبوية مثل ما ورد في غزوة بدر وملاقاة العدو ومقاتلته، واختيار موقع النزول، والتعامل مع أسرى بدر، وغزوة أحد والخروج من المدينة لملاقاة المشركين، وغيرها من المواضع، حيث سيستنبط البحث الفوائد الشورية عن طريق هذه المرويات، ومدى إمكانية تطبيقها في حياة المسلمين المعاصرة.

كما سيتتبع البحث مواضع تعامل النبي ﷺ مع الرأي العام بدءا من حلف الفضول قبل البعثة النبوية، وصحيفة المدينة، ومواضع المشاورة النبوية السابقة لأنها تعد مواضع لاحترام النبي ﷺ للرأي العام، بجانب مواضع أخرى مثل عدم هدم النبي ﷺ للكعبة وبنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام خوفا من بلبلة الرأي العام، وغيرها.

كما سيناقش البحث التداخل والتقارب بين الشورى والرأي العام عن طريق مرويات السيرة النبوية الشريفة، ومميزات كل منها، وأين يلتقيان، وأين يفترقان، تمهيدا لصياغة نظرية متماسكة حول التعامل النبوي مع الرأي العام وشورى النبي ﷺ لأصحابه.

المقدمة:

تمثل السيرة النبوية، بوقائعها المختلفة، نبراسًا لاستلهام أسباب الهدى والاستنارة بميراث النبوة، وكذا مقتضيات هذا الميراث، في حياة كل مسلم ومسلمة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾[٣]. وقد حظيت السيرة النبوية عبر مختلف حقب الزمن الإسلامي بعناية كبيرة، من لدن علماء الأمة، لما حفلت به من هدي نبوي في الأقوال، والأفعال، والتقريرات، فظهرت بحوث معمقة وموسوعات علمية رصدت هديه ﷺ ونقبت في تراثه الثر، وفي كل تصرفاته، على اختلاف المقامات والسياقات والرؤى.

نسعى في هذا البحث أن نقف على مصطلحين مهمين هما الشورى والرأي العام، ومدى حضورهما في السيرة النبوية، وكيف تعامل معهما النبي ﷺ؛ فالشورى مفهوم إسلامي أصيل، ورد في موضعين في القرآن الكريم هما قوله تعالى: ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[٥]، والشورى في جوهرها تركز على حق المشاركة بالرأي وإعمال الحوار الجامع لاستخلاص الرأي الراشد، والشورى في النظام الإسلامي تمتد لتكون ممارسة عامة للمشاركة في اتخاذ القرار وللرقابة على تنفيذه وللمحاسبة على أدائه، حيث سيتلمس البحث ويناقش مواضع مشاورة النبي ﷺ لأصحابه، والتي وردت في الكثير من مرويات السيرة النبوية مثل ما ورد في غزوة بدر وملاقاة العدو ومقاتلته، واختيار موقع النزول، والتعامل مع أسرى بدر، وغزوة أحد والخروج من المدينة لملاقاة المشركين، وغيرها من المواضع، حيث سيستنبط البحث الفوائد الشورية عن طريق هذه المرويات، ومدى إمكانية تطبيقها في حياة المسلمين المعاصرة.

أما الرأي العام فهو مصطلح حديث يشير إلى رأي المجموع أو السواد

الأعظم من الناس" [٦]، وله تعريفات وأنواع مختلفة متداخلة، ويتكون على وفق أسس مختلفة تقوم على المشاركة بالرأي وإعمال الحوار، فلا يمكن أن يتكون رأي عام بلا مشاركة بالرأي والنقاش والحوار وصولا إلى تبلور الرأي العام الذي هو في جوهره استخلاص للرأي الراشد الذي اكتسب موافقة المجموع، وهنا سيتتبع البحث مواضع تعامل النبي ﷺ مع الرأي العام بدءا من حلف الفضول قبل البعثة النبوية، وصحيفة المدينة، ومواضع المشاورة النبوية السابقة لأنها تعد مواضع لاحترام النبي ﷺ للرأي العام، بجانب مواضع أخرى مثل عدم هدم النبي ﷺ للكعبة المشرفة وبنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام خوفا من بلبلة الرأي العام، وغيرها.

كما يناقش البحث التداخل والتقارب بين الشورى والرأي العام عن طريق مرويات السيرة النبوية، ومميزات كل منها، وأين يلتقيان، وأين يفترقان، تمهيدا لصياغة وبلورة رؤية متماسكة حول التعامل النبوي مع الرأي العام وشورى النبي ﷺ لأصحابه.

الرأي العام في السيرة النبوية:

عند إنعام النظر في السيرة النبوية وهي حياة النبي ﷺ العملية، وهي من العلوم الإسلامية التي نلتقط منها بعض التشريعات مثل السنة القولية أو الفعلية أو التقريرية، نجد أن هناك مواقف ووقائع وردت في السيرة النبوية تقترب من مفهوم الرأي العام، فالسيرة تزخر برعاية المآلات والنظر إليها لدى التصرفات، بحيث تأخذ الأفعال أحكامًا تتفق مع ما تؤول إليه، فإذا كان الفعل يؤدي إلى أمر مرغوب فهو مطلوب، وإن كان يؤدي إلى شر أو محظور فهو منهي عنه، وهذا عين العناية بالرأي العام إذ لابد من رعاية المآلات قبل الدخول في أي قضية ذات صلة بالرأي العام، وقد رأيناه ﷺ يكفن رأس المنافقين في قميصه ويصلى عليه، لما يرجو من المآلات المحمودة

باستمالة أهله وأتباعه، والمستظلين بلواء زعامته، ومن قبل كفّ النبي ﷺ عن قتله وأمثاله من رؤوس النفاق، لئلا يؤول الأمر إلى الصد عن سبيل الله إذا قال من لا يدري: إن محمدًا يقتل أصحابه.

وقد حضر النبي ﷺ في شبابه، وقبيل بعثته حلف الفضول، وأقره وأشاد به، وقال عنه في الحديث الصحيح الذي رواه الحميدي: "شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وألا يعز ظالم مظلومًا". وروى ابن إسحاق أن الرسول ﷺ قال: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت"(٧).

بالنظر إلى انتشار الظلم وشيوعه في واقعنا المعاصر، سواء أكان على مستوى الأفراد أم المجتمعات أم الدول، نجد أن الإسلام بارك وسائل محاربة الظلم التي لا تتعارض مع تعاليمه، مما يعد أسلوبًا راقيًا وفعالًا ورائدًا في مجال مواجهة الظلم سياسيًا واجتماعيًا، ويتمثل ذلك في حلف الفضول الذي عقد في زمن الجاهلية قبل الإسلام نصرة للمظلوم وردعًا للظالم، وردًا للمظالم إلى أهلها، وتداعت إليه قبائل من قريش: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي؛ لسنِّه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وهذا الحلف روحه تنافي الحمية الجاهلية التي كانت العصبية تثيرها، ويقال في سبب هذا الحلف(٨): إن رجلاً من زَبِيْد قدم مكة ببضاعة، واشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الأحلاف عبد الدار ومخزومًا، وجُمَحًا وسَهْمًا وعَدِيّا فلم يكترثوا له، فعلا جبل أبي قُبَيْس، ونادى بأشعار يصف فيها ظلامته رافعًا

صوته، فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مترك؟ حتى اجتمع الذين مضى ذكرهم في حلف الفضول، فعقدوا الحلف ثم قاموا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حق الزبيدي.

هذا الحلف الذي عرف في السيرة النبوية باسم حلف الفضول أو حلف المطيبين، وُصِف بأنه أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، ويشير إلى أن الرأي العام للمجموعة المتحالفة اشترك في مناصرة عدة مبادئ سمحة، وشاهدنا أن النبي ﷺ أثنى على هذا التحالف وأكد استعداده للمشاركة فيه إذا دُعي به في الإسلام، وهذا يدل على مناصرته ﷺ لأي رأي عام إيجابي يجمع الناس، ولا يتناقض مع مبادئ الإسلام ولو كان في زمان الجاهلية، وهذا الشاهد من السيرة النبوية يؤسس لمشروعية التحالف بين الناس على منع الظلم، وردع المظلوم، والوقوف في وجهه، ورد المظالم لأهلها، سواء أكانت هذه المظالم فردية أم جماعية، وسواء أكان الظالم فردًا أم دولة أم أحلافًا دولية.

بل إن من الصحابة من استحضره، لردع الظالم، والوقوف في وجهه، فقد نقل الألباني، عن ابن إسحاق ما رواه عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، قوله: "إنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - والوليد يومئذ أمير المدينة أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان - منازعة في مال كان بينهما بـ (ذي المروة) فكأن الوليد تحامل على الحسين في حقه، لسلطانه، فقال له الحسين: أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ ثم لأدعون بحلف الفضول. قال: فقال عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعًا. قال: وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي".

يلاحظ أن منهج النبي ﷺ خالف الرأي العام الجاهلي، وقد ألهمه الله تعالى حتى في الجاهلية أن يسير مع الحق ولو خالف عشيرته وأهله، فقد خالف جاهلية قريش في أبرز خصائصها كمناسك الحج حيث كان أهل مكة يسمون الحُمس، ويقفون في المزدلفة، ولا يخرجون من الحرم زاعمين أن أهل الحرم لا ينبغي لهم أن يعظم من الحل كما يعظم من الحرم.

وأما رسول الله ﷺ فقد وقف بعرفة في حج الجاهلية مع مجموع الناس وخالف طريقة قومه، كما روى ذلك البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم حين أضل بعيرًا له فذهب يطلبه في عرفة فرأى النبي ﷺ واقفًا فيها مع الناس فقال: "هذا والله من الحمس فما شأنه ها هنا؟"[٩].

ثم جاء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٩٩)، مؤيدًا لرؤية النبي ﷺ بالوقوف بعرفة والإفاضة من مزدلفة، في منحى يؤكد احترام الإسلام للرأي العام إذ لم يساند الحمس في مذهبهم، بل طالبهم بالانحياز إلى المجموع.

عندما استقر النبي ﷺ بالمدينة أراد أن ينظم العلاقات بين أهل المدينة، فكتب كتابًا بهذا الشأن، عرف باسم صحيفة المدينة، وقد تضمنت أحكامًا متعلقة بالمسلمين منها أن (المؤمنين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس)[١٠]، ونفيد من هذا الجزء من صحيفة المدينة أن كل من اقتنع بمبادئ الإسلام وعقيدته يدخل في مسمى أمة الإسلام في المدينة والتي تمثل الرأي العام في المدينة، لا يخالفها في ذلك إلا اليهود ببطونهم الثلاثة.

وكذلك كان من هديه ﷺ مراعاة الشعور العام والمسارعة إلى توجيه من حكم الرأي العام أنه أخطأ أو تجاوز في حق المجموع، فعن ابن مسعود الأنصاري، قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول

الله: إني والله لأتأخر عن صلاة الغداة، من أجل فلان مما يطيل بنا فيها، قال: فما رأيت النبي ﷺ قط أشد غضبًا في موعظة منه يومئذ، ثم قال: "أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليوجز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة"[١١].

وتميز منهج النبي ﷺ بصناعة قادة مميزين للرأي العام يحققون الاجتماع، وهذا يشير إلى عمق الفهم النبوي بأهمية القائد في توجيه الرأي العام، وكان يستعمل لذلك عدة أساليب، ويحرص على تعميق الولاء للقائد بالثناء عليه حتى قبل أن يختاره، ويستعمل أسلوب التشويق للتعريف بالقائد الجديد، كما في حديث سهل بن سعد: "قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيٌّ؟ فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"[١٢].

الشورى في السيرة النبوية:

يُعرّف البروفسور أحمد علي الإمام الشورى بأنها في جوهرها تعني: ممارسة للحوار الجامع بهدف استخلاص الرأي الراجح أو الجامع في أي شأن بأي تجمع يتبادل فيه الناس الرأي ويمارسون حق النصيحة، فالوصول إلى رأي الأكثرية ليس غاية في حد ذاته بقدر ما أن الحوار الفكري والسياسي هو المقصود لذاته وصولًا لإجماع الرأي[١٣].

فالشورى في جوهرها تركز على حق المشاركة بالرأي وإعمال الحوار الجامع لاستخلاص الرأي الراشد[١٤]. والمشاركة بالرأي وإعمال الحوار

من أسس تكوين الرأي العام فلا يمكن أن يتكون رأي عام بلا مشاركة بالرأي والنقاش والحوار وصولا إلى تبلور الرأي العام الذي هو في جوهره استخلاص للرأي الراشد الذي اكتسب موافقة المجموع.

والشورى يمكن أن تتسع لتعبر عن استخلاص الرأي الجامع عن طريق الحوار الجامع[١٥]، والرأي الجامع هنا هو الرأي العام نفسه لأنه تكوّن بعد سلسلة من الحوارات والنقاشات الجامعة في مدة زمنية معينة حتى نضج هذا الرأي بالشّورى وكانت خلاصته رأيا عامّا يتبناه الجميع.

وإقامة الشورى من مقتضيات العدل، بأن يكون لكل فرد في المجتمع حق المشاركة بالرأي في شؤون مجتمعه وفي إدارة دولته [١٦]. والشورى في النظام الإسلامي تمتد لتكون ممارسة عامة للمشاركة في اتخاذ القرار وللرقابة على تنفيذه وللمحاسبة على أدائه[١٧].

من أبرز مواضع الشورى في السيرة النبوية ما كان في غزوة بدر الكبرى بعد أن علم النبي ﷺ أن القتال واقع لا محالة، استشار أصحابه فأيد قادة المهاجرين ملاقاة العدو، ولكن النبي ﷺ بعد سماعه لقادة المهاجرين قال: "أشيروا عليّ أيها الناس"، وكان بذلك يريد أن يسمع رأي قادة الأنصار لأنهم غالبية جنده، فقام سعد بن معاذ حامل لواء الأنصار فقال: (فقد آمنا بك، فصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنّا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله)[١٨].

نفيد من هذه الحادثة أن النبي ﷺ احترامًا للرأي العام الأنصاري لم يتقدم بالجيش للقتال دون أن يشاور الأنصار ليعرف اتجاهات الرأي العام لديهم

باعتبارهم غالبية جنده آنذاك، ولما عرف من صاحب لوائهم الذي يمثل أحد قادة الشورى والرأي العام أنهم جاهزون للقتال تقدم بهم وكان النصر حليفهم.

أما في غزوة أحد فقد شاور النبي ﷺ الصحابة بين أن يبقوا في المدينة أو أن يخرجوا لملاقاة العدو خارجها، وكان عليه الصلاة والسلام قد رأى رؤية أنه في درع حصينة فأوّلها بالمدينة، وكان يرى عدم الخروج، ولكن بعد التشاور استقر الرأي العام لدى الصحابة على الخروج إظهارًا للشجاعة أمام الأعداء ورغبة في المشاركة في الجهاد لمن فاتهم فضل المشاركة في بدر، وقد قال جماعة من الصحابة: "يا نبي الله إنا نكره أن نقتل في طرق المدينة، وقد كنا نمتنع من الغزو في الجاهلية، فالإسلام أحق أن نمتنع عنه، فابرز إلى القوم"، فانطلق رسول الله ﷺ فلبس لامته وهو الدرع الحصينة وسائر عدة الحرب، وأمر الناس بالخروج.

نفيد من هذه الحادثة أن النبي ﷺ وافق ما خرجت به شوراه مع جنوده بالخروج لملاقاة العدو، على الرغم من أنه كان يرى التحصن بالمدينة، وهذا مما يؤكد احترامه ﷺ لنتائج الشورى وعدم مخالفتها، حتى لو كانت مخالفة لرغبة القائد[١٩].

الشورى والرأي العام .. أي علاقة؟

الشورى لها سمات متعددة قد تلتقي مع المفهوم العام للرأي العام، وقد تتفوق عليه من ناحية المثالية والتميز، ويمكن إجمال هذه المميزات في الآتي:[٢٠]

١- الشورى مفهوم أصيل لحرية الرأي والحوار الفكري والمشاركة الشعبية.

٢- الشورى دعامة للحكم الصالح؛ لأنها تجنب نظام الحكم الاستبداد بالرأي والاحتكار لصنع القرار.

٣- الشورى تعطي كل مواطن حقه في المشاركة بالرأي في إدارة الشؤون العامة.

٤- الشورى توسيع لدائرة الحوار وتبادل الرأي وصولا للرأي الجامع.

٥- الشورى تورث العاملين في الحياة السياسية فضيلة الالتزام بالرأي الجامع أو الراجح مهما كان مخالفا لمنظور جماعة أو رؤية أفراد.

٦- نظام الشورى يتيح حوارًا متسعًا يشارك فيه أهل الحكمة والخبرة، حتى يتبلور رأي عام إجماعي أو شبه إجماعي.

تلتقي الشورى مع الرأي العام في أنها طلب الرأي الذي يرشد إلى القيام بعمل من الأعمال كانتخاب رئيس أو والٍ أو إقرار مشروع يرجح برأي الأكثرية[٢١]، وهو ما يحدث في الرأي العام، إذ إن متخذ القرار يميل إلى الأخذ بالرأي الذي رجحت أغلبيته في استطلاعات الرأي العام. والدرس المستفاد من العمل برأي الأكثرية أن تتحمل هذه الأكثرية من المواطنين نتائج العمل المعين واتخاذ القرار في الاتجاه الذي رجحه رأي الأغلبية، كما أن الأغلبية مهمة في حسم التردد بعد اتخاذ القرار[٢٢].

لكن الشورى تتفوق على الرأي العام لأنها تُعطي لكل فرد في المجتمع حق المشاركة بالرأي، والرأي العام في قياساته يكتفي بعينة تمثل المجتمع، والرأي العام يشترك مع الشورى في كونه ممارسة عامة تشترك في التأثير في اتخاذ القرار في الدولة والمجتمع، وهذا معلوم مشاهد حيث تقوم مراكز البحوث ودراسات الرأي العام بإجراء استطلاعات دورية للرأي العام للتعرف على اتجاهات الرأي العام تجاه قضايا محددة حتى تعين صانع القرار على الاطلاع على ما يدور في المجتمع ومن ثم يتخذ القرار على ضوء ما عنده من معطيات حول الرأي العام.

يتفق الرأي العام مع الشورى في أنه يسبقه جدل وحوار كثيف حول المسألة موضع الرأي العام، والشورى هي معرض عام للرأي وإدارة للمناظرة العامة في المجتمع تنويرا له وتعويدًا على الأناة والتروي والتماس الرأي الحسن عند الآخرين[٢٣]، والشورى في موضع الأناة والتروي ولتماس الرأي الحسن تتفوق

على الرأي العام الذي يتشكل أحيانا بناء على دعاية كاذبة أو موقف مضلل.

كذلك تتفوق الشورى على استطلاعات الرأي العام التي تشترط عمرًا معينًا وفئات اجتماعية محددة؛ لأن الشورى في المسائل العامة لا تقتصر على الذكورة أو الأنوثة أو الخبرة أو التخصص أو السن بل كل فئات المجتمع الإسلامي يمكن أن يستشاروا حتى الأطفال والصبيان(٢٤).

والشورى تتفوق على الرأي العام الذي يريد الوصول إلى أيّ رأي تميل إليه الأغلبية؛ لأن الشورى تعوّل أكثر على الوصول إلى هذا الرأي أو ذاك عن طريق الحوار والمجادلة بالحسنى(٢٥).

والرأي العام ليس ملزمًا في أي من استطلاعاته أو بحوثه لمتخذ القرار بينما الشورى الجماعية ملزمة لطالبها، في حين إن شورى أهل الاختصاص غير ملزمة وكذلك الفتوى الفقهية والاستشارية التي تقدم لمن يطلبها كما بين ذلك أهل العلم(٢٦).

الخاتمة:

السيرة النبوية الشريفة هي طريق الاتباع، ومنهج الاقتداء بالمصطفى ﷺ، وهي تجمع علومًا تتعلق بفهم كتاب الله، بمعرفة أسباب نزوله وملابسات حوادثه، وتكشف عن روحه ومقاصده، كما تجمع علومًا لطالب الكمال والجمال في الدين والدنيا، في العلم مع العمل، والأدب مع الخلق، والسياسة مع الكياسة، والبطولة مع الشهادة، والتربية مع التزكية، فهي بالجملة منهج الحياة والنجاة، ومنهج التربية والدعوة، ومنهج الجهاد والسلم، ومنهج السياسة والحكم.

والسيرة النبوية الشريفة ستظل هي دوحة الحضارة الإسلامية الراقية في أبهى العصور وأزهاها، حيث يتجلى أثر الإسلام في حياة البشرية حين هدم جاهليتها وبنى حضارتها، وغيّر من أفكارها وعقائدها ونُظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأقام بنيان الحضارة الإسلامية على التوحيد والحق، وشيد دعائمها على العدل والقسط، ورعى حقوق الإنسان على أكمل ما يتاح لبشرٍ أن يصل إليه. فالسيرة تزخر بتطبيقات حية وأمثلة واقعية لقضايا تتعلق برعاية مقاصد الدين العليا، وحكمه التشريعية، وغاياته الكلية، فينبغي على كل من يدرس السيرة النبوية دراسة معاصرة أن يقرأها قراءة أصولية استنباطية تثري العلوم النظرية بتطبيقها على القضايا والمسائل الواقعية، وهو ما نرجو أن نكون قد وفقنا إلى شيء منه في هذا البحث.

تبين عن طريق البحث وعند التدقيق في مفهومي الشورى والرأي العام أثناء ورودهما في السيرة النبوية نجد أن الشورى تتفوق على الرأي العام في الكثير من النواحي؛ لأنها تُعطي لكل فرد في المجتمع حق المشاركة بالرأي، بينما الرأي العام في قياساته يكتفي بعينة تمثل المجتمع، والرأي العام يشترك مع الشورى في كونه ممارسة عامة تشترك في التأثير في اتخاذ القرار في الدولة والمجتمع، وهذا معلوم مشاهد حيث تقوم مراكز

البحوث ودراسات الرأي العام بإجراء استطلاعات دورية للرأي العام للتعرف على اتجاهات الرأي العام تجاه قضايا محددة حتى تعين صانع القرار على الاطلاع على ما يدور في المجتمع ومن ثم يتخذ القرار على ضوء ما عنده من معطيات حول طبيعة الرأي العام الذي تكون.

توصل البحث إلى عدد من مواضع التوافق بين الرأي العام والشورى، حيث يتفق الرأي العام مع الشورى في أنه يسبقه جدل وحوار كثيف حول المسألة موضع الرأي العام، والشورى هي معرض عام للرأي وإدارة للمناظرة العامة في المجتمع تنويرا له وتعويدًا على الأناة والتروي ولتماس الرأي الحسن عند الآخرين.

خلص البحث كذلك إلى أن الشورى في موضع الأناة والتروي والتماس الرأي الحسن تتفوق على الرأي العام الذي يتشكل أحيانا بناء على دعاية كاذبة أو موقف مضلل، أو خبر مفبرك، مما يؤكد أن الشورى بوصفها مفهوما ربانيا لا يعلى عليه عند مقارنته مع مفاهيم مشابهة.

هوامش البحث :

١- سورة الشورى الآية ٣٨.

٢- سورة آل عمران الآية ١٥٩.

٣- سورة الأحزاب الآية ٢١.

٤- سورة الشورى الآية ٣٨.

٥- سورة آل عمران الآية ١٥٩.

٦- محمد خليفة صديق، هدى النبي ﷺ في تكوين الرأي العام في السيرة النبوية وأثر ذلك في تكوين الشخصية الإسلامية المعاصرة، ورقة قدمت في مؤتمر السيرة النبوية ودورها في بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة، الذي نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، في المدة من ٢ إلى ٣ ابريل ٢٠١١م، ص ١١.

٧- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، الرياض: أولي النهى للإنتاج الإعلامي، ١٤٢٢هـ، ص ٥٨.

٨- المرجع السابق، ص ٥٨.

٩- البخاري، صحيح البخاري (ح١٦٦٤)، مسلم، صحيح مسلم (ح١٢٢٠). انظر إلى كتاب مسائل الجاهلية التي خالفهم فيها رسول الله ﷺ.

١٠- المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص ١٩٢.

١١- البخاري، مرجع سابق، كتاب الأحكام، باب: هل يقضي الحاكم أو يفتي وهو غضبان، ح (٦٧٤٠)، ج٦/ ٢٦١٧. ومسلم: مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة، ح (٤٦٦).

١٢- البخاري، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ح (٢٨٤٧).

١٣- أحمد علي الإمام، الشورى .. مراجعات في الفقه والسياسة والثقافة، (أم درمان، دار جامعة القرآن الكريم للطباعة، بدون تاريخ)، ص ٤.

١٤- المرجع السابق، ص٢.

١٥- المرجع السابق، ص ١٣.

١٦- أحمد علي الإمام، الشورى مراجعات في الفقه والسياسة والثقافة، مرجع سابق، ص ٤.

١٧- المرجع السابق، ص ٥.

١٨- المرجع السابق، ص: ٢١٣-٢١٤.

١٩- محمد خليفة صديق، دور الرأي العام في الحفاظ على الجماعة .. دراسة تطبيقية

على مواقف من السيرة النبوية، ورقة قدمت في مؤتمر تحقيق الاجتماعِ وترك التحزُّبِ والافتراقِ واجبٌ شرعيٌّ ومطلبٌ وطنيٌّ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في المدة من ٢٧-٢٨ يناير٢٠١٦م، ص ١٣.

٢٠- أحمد علي الإمام، الشورى مراجعات في الفقه والسياسة والثقافة، ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ١٧١، ١٧٦.

٢١- كتاب التأصيل، مرجع سابق، ص٧٦.

٢٢- أحمد علي الإمام، الشورى مراجعات في الفقه والسياسة والثقافة، مرجع سابق، ص ١٢٣.

٢٣- المرجع السابق، ص ١٢٧.

٢٤- المرجع السابق، ص ١١٩.

٢٥- كتاب التأصيل، مرجع سابق، ص ٨١.

٢٦- المرجع السابق، ص ٨٠.

إضاءات على غزوات النبي محمد ﷺ
الأسباب والنتائج

أ. د. عهود حسين جبر موزان الحميداوي

Illuminations on the conquests of the Prophet Muhammad (may God bless him and his family) causes and results

Prof. Dr. Ohoud Hussein Jabr Mozan Al Hamidawi

Abstract :

The Prophet Muhammad (may God's prayers and peace be upon him and his family) founded the first Islamic state that laid its foundations after the first year of migration, starting with breaking idols and building the Noble Prophet's Mosque as well as fraternity between the Muhajireen and the Ansar. The young Islamic state faced a fierce confrontation on the part of the Quraysh who decided to end the Islamic existence After the war, war was waged against the Muslims, so it was necessary for the Prophet (peace and blessings of God be upon him and his family) and the Muslims to take a stand for defense. Jihad in the way of God was for self-defense, in addition to enabling the Islamic faith to spread without obstacles - Muslims believe that it is their duty to spread Islam and introduce it to various parts of the world. The right religion is by their free will (and fight them until there is no persecution and the religion is for God, but if they desist, then there is no enmity except against the wrongdoers) (Al-Baqarah: 193).

Many verses were revealed in the first year of the Hijrah to delineate the Prophet (peace and blessings of God be upon him and his family) and his companions with eternal rulings that expose the plans of the polytheists and hypocrites.

The Quraysh targeted the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace) and his state from outside the city, and the Jews targeted him from within the city, so the Prophet (peace and blessings of God be upon him and his family) was alert to these movements, observing them. There were eight battles throughout the second year, including the Great Battle of Badr. The second year was marked by more military victories on the one hand and the descent of political and social legislation on the other.

The military attempts of Quraysh against Islam and Muslims

from outside Medina continued, and the tribes of the Jews broke their covenants with the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace) several times during successive years. The five battles were Uhud, Banu al-Nadir, al-Ahzab, Banu Qurayza and Banu al-Mustaliq, and God Almighty responded to the plots of the parties and the Jews. Together in the fifth year, after the Muslims had performed well, and God paved the way for the clear conquest after the infidels despaired of eliminating the power of the Muslims, and after that the Messenger set out to ally with the surrounding tribes and attract them to make them one force against the forces of polytheism. This was a prelude to the conquest of Mecca in the eighth year. The emigration and the Prophet (peace and blessings of God be upon him and his family) was able to liquidate the foundations of polytheism after subjugating the titans of Quraish to his blessed state and policy.

After this introduction, I would like to show the plan that I followed in the research, showing in the first section the battles of the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace), and the different opinions regarding their number and the battles in which he participated. As for the second topic, it dealt with the reasons for each invasion and the plans that the Messenger (may God bless him and his family and grant them peace), put in place for these raids, and the third topic may obtain the results of these invasions.

الملخص:

أسس النبي محمد ﷺ أول دولة إسلامية أرسى قواعدها بعد السنة الأولى للهجرة، بدءا بكسر الأصنام وبناء المسجد النبوي الشريف إلى جانب المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقد قابلت الدولة الإسلامية الفتية مواجهة شرسة من جانب قريش التي قررت أن تنهي الوجود الإسلامي فشنت الحرب بعد الحرب على المسلمين، فكان لابد للنبي ﷺ والمسلمين من اتخاذ موقف للدفاع. فكان الجهاد في سبيل الله للدفاع عن النفس إلى جانب تمكين العقيدة الإسلامية من الانتشار دون عقبات - يؤمن المسلمون أن من واجبهم نشر الإسلام والتعريف به في شتى بقاع العالم وأما الدخول في الإسلام فهي حرية شخصية لا إكراه فيها -، ولصرف الفتنة عن الناس ليتمكنوا من اختيار الدين الحق بإرادتهم الحرة، ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة: ١٩٣).

وقد نزلت آيات كثيرة في العام الأول من الهجرة لترسم للنبي ﷺ وأصحابه أحكاما خالدة تفضح خطط المشركين والمنافقين.

لقد استهدفت قريش النبي ﷺ ودولته من خارج المدينة واستهدفه اليهود من داخل المدينة فكان النبي ﷺ متيقظا لهذه التحركات راصدا لها. فكانت ثمان غزوات طوال العام الثاني بما فيها غزوة بدر الكبرى، وقد حفل العام الثاني بمزيد من الانتصارات العسكرية من جانب ونزول التشريعات السياسية والاجتماعية من جانب آخر وقد استمرت محاولات قريش العسكرية ضد الإسلام والمسلمين من خارج المدينة ونكثت قبائل اليهود عهودها مع النبي ﷺ عدة مرات في سنوات متتابعة، فكانت خمس غزوات هي غزوة أحد وبني النضير والأحزاب وبني قريظة وبني المصطلق، وقد رد الله سبحانه كيد الأحزاب واليهود معا في العام الخامس بعد أن أبلى المسلمون

بلاءً حسنا ومهد الله بذلك للفتح المبين بعد أن يئس الكفار من القضاء على شوكة المسلمين وانطلق الرسول بعد ذلك للتحالف مع القبائل المحيطة به واستقطابها ليجعل منها قوة واحدة أمام قوى الشرك وكان هذا تمهيدا لفتح مكة المكرمة في العام الثامن للهجرة وقد تمكن النبي ﷺ من تصفية قواعد الشرك بعد أن أخضع جبابرة قريش لدولته وسياسته المباركة.

وبعد هذه المقدمة أود أن أبين الخطة التي اتبعتها في البحث مبينة في المبحث الأول غزوات النبي ﷺ واختلاف الآراء في عددها والغزوات التي شارك فيها، أما المبحث الثاني فقد تضمَّن أسباب كل غزوة والخطط التي وضعها الرسول ﷺ لهذه الغزوات، وقد تناول المبحث الثالث نتائج هذه الغزوات.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فقد عمل النبي محمد ﷺ على تأسيس أول دولة إسلامية بنى قواعدها بعد سنته الأولى بعد الهجرة، وقد قابلت الدولة الإسلامية الفتية مواجهة شرسة من جانب قريش التي قررت أن تنهي الوجود الإسلامي فشنت الحرب بعد الحرب على المسلمين، فكان لابد للنبي ﷺ والمسلمين من اتخاذ موقف للدفاع.

وقد نزلت آيات كثيرة في العام الأول من الهجرة لتنبئ النبي ﷺ وأصحابه بنوايا المشركين والمنافقين تفضح خططهم وترسم الخطوات التي يخطوها النبي وأصحابه من المؤمنين ضد المشركين والمنافقين.

لقد كان النبي ﷺ هدفا لقريش من خارج المدينة واستهدفه اليهود من داخل المدينة فكان النبي ﷺ يرصد هذه التحركات، فكانت ثمان غزوات طوال السنة الثانية للهجرة بما فيها غزوة بدر الكبرى، وقد كان النصر حليف المسلمين في أغلب غزواتهم.

وقد أصرت قريش على عدوانها ضد الإسلام والمسلمين من خارج المدينة، ونقضت اليهود عهودها مع النبي ﷺ مرات متعددة في سنوات متتالية، فكانت خمس غزوات هي غزوة أحد وبني النضير والأحزاب وبني قريظة وبني المصطلق، وقد رد الله سبحانه كيد الأحزاب واليهود معا في العام الخامس بعد أن نصر المسلمين نصرا مؤزرا وكان ذلك تمهيدا للفتح المبين في السنة الثامنة للهجرة بعد أن يئس المنافقون والكفار من القضاء على المسلمين.

وبعد هذه المقدمة أود أن أبين الخطة التي اتبعتها في البحث مبينة في المبحث الأول حال المجتمع العربي في عهد الرسالة وما لاقاه النبي ﷺ من صعوبة في تغيير هذا المجتمع وإقناعه بالدعوة الإسلامية الجديدة، أما المبحث الثاني فقد

تضمّن غزوات النبي عليه الصلاة والسلام وأسباب كل غزوة والخطط التي وضعها الرسول ﷺ لهذه الغزوات، ونتائج هذه الغزوات، وقد ركز البحث على الغزوات التي شارك فيها الرسول بالقتال فعليّا، وهي : غزوة بدر، وغزوة أحد، وغزوة الخندق، وغزوة بني قريظة، وغزوة المصطلق، وغزوة حنين.

وقد تضمّن المبحث الثالث: شخصية النبي القائد، وانتهى البحث إلى أهم النتائج. وأخيرا وليس آخرا نسأل الله سبحانه العفو والمغفرة، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا واعفُ عنا وارحمنا، إنك أنت العفو الرحيم.

المجتمع العربي:

مما لاشك فيه أن المجتمع في عهد النبي محمد ﷺ كان يحمل من الشوائب والأمور المستنكرة الكثير، من أبرزها الشرك ووأد للبنات وشرب للخمر وغيرها من هذه الأمور القبيحة، وقد تآلف معها المجتمع وصارت جزءا من تكوينه النفسي والفكري، إلى جانب ذلك تلك الطبقية المقيتة التي تفرق بين الناس على أساس عرقي ومادي، وبطبيعة الحال كان تغيير هكذا مجتمع من المهام الصعبة، (فهذه التركيبة الاجتماعية لم تسمح أن تتغير من داخلها لما فيها من رواسب وعادات وتقاليد وعصبيات تنكرت لقيم ومبادئ السماء وأصرت على عنادها وصدودها، ورصدت الحركة الإسلامية الجديدة بألوان من المكائد والمؤامرات)[1].

ولم يكن المشركون يفهمون إلا لغة القتل والثأر يفهمونها جيدا، لأن حياتهم كانت قائمة على هذا الصراع الأزلي، الذي طالما سفكت فيه الدماء وهتكت فيه المحارم، إنه مجتمع عنيف يؤمن بالبقاء للأقوى وليس للأصلح.

فكان الحمل ثقيلا على الرسول ﷺ، فقد جوبه بالرفض الشديد حتى وصل الأمر إلى التخطيط لقتله لولا حفظ من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)[2].

وكان الرفض شديدا لهذه الدعوة المارقة في نظرهم، لماذا ؟ لأنها قلبت الأمـــور والموازين وساوت بينهم وبين العبيد، وقد رفض علية القوم هذا التغيير، وهؤلاء هم من تضررت مصالحهم من وراء تلك الدعوة، (لأن خطر الإسلام على الجاهلية عظيم، كما كان يتحسس أبو جهل وأتباعه من أقطاب الشرك والوثنية، ان يقوض الإسلام سلطانهم وهيمنتهم الطاغوتية)[٣].

إلى جانب ذلك فهم لا يستطيعون أن يؤمنوا بإلهٍ غائب عن مداركهم الحسية، فكانت حاجتهم إلى وسيط بينهم وبين آلهتهم.

وكان من الطبيعي أن يستخف هؤلاء بمحمد وأتباعه في بادئ الأمر لقلة عددهم وعدتهم، فتعرضوا للتهديد والتعذيب.

وما لبث النبي الكريم ﷺ أن هجر تلك الديار مع أصحابه وأتباعه خوفا عليهم من بطش هؤلاء تاركين وراءهم أموالهم وأملاكهم.

لقد كان أتباعه عليهم السلام مؤمنين ومتيقنين من حكمة نبيهم، فلا نقاش ولا اعتراض، إنه الاستسلام الكامل والإيمان المطلق والعقيدة الراسخة.

غزوات النبي ﷺ:

لقد حرص الكفار على القضاء على الدعوة الإسلامية الفتية منذ بدايتها، ولم يتركوا سبيلا إلا سلكوه لإنهائها، بالتهديد والوعيد وتعذيب المسلمين ومقاطعتهم، وقد كانت السماء راعية للمسلمين توجه الرسول وتنبهه، إلى أن كانت الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة، فترك المسلمون ديارهم وممتلكاتهم. ولم يترك الكفار النبي ومن معه في حالهم وإنما كانوا يحيكون المؤامرات والمكائد لإيذاء النبي والمسلمين من المهاجرين والأنصار.

وقد كانت أولى الخطوات القتالية التي يمكن للمسلمين أن يتخذوها بعد ما رأوه من تعذيب ونهب ومصادرة أموال، هي مهاجمة القوافل التجارية التابعة لقريش والمتجهة إلى بلاد الشام، وكانت هذه البداية[٤].

وقد جاء الإذن بالقتال بعد أن أصبح للمسلمين قوة، لا يستهان بها، فلا بدَّ لمن يريد أن يقيم دولة أن تكون له المقدرة للدفاع عنها. خاض الرسول محمد ﷺ مجموعة من الغزوات التي كانت تهدف إلى رفع راية الإسلام والدفاع عنه ضد كل من يحاول أن يشوّهه أو يحاول النيل من المسلمين، وقد بلغ عدد غزوات الرسول ٢٧ غزوة، وكان أكثرها في العالم الثاني من الهجرة، فيما يلي سنُسلط الضوء على مجموعةٍ من أشهر الغزوات التي خاضها رسولنا الكريم.

وكان النبي ﷺ يعلم نوايا قريش للفتك بالمسلمين والقضاء عليهم فكان لابد من المواجهة بين الفريقين، فكل فريق يحمل مبرراته، فالكفار وما يحملون من حقد وكره للإسلام والمسلمين، والمسلمون الذين لاقوا من الكفار ما لاقوا من الأذى والتهجير من الديار.

وقد أحاط النبي محمد ﷺ بكل هذه الأمور، وتحققت كل أسباب المواجهة فأذن الله لهم في الحرب، وجاء الإذن لهم في الآية الكريمة: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُواْ الصَّلاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلله عَاقِبَةُ الأمور**﴾[٥]. (جاء الإذن في هذه الآية الكريمة بالقتال ولم تعلله بنشر الإسلام أو إلجاء الناس إليه، وإنما عللته بما وقع على المسلمين من ظلم وما أُكرهوا عليه من الهجرة والخروج من ديارهم من غير حق إلا أن يقولوا كلمة الحق، ثم لا تقف الآية الكريمة عند هذا الحد، بل يتبين أن هذا الإذن موافق لما تقضي به سنة التدافع بين الحق والباطل حفظا للتوازن ودرءا للطغيان)[٦].

فكانت المواجهات عن طريق الغزوات التي خاضها المسلمون ضد الكفار

وقد (انطلق النبي ﷺ في حركته العسكرية من مفهوم الجهاد والتضحية من أجل الدين بدلا عن مفهوم العصبية والثأر)[٧]. والنبي بهذا الإطار قد أعطى لما هو سائد من مفاهيم صبغة جديدة، فبعد أن أخذ الثأر مأخذا من حياة الناس، أصبح الجهاد والتضحية في سبيل الدين الحق هو الهدف الأول لخوض المعارك وبذلك اتخذت الأمور منحى آخر في الصراع بين المسلمين والكفار، والغزوات التي اشترك فيها النبي ﷺ هي: غزوة بدر، وغزوة أحد، وغزوة الخندق، وغزوة بني قريظة، وغزوة المصطلق، وغزوة الطائف، وغزوة حنين.

١ ـ غزوة بدر:

في السنة الثانية، في السابع عشر من شهر رمضان، كانت معركة بدر بين المسلمين وكفار قريش. وهي الوقعة العظيمة التي فرق الله تعالى بها بين الحق والباطل، وأعز الإسلام ودمغ الكفر وأهله[٨].

ومنطقة بدر تقع على بعد مائة وستين كيلو مترا عن المدينة المنورة في الطريق بين مكة والمدينة باتجاه مكة.

(لقد أدى إلى معركة بدر رغبة قريش الجامحة في إبادة قوة الإسلام النامية إن هذه الرغبة هي السبب الوحيد للمعركة، فمن الثابت أن قوة المسلمين يوم ذاك كانت لا تزيد على ثلاثمائة وكانوا عزلا من السلاح)[٩].

خرجت قريش بعدد كبير من المقاتلين يناهز الألف فارس مدججين بالسلاح، مندفعين بغرور وتجبر، لكثرة عددهم ومكانتهم بين القبائل العربية، وهذا التفاوت في القوة والاستعداد للمعركة جعل بعض المسلمين يفقدون الأمل في التغلب على الأعداء، ولكن الله سبحانه وتعالى بشرهم بالنصر، قال تعالى: ﴿**إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[١٠].

وقد أراد النبي ﷺ أن يختبر نوايا المهاجرين والأنصار وقال: أشيروا علي أيها الناس، وقد كان المهاجرون والأنصار مع النبي في طاعة تامة وإيمان عميق لا يتزعزع، (والتفّ المسلمون حول النبي وهم يظهرون أروع صور الاستعداد للتضحية من أجل العقيدة)[١١].

وعندما تأكد النبي ﷺ من عزم المسلمين على القتال واستعدادهم للتضحية قال ﷺ: (سيروا على بركة الله، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم)[١٢].

وقد كان النبي ﷺ يتضرع لله سبحانه ويستغيث به في تلك اللحظات الحرجة، فكانت عناية السماء التي أمدت المؤمنين بالغلبة والنصر، قال تعالى: ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أَنِّي مُمِدُّكُم بألف مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مردفين (٩) وَمَا جَعَلَهُ الله إِلَّا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وَمَا النصر إِلَّا من عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيم(١٠)**﴾[١٣].

نتائج غزوة بدر:

شكلت معركة بدر تحولا جذريا في وضع المسلمين، إذ (خلفت هذه المعركة نتائج عظيمة فقد فرّ المشركون نحو مكة والخيبة والذل يحيطان بهم من كل جانب تاركين خلفهم سبعين قتيلا وسبعين أسيرا وغنائم كثيرة)[١٤]، وهذه المعركة أعلت من شأن المسلمين وفرضت هيبتهم في الوقت الذي فقدت فيه قريش مكانتها بين القبائل.

٢- غزوة أحد:

شكلت غزوة بدر وانتصار المسلمين صدمة كبيرة للكفار، فما لبثوا أن استفاقوا منها، وكان لابد من الثأر، فضلًا عن ما قام به المسلمون من السيطرة على طرق تجارتهم التي تمرّ من الساحل، (فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ، ومعها كنانة وبعض القبائل)[١٥].

وسميت معركة أحد نسبة إلى جبل وقعت في سفحه المعركة، وكانت هذه المعركة في السنة الثالثة للهجرة. وكانت تصل للنبي ﷺ أخبار قريش، وإصرارهم على طلب الثأر والانتقام من المسلمين شر انتقام ولاسيما أولئك الذين قتل منهم رجال في معركة بدر، إنها معركة الثأر وقد جهزوا لذلك جيشا قويا في عدته وعدده[١٦].

وقد سارت قريش حتى بلغت العقيق ونزلت سفح جبل على بعد خمسة أميال من المدينة، ثم ساروا حتى نزلوا مقابل المدينة، وذلك لخمس من شوال من السنة الثالثة للهجرة[١٧]. ولم يكن النبي ﷺ ليقدم على أية خطوة من دون استشارة أصحابه حتى يشعرهم بالأهمية والمسؤولية، وقد كان الاتفاق على ملاقاة العدو خارج المدينة.

وخرج النبي ﷺ مع جيشه مع الصبح حتى بلغوا أحدا (منطقة القتال) واختار أن يعسكر في سفح جبل أحد بحيث يكون ظهرهم إلى الجبل مستقبلا المدينة، وكان على يسار المسلمين جبل فيه ثغرة فأقام عليها خمسين رجلا من الرماة، عليهم عبد الله بن جبير، وأوصاه أن يرد الخيل عنهم، حتى لا يأتوهم من خلفهم[١٨]. وقال لهم الرسول وأوصاهم: (فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا، فلا تشركونا). واحتدمت المعركة وقتل أصحاب الألوية من العدو، انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء حتى سقط اللواء وانهزموا، وظل النصر بجانب المسلمين، حتى عصوا الرسول ﷺ وتنافسوا على الغنائم[١٩]، وانقلبت الأمور وهُزم المسلمون في هذه المعركة. فعندما ظنّ المسلمون أنّهم انتصروا بدأوا بجمع الغنائم، فانتهز خالد بن الوليد وكان حينها على الشرك الفرصة، والتفّ على المسلمين من وراء الجبل وقاتلهم، ممّا أدّى إلى انتصار المشركين على المسلمين[٢٠]. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ**

﴿وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢١].

٣- غزوة الخندق:

غزوة الخندق فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ، وقد سمّيت هذه الغزوة بذلك الاسم بسبب الخندق الذي حفر حول المدينة و تسمّى أيضًا بغزوة الأحزاب، وذلك لتحزّب طوائف من الكفار على قتال المسلمين، وهؤلاء هم: قريش، وغطفان، واليهود، ومن تبعهم. ولمّا أخرج النّبي ﷺ اليهود من المدينة، وألحقهم بخيبر، والشّام، وقام بأخذ أموالهم، وقتل منهم من قتل، غاظهم ذلك، فأوغروا قلوب قريش على النّبي ﷺ حتى يخرجوا لقتاله، ثمّ خرج اليهود إلى غطفان، ودعوهم ليحاربوا الرّسول ﷺ، فخرجت قريش في أربعة آلاف، وكان لواؤهم بيد عثمان بن أبي طلحة قبل إسلامه، وكان عدد خيلهم ثلاث مئة فرس، وكانت إبلهم ألفًا وخمس مئة بعير، وكان قائدهم أبا سفيان[٢٢].

وكانوا ثلاثة عساكر، وقائد الكلّ أبو سفيان. ولمّا بلغ النّبي ﷺ خبر خروجهم، ندب النّاس لحفر الخندق حول المدينة، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف على الصّحيح المشهور، وكان الخندق بإشارة من سلمان الفارسي ﷺ، إذ قال: "يا رسول الله، إنّا كنّا إذا حوصرنا خندقنا علينا"، فكانت هذه مكيدة لم تعرفها العرب[٢٣].

وعندما فرغ النّبي ﷺ من حفر الخندق، أقبلت قريش ونزلت في مجتمع الأسيال، وكانت غطفان في ذنب نقمى إلى جانب أحد، وخرج النّبي ﷺ ومعه المسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، فعسكر هناك، وكان الخندق بينه وبين القوم، وأمر أن تجعل النّساء والأطفال في الأبنية العالية المرتفعة.

أحاط المشركون بالمسلمين من كلِّ جانب وحاصروهم، فاشتدّ البلاء على المسلمين، وانتشر النفاق فيما بينهم، وبينما هم على ذلك إذ أقبل نعيم بن مسعود ليُخبر رسول الله بإسلامه دون علم قومه، فأرسله رسول الله إلى صفوف الكفار

ليُثير الفتنة فيما بينهم، ويُوقع الشّكّ في قلوبهم تجاه بعضهم البعض، فوقعت الفرقة بين أحزاب المشركين، وأرسل الله عليهم ريحًا شديدة اقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم، وأنزل إليهم الملائكة فألقت في قلوبهم الرّعب، ولم يَصل المشركون إلى مبتغاهم، فجمعوا أنفسهم وعادوا إلى ديارهم، وقد أسفرت هذه الحادثة عن مقتل أربعة من المشركين، واستشهاد سبعةٍ من المسلمين.

قال أبو سفيان: يا معشر قريش؛ إنّكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الكراع والخفّ، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الرّيح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا؛ فإنّي مرتحل. وبذلك انتهت المعركة من دون قتال[٢٤].

قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْها وَكانَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيدًا**﴾[٢٥].

٤- غزوة بني قريظة:

لم يكن اليهود ليلتزموا بعهد وميثاق مع الرسول ﷺ، فقد (كشف يهود قريظة عن الحقد والعداء الذي انطوت عليه نفوسهم يوم الخندق ولولا أن الله سبحانه وتعالى أخزى الأحزاب لتمكن يهود بني قريظة من الفتك بالمسلمين من خلف ظهورهم فكان لا بد للرسول ﷺ من معالجة موقفهم الخياني ولهذا أمر الرسول ﷺ أن يتحرك المسلمون لمحاصرة اليهود في حصونهم، وأعطى النبي رايته للإمام علي عليه السلام وتبعه المسلمون على ما بهم من ألم وجوع من أثر محاصرة الأحزاب واستولى الهلع والخوف على اليهود حين رأوا الرسول ﷺ والمسلمين يحيطون بهم)[٢٦].

وطلب بنو قريظة من النبي أن يرتحلوا عن المدينة، ولكن النبي أبى أن يرحلوا

من دون عقوبة بسبب خيانتهم. ثم حكم فيهم سعد بن معاذ وكان رسول الله قد أوكل أمرهم إليه، فحكم سعد فيهم بأن يقتل رجالهم وتسبى نساؤهم[٢٧].

٥- غزوة حُنَيْن:

من الأمور الكبيرة والعظيمة التي حققها الرسول ﷺ فتح مكة وقد كان نصر من الله سبحانه وتعالى، وبهذا الفتح يكون النبي ﷺ قد أسكت صوت عدوٍّ طالما أزعجه وأرقه، ولم يكن فتح مكة ليقضي على جميع مناوئيه فقد كانت هناك قبائل في الجزيرة العربية لم تخضع للنبي ولم تستسلم له، ومنها قبيلة هوازن وثقيف وغيرهما، إذ بعد الفتح بعث نبينا الكريم رسائل إلى القبائل التي لم تدخل الإسلام يدعوها إلى دخوله فامتنعت عليه قبائل هوازن وثقيف ومن حالفهم[٢٨]. وقد خطط هؤلاء بقيادة رجل يدعى مالك بن عوف النصري من قبيلة هوازن للهجوم على الرسول ﷺ والمسلمين. فسيروا جيشا كبيرا اجتمعت فيه هوازن وثقيف كلها ونصر وجشم وسعد بن بكر وغيرهم، حتى وصلوا قرب مكة[٢٩]. فكانت غزوة حنين، وهي غزوة وقعت في الثالث عشر من شهر شوال في السّنة الثامنة للهجرة بين المسلمين وقبيلتي هوازن وثقيف في وادٍ يسمّى حنين بين مكّة والطائف[٣٠].

وعندما وصلت الأخبار للمسلمين وجّه المسلمون جيشا كبيرا تعداده اثنا عشر ألف مقاتل، وكان فيهم الكثير ممّن دخل الإسلام بعد الفتح. إلى جانب ذلك أضاف النبي إلى سلاحه سلاحا استعاره من صفوان بن أمية وهو مائة درع[٣١].

هذه الكثرة في العدة والعدد أدخلت الغرور في قلوب بعض المسلمين وتصوروا أنهم لا يُغلبون ولكن هذه الكثرة لم تحقق لهم النصر وهزموا أمام العدو، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)**﴾[٣٢].

قرر محمدﷺ الخروج للقتال في مكان متوسط بين هوازن ومكة، فقد آثر ألّا ينتظر بمكة. وفي ذلك حكمة كبيرة جدّا؛ لأنه لو بقي في مكة وغزاها مالك بن عوف بجيشه، فقد يتعاون أهل مكة معه، وفي تلك الأثناء، كان أهل مكة حديثي عهد بشركٍ وجاهلية، وهذه كارثة؛ لأن الحرب بذلك ستصبح من الداخل والخارج، ومن ثَمَّ فضَّل الرسولﷺ أن يخرج بجيشه إلى مكان مكشوف بعيد عن مكة.

وقد أمر مالك بن عوف قومه بأن يخرجوا جميعًا لملاقاة المسلمين ويأخذوا معهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم وأغنامهم وإبلهم وأبقارهم معهم في المعركة؛ وذلك حتى لا يفر المقاتلون من أرض المعركة. وقد خرج في جيش هوازن أحد شيوخها وهو دريد بن الصمة، وقد كان عمره مائة وستين عامًا، وهو ذو دراية وخبرة بفنون الحرب وأساليب القتال. ولما علم من أمر مالك بن عوف مع قومه بأن يخرج الأبناء والنساء والأموال والماشية، أنكر دريد هذا الرأي وقال: إن هذا لا ينفعنا، ولكن مالك بن عوف أصر على رأيه وخرج الجيش بما فيه فقال دريد لمالك بن عوف: "إذا لقيت محمدًا وجهًا لوجه فاعلم أنك مهزوم". فقال له مالك: "وما الرأي إذًا؟"، فقال دريد: "اكمن لهم فاذهب إلى حنين وادخل بين الأشجار وعندما يصل المسلمون إلى وادي حنين اخرج عليهم وحاصرهم"(٣٣).

لّما وصل رسول الله إلى وادي حُنين، وإذا بالعدو قد سبقهم إليه، فأحاطوا بالنبي وجيشه وحملوا عليهم حملة رجل واحد، فانهزم الناس خوفًا منهم، أخذ ينادي ﷺ: "أيّها الناس هلمّوا إليّ، أنا رسول الله محمّد بن عبد الله"، فلا يأتيه أحد! ولّما رأى النبي هزيمة القوم عنه قال للعباس ـ وكان صيّتًا جهوري الصوت: "نادِ القوم وذكّرهم العهد"، فنادى بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة! إلى أين تفرّون؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله.

لحقت الهزيمة بالمسلمين في بداية غزوة حنين، وفرّ معظمهم في ميدان المعركة؛ لأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه(٣٤).

ثبت مع النبي يوم حنين عشرة أو اثنا عشر، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة، ثم إن آخرين قد عادوا بسرعة إلى المعركة فعدّوا فيمن لم ينهزم.

تمكّن رسول الله من بثّ روح الجهاد في نفوس المسلمين من جديد، وقد كان أصابهم الخوف والذعر وأوشكوا على الفرار الكامل وتسجيل الهزيمة النكراء، فاجتمع المسلمون ثانية وهجموا هجمة واحدة على المشركين، ومضى علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صاحب راية هوازن فقتله، وبعد مقتله كانت الهزيمة للمشركين(٣٥).

بين القرآن الكريم أن الله أمد رسوله محمدًا صلى الله عليه وآله بالملائكة في حنين، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾(٣٦).

٦- غزوة بني المصطلق:

غزا النبي صلى الله عليه وآله بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست للهجرة(٣٧). والسبب في هذه الغزوة أنه بلغ النبي صلى الله عليه وآله أن بني المصطلق قد اجتمعوا بقيادة الحارث بن أبي ضرار، يريدون قتال المسلمين، فلما سمع الرسول صلى الله عليه وآله خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المريسيع، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق(٣٨).

النبي محمد صلى الله عليه وآله القائد:

قاد النبي صلى الله عليه وآله المعارك الجهادية ضد الكفار والمشركين، ولم يتخلف إلا في القليل من الغزوات، وكان الغلبة للمسلمين في أغلب هذه الغزوات، وهذا النصر إنما تأتى من شخصية النبي القيادية، فالنبي الكريم كان قائدا فريدا من نوعه، منطلقا من إيمان عميق بالله سبحانه وتعالى، فقد كان في غزواته ينظم الجيش، ثم يتجه بالدعاء لنصرة المسلمين، فلم (يتراجع في غزوة قط، وكان

الأبطال يتراجعون والصناديد من المهاجرين والأنصار يفرون أحيانا، ولكنه ﷺ يثبت ثبات الجبال الراسيات لا يتزحزح من موقفه)[٣٩]، وكان متفائلا بالنصر، فشخصية النبي القائد كانت تشكل أهمية كبيرة في صمود المسلمين وازدياد حماسهم، فكان النصر، حتى لو كان العدو أكثر عدة وعددا، (لقد كان المشركون في غزوة بدر ثلاثة أمثال المسلمين، فهزمهم المسلمون بإذن الله)[٤٠]. وكان المشركون في غزوة حنين ضعف المسلمين، ولكن الله نصرهم، وسدد خطاهم بقيادة حكيمة للنبي.

الخاتمة:

وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- كان شعار النبي ﷺ منذ بداية الدعوة لا إكراه في الدين، ولم يسعَ ﷺ إلى إراقة قطرة دم واحدة، ولكن إصرار الكفار على معاداته والتنكيل بأتباعه هو الذي أوصل الأمر إلى المواجهة.

٢- كان الانتصار حليفا للنبي ﷺ في أغلب غزواته فهو مسدد من السماء، وقد كانت الخسارة في بعض الغزوات ومنها (غزوة أحد) درسا للمسلمين؛ لأنهم خالفوا أمر الرسول ﷺ.

٣- إنّ الغزوات التي خاضها الرسول كانت نموذجًا عمليًا في بيان صورة المقاتل النبيل الذي يحترم الإنسان.

٤- وكانت غزوة بدر التي حقق فيها المسلمون أول انتصار على المشركين سببًا ودافعًا كبيرًا في تقوية شوكة المسلمين، ورهبة قلوب الأعداء منهم، وجعلت لهم مكانةً في جزيرة العرب.

٥- لم يكن النبي ﷺ يواجه أعداءه خارج المدينة فحسب، وإنما كان أعداؤه من اليهود داخل المدينة يتربصون بالرسول وأتباعه من المسلمين، وهذا الأمر كان يشكل خطرا على المسلمين وقلقا.

٦- لم يكن النبي ﷺ بالرجل المستبد برأيه، بل كان دائما ما يستشير أصحابه والمحيطين به، ولم يكن هذا السلوك ضعفا منه حاشاه، بل كان يريد من وراء ذلك أن يشعرهم بقيمتهم وأهميتهم.

٧- كان النبي ﷺ حريصا في غزواته على أن تكون خارج مكان المنطقة التي يستقر فيها وكانت له أسبابه، ومن هذه الأسباب أنه لم يكن واثقا في داخل المدن التي يستقر فيها من جميع الناس التي فيها، فمنهم اليهودي الذي يغدر كما حصل في المدينة أو حديث إسلام ولم يكن إسلامه راسخا بعد، مثلما

حصل في الغزوات بعد فتح مكة.

٨- كان النبي ﷺ يمتلك دراية ومعرفة دقيقة بنفوس الناس، وبدى هذا الأمر جليا وواضحا في حروبه، فكان يراعي أتباعه من المسلمين، إلى جانب ذلك يقدر بدقة وضع أعدائه من اليهود والمشركين.

٩- كان النبي ﷺ يبني دولة يحكمها الدين الإسلامي الحنيف عن طريق التشريعات التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ في القرآن الكريم.

هوامش البحث:

١- بين وظيفة الرسول ومسؤولية الأمة : ٦٧.

٢- الأنفال : ٣٠.

٣- بين وظيفة الرسول ومسؤولية الأمة : ١٠٧.

٤- ينظر السيرة النبوية : ١٣٥.

٥- الحج : ٣٩.

٦- الرسول في القرآن : ٨٣.

٧- أهل البيت في القرآن الكريم : ١٣٠.

٨- ينظر : السيرة النبوية : ١٣٥.

٩- ساعات حرجة في حياة الرسول ﷺ : ٤٧.

١٠- الأنفال : الآية ٤٢.

١١- أهل البيت في القرآن الكريم : ١٣٣.

١٢- المغازي : ١/ ٤٨ ـ ٤٩.

١٣- الأنفال : ٩ـ ١٠.

١٤- الرسول ﷺ ـ لمحات من حياته ونفحات من هديه : ١٣٤.

١٥- السيرة النبوية لابن هشام : ٢/ ٤٦٩، وأدب غزوات الرسول ـ أخبارها وأشعارها ـ : ٦٧.

١٦- ينظر : سيرة ابن هشام : ٣/ ٤٦٩.

١٧- ينظر : المصدر نفسه : ٣/ ٤٧٠.

١٨- ينظر : سيرة ابن هشام : ٣/ ٤٧٢.

١٩- ينظر : الرسول الأكرم : ١٩٧.

٢٠- ينظر سيرة ابن هشام :

٢١- آل عمران : ١٥٢.

٢٢- ينظر : السيرة النبوية : ١٥٥.

٢٣- ينظر : السيرة النبوية لابن هشام : ٣/ ٥٦٥ـ ٥٦٦.

٢٤- ينظر : السيرة النبوية لابن هشام : ٣/ ٥٧٤.

٢٥- الأحزاب : ٩.

٢٦- ينظر : السيرة النبوية لابن هشام، أهل البيت في القرآن الكريم : ١٥٦.

٢٧- السيرة النبوية : ١٥٩.

٢٨- ينظر : محمد رسول الله : ٣٧٥.

٢٩- ينظر : السيرة النبوية لابن هشام : ٤/ ٧٠٦.

٣٠- المصدر نفسه : ٤/ ٧٠٦.
٣١- ينظر : الرسول الأكرم : ٢/ ١٣٤.
٣٢- التوبة : ٢٤ـ ٢٥.
٣٣- ينظر : السيرة النبوية لابن هشام : ٤/ ٧٠٧.
٣٤- ينظر : السيرة النبوية لابن هشام : ٤/ ٧١١.
٣٥- ينظر : السيرة النبوية لابن هشام : ٤/ ٧١٤.
٣٦- التوبة : ٢٦.
٣٧- السيرة النبوية لابن هشام : ٣/ ٦٠٨.
٣٨- ينظر : السيرة النبوية لابن هشام : ٣/ ٦٠٩.
٣٩- المصدر نفسه : ١٣٧.
٤٠- الرسول ﷺ ـ لمحات من حياته ونفحات من هديه : ١٣٨.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

* أدب غزوات الرسول ـ أخبارها وأشعارها ـ إعداد موفق فوزي الجبر، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٧م.

* بين وظيفة الرسول ومسؤولية الأمة، الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي، دار الضياء ـ النجف الأشرف، ط٢، ٢٠١٢م.

* الرسول الأكرمﷺ، حسين الشاكري، المؤسسة الإسلامية للتبليغ والإرشاد ـ قم المقدسة، ط١، ٢٠٠١م.

* الرسول في القرآن الكريم، تأليف محمود بن الشريف، دار الكتاب للطباعة والنشر، ط٢، د. ت.

* الرسولﷺ ـ لمحات من حياته ونفحات من هديه، الدكتور عبد الحليم محمود، مكتبة مصر ـ القاهرة، ١٩٦٥م.

* ساعات حرجة في حياة الرسولﷺ، عبد الوهاب حمودة، دار القلم ـ القاهرة، ١٩٦٣م.

* السيرة النبوية لابن هشام، صححه واعتنى به ناجي إبراهيم سويد، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.

* السيرة النبوية ـ تدوين مختصر مع تحقيقات وآثار جديدة ـ السيد سامي البدري، دار طور سينين للطباعة والنشر، ط٣، ٢٠٠٥م.

السيرة النبوية الشريفة في الاستشراق البريطاني المعاصر -(كارين أرمسترونج) أنموذجًا-

أ.د. مصعب حمادي نجم الزيدي
أ.م.د. فائز علي بخيت الحديدي

Biography of the Prophet in Contemporary British Orientalism . informal -(Karan Armstrong) specimen –

Prof. Dr. Musab Hamdi Al-Zaidi
Asst. Prof. Dr. Faez Ali Bakheet

Abstract :

This research sheds light on the writings embodied by the contemporary British Orientalist on the honorable biography of the Prophet in order to introduce Western efforts in studying the message of Islam and the Noble Prophet Muhammad(peace be upon),who received a great deal of attention and follow-up، and many, studies were devoted to him, and his message based on Mercy, demonstrating the importance of Muhammad's prophecy and the universality of his message in her studies، which are characterized by objectivity and fairness.

Karen Armstrong is considered one of the pioneers of contemporary British orientalism. She was a Christian nun of the Catholic faith since the beginning of her life and had the title of "Fugitive Nun" because she entered the monastery at the age of seventeen, but decided to leave it and return to her normal life after spending seven years in it because she found a prison there. Terrible for her soul and mind, and the decision to escape and escape from the monastery was not her only decision, but she decided to abandon her sect and her religion altogether, and then she turned to the comparative academic study of religions after she discovered that justice, tolerance, brotherhood and love are the essence of the three Abrahamic religions (Judaism, Christianity and Islam), and devoted her attention to research In-depth study of the sciences of religions and her writings focused on the role and influence of religion in the modern world.

الملخص :

يسلط هذا البحث الضوء على الكتابات التي جسدها الاستشراق البريطاني المعاصر عن السيرة النبوية الشريفة، سعيًا للتعريف بالجهود الغربية في دراسة رسالة الإسلام ونبيه الكريم محمدﷺالذي حظي بقدر كبير من الاهتمام والمتابعة وخصصت حوله دراسات عديدة، عرفت برسالته القائمة على الرحمة وكتب عنه عدد من المستشرقين الباحثين من الرجال والنساء وسط المجتمعات الغربية مدللين على أهمية الدين الإسلامي وصدق نبوة محمدﷺوعالمية رسالته الطاهرة في دراسات تتميز بالنزاهة والموضوعية والانصاف .

تعد كارين أرمسترونج (Karen Armstrong) من رواد الاستشراق البريطاني المعاصر، كانت راهبة مسيحية على المذهب الكاثوليكي منذ بداية حياتها ولازمها لقب "الراهبة الهاربة" كونها دخلت الدير في السابعة عشرة من عمرها لكنها قررت مغادرته والعودة لممارسة حياتها الطبيعية بعد أن أمضت فيه مدة سبع سنوات كونها وجدت فيه سجنًا رهيبًا لروحها وعقلها، ولم يكن قرار الخلاص والهروب من الدير قرارها الوحيد بل قررت التخلي عن مذهبها ودينها بالكلية، وبعدها تحولت الى الدراسة الأكاديمية المقارنة للأديان بعد أن اكتشفت أن العدل والتسامح والإخاء والمحبة هي جوهر الديانات الإبراهيمية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام)، وكرست اهتمامها للبحث المعمق في علوم الأديان وتركزت كتاباتها على دور الدين وتأثيره في العالم الحديث .

كانت أرمسترونج (Karen Armstrong) وما زالت تتمتع بمكانة مرموقة في الأوساط الفكرية الإسلامية لمناصرتها الإسلام وقضاياه، وكتاباتها المنصفة عنه، ومؤلفاتها المتميزة عن الرسول الكريم محمدﷺ،

فقد ألفت في سيرته العطرة كتابين، الأول: محمد سيرة النبي، Muhammad A Biography of the Prophet والثاني: محمد نبي لزماننا، Muhammad Prophet For Our Time، وكتابًا ثالثًا: أوجزت فيه تاريخ الإسلام Islam A Short History: فضلًا عن تخصيصها فصلًا للحديث عن الإسلام في كتابها المعنون تاريخ الألوهية A History of God .

وهذا البحث الموسوم بـ ((السيرة النبوية في الاستشراق البريطاني المعاصر- (كارين أرمسترونج) نموذجًا))- محاولة توضّح نموذجًا لفكر الآخر الغربي؛ وتوضح منطلقاته وأصوله الفكرية، وتعرف بجهود منصفة في دراسة الإسلام؛ عن طريق تحليل مؤلفاتها التي أحدثت تغييرًا كبيرًا في مسار البحث الأكاديمي، وتأتي فكرة البحث أيضًا بدافع الوقوف على مسيرتها العلمية التي امتدت لأكثر من نصف قرن عملت فيها على تصحيح تصورات مشوهة بثتها الأوساط المغرضة في الغرب الأوربي عن الإسلام وحضارته عبر سلسلة من المحاضرات في كثير من البلدان، وفي وسائل الإعلام المختلفة. من أجل تعزيز التعايش السلمي بين الشعوب وهذا ما أسهم في حضورها المؤثر في الساحة الإسلامية. وجعل النقاد والكتاب في الغرب يطلقون عليها: مؤرخة الأديان في العصر الحديث، وعالمة الأديان المقارنة.

وبناءً على ما تقدم قسم البحث على ثمانية مباحث، الأول: تضمّن التعريف بشخصية كارين أرمسترونج(Karen Armstrong) وسيرة حياتها، والثاني: تابع الخلفية الفكرية التي تشكلت منها آراؤها، والثالث: موقفها من الإسلام، والرابع : موقفها من الرسول محمدﷺ والخامس: ناقش مؤلفاتها في مجال السيرة النبوية الشريفة وصداها عالميًا، والسادس: تطرق إلى أهم مصادرها، والسابع: عرض آراء العلماء والنقاد فيها، والثامن: قدم عرضا للجوائز التي حصدتها في مسيرتها العلمية الطويلة .

ويبقى ما أورده من أفكار نابعًا من سعيي الشخصي وما بدا لي من استقصاء المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث والاحاطة به قدر الامكان عن طريق ما توافر لدينا من معلومات وما استطعنا الحصول عليه من دراسات وأبحاث ومقالات وتصريحات وحوارات شخصية ومقابلات تلفازية بعضها بالإنجليزية وبعضها الآخر مترجم إلى العربية، فإن أصبت فلعل الله سبحانه وتعالى يكتب لي أجر المجتهدين المصيبين: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإن قصرت فحسبي أجر الاجتهاد، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

أولًا : نبذة عن حياتها الشخصية

ولدت المستشرقة أرمسترونج في بلدة وايلدمور ورسترشاير البريطانية في١٤تشرين الثاني سنة١٩٤٤م من أسرة مسيحية كاثوليكية، وفي سن الثامنة عشرة التحقت في جمعية يسوع الطفل المقدس(Jesus Seminar) للعمل الديني راهبة مبتدئة في أحد الأديرة التابعة للطائفة الكاثوليكية الرومانية ضمن نظام تعليمي خاص، واستمرت في سلك الرهبنة سبع سنوات للمدة بين١٩٦٢-١٩٦٩م التي كان يشرف عليها معهد وستار(Waster Institute) لتهب نفسها للمسيحية ولحياة الزهد كما كانت خطتها في البداية، وفي هذا الدير كانت الأوامر الصارمة والطاعة العمياء هي القانون السائد في هذا النوع من الحياة، وأن القهر الفكري كان هو المنهج المعتمد طوال السنوات السبع من حياتها التي أمضتها هناك، وتذكر أن الدير أرسلها في مهمة محددة سنة١٩٦٧م، الى جامعة أكسفورد للحصول على شهادة البكالوريوس في تخصص الأدب الانكليزي المعاصر، وهنا أدركت كيف أنها أصبحت غريبة تمامًا عن الحياة الخارجية بسبب هذا السجن الفكري والانعزال الذي تعيش فيه. بدأت في سنواتها

الجامعية تعود الى طبيعتها العقلانية الحادة، وتجاذبتها فطرتها التي تميل إلى تعقل الأمور وتأملها ووزنها بميزان العقل من جانب، وعلى الجانب الآخر كانت سنوات التحجر شديدة صارمة تجاه أي إعمال للعقل والفكر ولاسيما فيما يتعلق بقضايا الألوهية.

وبعدها وتحديدًا في سنة١٩٦٩م قررت أرمسترونج ترك الدير والحياة الصارمة التي حرمتها من التفاعل مع الحياة وإطلاق العنان لفكرها وقلمها قبل أن تنهي دراستها الجامعية، وتقدمت بطلب للتعليم مفضلة التعليم على العمل الديني، ولم تترك الدير فحسب وإنما تركت الدين بالكلية وبكل أشكال الديانة المؤسسية وتحولت إلى الإلحاد مدة خمس عشرة سنة حتى ذهبت إلى فلسطين، وقالت أرمسترونج عن تلك المدة (كنت أكره الدين بالفعل...لقد كرهته بشدة في أيام الغضب) أي بعد تركها لحياة الرهبنة في ذلك الدير وانتقالها لحياة التفاعل مع الناس والاندماج في المجتمع الانكليزي.

وبهذا غادرت عالم الرهبنة وتحولت فكريًا لتصبح أكثر ليبرالية معترفة بأنها لم تستطع الإيفاء بمطالب حياة الرهبنة، والتي كانت قد اختارتها، تلك الحياة التي وصفت ضيقها ومحدودية الخبرات التي تمنحها في كتابها الموسوم بـ(عبر البوابة الضيقة) لتكسب بذلك عداء الكثير من البريطانيين الكاثوليك من أبناء مذهبها قياسًا بأغلبية سكان بريطانيا البروتستانت.

ثم أكملت دراستها في جامعة لندن وبعد تخرجها عينت أستاذة في الجامعة نفسها لتدريس مادة الأدب الحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين للسنوات الممتدة بين(١٩٧٢-١٩٧٦م) غير أنها تقر بأن الحياة الجامعية الأكاديمية لا تناسب طبيعتها المحبة للكتابة والبحث، وسعت في تلك المدة لإكمال دراسة اللغة الانكليزية في كلية سان آن في جامعة

أكسفورد، فواصلت الدراسة فيها حتى سجلت موضوع أطروحتها للدكتوراه في الأدب الحديث في جامعة أكسفورد عن الشاعر الانكليزي ألفريد لورد تنيسون Alfred Lord Tennysonغير أنها أخفقت في الحصول عليها من لدن ممتحنها الخارجي بعد أن كانت قد أمضت ثلاث سنوات فيها مما اضطرها الى ترك وظيفتها الجامعيةوعلى الرغم من أنها كانت قد سجلت موضوعها المذكور بموافقة اللجنة العلمية في الكلية وبمصادقة مجلس جامعة أكسفورد ويبدو أن ذلك انعكس ايجابًا على شخصيتها وزاد رغبتها واندفاعها نحو عالم التأليف والكتابة فيما بعد .

لتنتقل بعدها الى التعليم وأصبحت معلمة لغة انكليزية في مدرسة جيمس ألين للبنات في بلدة دولويتش اللندنية سنة١٩٧٦م، وأمضت فيها ست سنوات رئيسة لقسم اللغة الانكليزية عكفت فيها على كتابة مذكرات تجربتها في دير الرهبنة التي نشرتها سنة١٩٨٢م، ذكرت فيها معاناتها من الإيذاء الجسدي والنفسي في الدير، غير أنها أصيبت بمرض في العقد الثالث من عمرها في نهاية السبعينيات فأحدث تغيرًا كبيرًا في حياتها، وبسبب تفاقم حالتها الصحية تركت مهنة التدريس مرة أخرى سنة١٩٨٢م وقد عبرت عن تلك المرحلة الحرجة والمؤلمة في حياتها بقولها: (لقد كانت سنوات حياتي الأولى كارثة بكل المقاييس ولكن كل هذا تحول للأفضل فيما بعد).

وانتقلت بعدها للعمل في إعداد البرامج المتخصصة في الأفلام الوثائقية الدينية، فنفذت سلسلة من الأفلام التسجيلية بعد أن أرسلتها القناة الرابعة في المملكة المتحدة الى فلسطين سنة١٩٨٤م والتي كانت زيارتها الأولى من أجل كتابة وتقديم برنامج تلفازي ديني عن التصوف المسيحي، وكان أول أعمالها المشاركة في اعداد فلم وثائقي عن

حياة القديس سان بولس ضم ست حلقات جرى تصويرها في الشرق في السنة نفسها، وعملت أفلامًا تسجيلية أخرى لعل أهمها كان بعنوان اختلافات في الخبرات الدينيةVarieties of Religious Experience وألسنة النار Tongues of Fireالتي حققت نجاحا كبيرًا حينذاك وهناك في القدس أمضت سنوات من الدراسة والقراءة والبحث وتحولت إلى" موحدة حرة" Freelance M.notheist حسب قولها وهي تعني بذلك أنها تؤمن" بالتوحيد" ولكن من غير الالتزام أو تحديد ديانة معينة، فتركت أرمسترونج الكنيسة الكاثوليكية ولم تنضم بعد ذلك التاريخ المذكور الى عضوية أي كنيسة أخرى، فهي تعد نفسها متدينة على وفق طريقتها الخاصة، على الرغم من أنها لم تقدم أي إجابات محددة عن أي شيء، وعندما سئلت عن اعتقادها في "الحياة بعد الموت" أو "الآخرة " أجابت قائلة :(بالنسبة لي هي قضية فرعية، تلهيك عن القضية الأساسية) .

وهذا النجاح قادها إلى البحث من جديد في شؤون الأديان السماوية لتطلع بعمق عن قرب على الأديان الإبراهيمية الثلاثة(اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام)، وهذا الأمر كان قد شغلها كثيرًا في السبع سنوات التي أمضتها في حياة الرهبنة الديرية، ولم تكتف بتجربة الفيلم التسجيلي وإنما استلزم تكليفها السفر الى القدس عدة مرات، وهذا دفعها إلى الملاحظة وطرح الأسئلة على من تعمل في أوساطهم، وعند زيارتها للقدس سمعت من مضيفيها الاسرائيليين يشيرون الى العرب والدين الإسلامي بأكثر التعبيرات ازدراء، فلم تصدق ذلك ولاسيما أنها نشأت تستنكر فظائع الهولوكوست في أثناء الحرب العالمية الثانية وتراود نفسها التساؤلات: كيف لأناس عانوا الكثير من الاضطهاد أن يتورطوا في مثل هكذا أعمال عنصرية، وعن هذا تقول:(لقد صدمني أن أسمع الاسرائيليين لا يدافعون

فقط عن قتل الصغار الذين لا حول لهم ولا قوة بل يعملون أيضًا على تسويغ هذا الأمر، وتقول: كل هذا أتى لينتهي إلى أن أرى جانبًا آخر من القصة، عبر زيارة مناطق المسلمين في القدس، ومن هنا أدركت أن ثمة شيئًا ما تم حذفه عمدًا في أوربا وربما في أميركا أيضًا، وأن الشرق الأوسط والإسلام بحاجة لأن يتم تقديمهما بالشكل الصحيح، بعد أن لطخت المبالغات والتشويهات صفحات تاريخ الكتابة عنهما في الغرب) وهكذا قررت القراءة بعمق في الأديان السماوية من جديد، وجذب انتباهها الإسلام الذي وجدته دينًا يستحق الدراسة والتأمل ويختلف عن الإسلام الذي تقدمه وسائل الإعلام الغربي لشعوبها.

وهذا يعني أن أرمسترونج واجهت أول مرة على أرض الواقع في القدس الديانات الثلاث التي عرفتها من قبل، ولكن في سياق منظومة من القواعد الصارمة التي تحيط هذه المعرفة في الدير فضلًا عن التشويه الإعلامي المعروف للدين الإسلامي، وبدأت في القدس تتأمل في الأحداث التي تدور حولها، وتسأل أهل البلدة عن تاريخها وعن معتقداتهم وكيفية تعايشهم معًا وما يجمع بينهم، وبدأت بإعادة قراءة ما درسته في الدير مرة أخرى عن طريق هذا الواقع الذي تعيشه، وإن طبيعة حياتها السابقة في الغرب ودراستها في الدير منحها رؤية إيجابية متحيزة بطبيعة الحال تجاه اليهودية والمسيحية وشديدة السلبية تجاه الإسلام على الرغم من أنها تقول إن أول من شد انتباهها في الإسلام هو قبوله للتعددية، إذ يمدح القرآن كل الأنبياء السابقين، على الرغم من ذهابها الى أن النبي ﷺ لم يعتقد أنه جاء "بدين جديد" يجب أن يؤمن به كل البشر بل كان يعتقد أنه نبي مرسل للعرب الذين لم يرسل لهم نبي من قبل.

ثانيًا : تكوينها الفكري

وبعدها انطلقت ارمسترونج في عالم الكتابة تركز على مقارنة الأديان في منتصف التسعينيات، وعندما زارت القدس مرة ثانية في سنة١٩٩٦م فهمت الكثير، فتغيرت مواقفها، وبدأت تعرف الإسلام على غير ما قرأت، وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق سنة٢٠٠٣م كتبت مقالًا نشرته صحيفة الجارديان البريطانية ذكرت فيه أن معاناة المسلمين في مناطق مختلفة من العالم مثل جوانتانامو وأبو غريب وفلسطين أدت إلى تضامن الناس والعدالة، وبسبب انشغالنا بما يسمى بصراع الحضارات حدث هذا التوتر الداخلي، وصار هذا قضية دينية للمسلمين عندما يرون إخوانهم وأخواتهم يضطهدون اضطهادًا منظمًا ويذلون حتى يشعر بعضهم بالجرح، كالمسيحي الذي يرى التوراة يبصق عليها أو المضيف القرباني قد انتهك ويلاحظ أنها في ذلك الوقت شاركت في كتابة مسلسل تلفزيوني عنوانه التكوين Genesis وهذا يعني أن زيارة أرمسترونج كان لها أثر كبير في مساعدتها على التوغل بعمق لاكتشاف الاسلام، ويذكر أنها قالت:(زرت القدس وساهمت في برنامج تلفزيوني عن المسيحية، وبدأت أفهم العلاقة الموجودة بين الأديان الثلاثة في هذه البقعة من العالم، ومن هناك بدأت مؤلفاتي عن الإسلام تأخذ طريقها الى النشر) ويلاحظ أنه بعد مضي اثني عشر عامًا على زيارتها الأولى لفلسطين سنة١٩٨٤م، نشرت كتابها الموسوم القدس: مدينة واحدة ــ عقائد ثلاث ــ الصادر سنة١٩٩٦م.

واللافت للنظر أنه في أثناء إقامتها بالقدس تعرفت إلى الإسلام عن قرب وذلك عن طريق سلوكيات مسلمي المدينة البسيطة وحرصهم على إظهار شعائرهم الإسلامية، وتغيرت في ذهنها الصورة النمطية التي سوقها المغرضون في الغرب الأوربي عن الإسلام والمسلمين، ووصفت هذه

الزيارة بأنها "تجربة اختراق" أدت الى تغيير افتراضاتها السابقة، وقدمت مصدر إلهام لكل أعمالها اللاحقة .

وقد واجهت أرمسترونج بسبب زيارتها للقدس حالة جادة من التساؤل والأرق يتمثل في قولها:(لقد أقلقني أن وعيًا جديدًا بدأ يقوض ما خبرته، ونشأت عليه من ثقافة غربية متسقة، ونظام قيمي ارتبط بتلك الثقافة) وليس ذلك فحسب بل تسترسل وتضيف قائلة:(إننا نقدم مجتمعنا كمجتمع متسامح ورحيم، ومع ذلك فإننا نصدر أحكامًا من مواقع شديدة الجهل وتخلو من العقلانية).

والجدير بالذكر أن ارمسترونج في تلك المدة بدأت في اقتفاء أثر ما وصفته بالحكمة الجديدة وأعادت البحث في مسائل اليهودية والمسيحية والإسلام، وحتى ذلك الوقت كانت مصادرها الروحية مستمدة من تعاليم الكنيسة والروافد التقليدية للإعلام والأكاديمية الغربية، إذ أشارت إلى أن جميعها تعرض اليهودية والمسيحية في أفضل صورة إيجابية في الوقت الذي تعطي صورة سلبية قاتمة لكل ما يتعلق بالعرب والإسلام .

ومن هنا كانت نقطة البداية لتضع أرمسترونج حجر الأساس لمدّ أبناء جلدتها بفهم أفضل للإسلام والنبي محمدﷺومن ثم قامت بتمشيط المكتبات واطلعت على أعمال مدارس مقارنة الأديان، وحضرت الندوات والحلقات النقاشية لتعثر على ثروة من الكنوز البحثية والأعمال المفيدة، غير أنها لم تجد شيئًا يناسب القارئ العام الذي لم ينشأ في ظل الثقافة الإسلامية مما حثها على التفكير في تقديم جوانب من الدين الإسلامي، وسيرة الرسولﷺبصورة تناسب القارئ الغربي.

وكان من ضمن الأحداث التي دفعت أرمسترونج للكتابة عن حياة رسول الله محمدﷺقضية الكاتب سليمان رشدي مؤلف رواية "آيات

شيطانية"، الصادرة سنة١٩٨٨م، الذي قوبل بموجات غضب إسلامية عارمة نظرًا لإساءته إلى الرسول وآل بيته، وبينما استاءت أرمسترونج من تلك الفتوى التي أصدرها الإمام الخميني(١٩٧٩-١٩٨٩م) والتي قضت بهدر دمه وناشر كتابه، غير أنها لم يرق لها الطريقة التي تعومل بها مع قضية سلمان رشدي ومناقشتها في انكلترا فقالت:(هؤلاء الصليبيون الجدد يدافعون عن الحق في حرية التعبير، ولكن من موقع الجهل، لقد احتجوا على حرق آيات شيطانية، كما لو كان المسيحيون لم يشعلوا حريقًا من قبل في كتب اختلفوا مع محتواها، لقد اضطررت أن أسال أصدقائي لماذا قوانين الكفر والتجديف لا تطبق في بريطانيا إلا فيما يتعلق بالمسيحية فقط .

وفوق ذلك كله في أثناء إقامتها بالقدس رأت أرمسترونج المسلمين يحرقون الرواية بغضب شديد، في الوقت الذي كانت وسائل الإعلام في الغرب الأوربي تنتقد ذلك الفعل وتطلق عليهم تسمية المتطرفين والمتخلفين، وكأن المسيحيين على حد تعبيرها لم يقوموا أبدًا على مدى تاريخهم الطويل بحرق الكتب التي أثارت حنقهم أو التي لم يتفقوا مع ما جاء فيها، وكان تساؤلها المنطقي: لم تطبق قوانين "عدم المساس بالمقدس" فقط، على ما يتعلق بالدين المسيحي؟ ألا يحق للمسلمين وغيرهم أن يكون لهم مقدساتهم التي لا تمس؟.

ووسط هذه الأجواء المشحونة من فقدان الوعي والتوتر الفكري قررت أرمسترونج سنة١٩٩١م تأليف كتاب محمد: سيرة النبيﷺ الذي سيرد الحديث عنه لاحقًا ــ خصيصًا للقارئ الغربي، وقد رأت ضرورة وجود توافق أكبر بين التراث المسيحي واليهودي والدين الإبراهيمي الثالث: الإسلامي وعملت أفلامًا وثائقية أخرى منها: تنوع الخبرات الدينية Varieties of Religious Experience وألسنة النار Tongues of Fire. وبعدها تحولت إلى دراسة التصوف المسيحي، وتخصصت في دراسة

العقائـد والأديـان، وأصـدرت سلسـلة دراسـات في علـم الأديـان المقـارن .

ثالثًا : موقفها من الرسول محمد ﷺ

تنظـر أرمسـترونج إلى الرسـول ﷺ نظـرة إعجـاب وانبهـار بشـخصيته وأنـه مصلـح اجتماعـي عالمـي تمكـن مـن صنـع السـلام وجمـع الفرقـاء العـرب والعجـم في سـلة واحـدة، وهـذا الجمـع والتوحيـد كان عقـب العـداوات التـي شـاعت بـين بنـي البـشر بشـكل عـام وبـين العـرب بشـكل خـاص، ومـن هنـا رأت المؤلفـة أن القـرن الحـالي الـذي نعيشـه بـما يعتريـه مـن اضطرابـات وقلاقـل أحـوج مـا يكـون إلى محمد ﷺ ليحقـق للبشريـة سـكينتها وائتلافهـا .

وقـد أوضحـت أرمسـترونج في كتابتهـا عـن سـيرة النبـي محمد ﷺ أنها جاءت لمسـاعدة الغـرب الأوربي لفهـم الديـن الإسـلامي، فعـلى الرغـم مـن أنهـا تؤمـن أن الديانـات السـماوية الثـلاث تحمـل رسـالة واحـدة هدفهـا ووسـيلتها الحـب والعدالـة والسـعادة للإنسـان، هنـا عـلى الأرض، إلا أن الديـن مـن وجهة نظرها أصبـح منطقًـا متخـذًا لأغلـب الصراعـات والعـداوات والحـروب الدمويـة في العـالم، وقـد لاحظـت أن الإسـلام مسـتهدف بالكراهيـة بصـورة خاصـة، فعندمـا ظهـر كتـاب آيـات شـيطانية لسـليمان رشـدي رحـب بـه الغـرب ترحابًـا كبـيرًا عقـب ردود فعـل المسـلمين ازاء الكتـاب، وتعلـق بـه المجتمـع الغـربي على الرغـم مـن ازدرائـه لمشـاعر المسـلمين، وهـذا كان السـبب وراء خروجهـا مـن حيـاة الديـر لتبحـث عـن سر هـذه الكراهيـة المعاديـة للإسـلام .

وتعيـد المؤلفـة هـذه الكراهيـة إلى أصولهـا التاريخيـة، عندمـا واجهـت أوربـا تحديًـا إسـلاميًا مـع نشـأة الدولـة الإسـلامية في القـرن الثالـث الهجري/ السـابع الميـلادي، واتسـاع رقعـة الفتوحـات الإسـلامية عـلى حسـاب العـالم المسـيحي، وفرضـت الفتوحـات نفسـها عـلى نشـاط الكنيسـة المسـيحية العظيمـة في شـمال أفريقيـا التـي كان لهـا أهميـة حيويـة لكنيسـة رومـا، وإزاء مـا رآه أبنـاء العالم المسـيحي

حينذاك خطرًا داهمًا تساءلوا عما إذا كان الله قد تخلى عنهم وأبدى رضاه عن الكفار الذين وصلوا الى قلب أوربا...وظل هذا الخوف يتغذى على هجوم علماء الغرب على دين يرونه عقيدة تجديف في الدين، ويصفون محمدا بأنه المدعي الأكبر ويتهمونه بأنه أنشأ دينا يقوم على العنف ويمتشق السيف لفتح العالم، وأصبح اسم محمد (الذي حرف الى ما هو ميت) مثل البعبع الذي يخيف الناس في أوربا، وكانت الأمهات تستعملن اللفظة في تخويف أطفالهن العاصين، وكانت مسرحيات الإيماء تصوره في صورة عدو الحضارة الغربية الذي حارب قديسنا الشجاع سانت جورج، وهكذا ترسخت الصورة الذهنية الزائفة للإسلام إلى اليوم في مخيلة الغرب بل إن المؤلفة تسجل أنها(لا تزال تؤثر في آرائنا ونظرتنا إلى الإسلام الذي يخلو جوهره من العنف والتعصب، فهو دين لا يتصف بأي سمات عدوانية شرقية أو معادية للغرب) .

ورأت أن هدف الإسلام هو بناء مجتمع عادل، وأن محمدﷺهو أول من أقام البناء، فقد فهم المسلمون أن القرآن الكريم كلفهم برسالة تتمثل بإقامة مجتمع عادل وكريم يعامل أفراده باحترام، لذلك كان الصلاح السياسي للمجتمع الإسلامي وما زال أمرًا بالغ الأهمية، وبهذا الصدد قالت:(جسدت حياة النبيﷺالمثالية الإسلامية قديمًا وحديثًا، حيث تكشف سيرته ما غمض من تدبير الله لشؤون العالم والذي يجب على كل انسان مسلم السعي لتحقيقه).

وتصف أرمسترونج الرسولﷺبقولها:(وكان محمد الشاب محبوبًا في مكة، وكان وسيمًا متناسق الجسد، متوسط القامة، وكانت ابتسامته ساحرة، كما ذكرت كل المصادر، وكان حاسمًا مخلصًا في عمله، ويلتفت بكامله لكل من يكلمه، ولا يسحب يده من المصافحة حتى يسحبها الآخر، وثق الناس فيه حتى سموه الأمين)ويلاحظ أن هذا الوصف

مقتبس بالأصل من المصادر الإسلامية لكنها صاغت العبارات بأسلوبها الشخصي كما تقول عن بعض طباع النبي:(وكان رؤوفًا شديد التأثر وعلى قدر هائل من العواطف. لم نقرأ أبدًا أن المسيح قد ضحك، لكننا كثيرًا ما نجد محمدًا يبتسم ويداعب المقربين منه، ونراه أيضًا يلاعب الأطفال، ويختلف مع زوجاته، ويبكي بحرقة لوفاة أحد أصحابه، ويعرض ابنه الوليد مزهوا كأي أب ولع) وفوق ذلك كله تحدثت عن عظمته وعبقريته قائلة:(فنحن إن استطعنا النظر إلى محمد كما ننظر إلى الشخصيات التاريخية العظيمة الأخرى، فمن المؤكد أننا سنراه أحد أعظم العباقرة الذين عرفهم التاريخ، فلأن يأتي محمد برائعة أدبية ويؤسس ديانة عظمى وقوة عالمية جديدة، فتلك انجازات غير عادية).

وتنبهر بشخصية النبي محمدﷺفقالت بحقه ما نصه:(في شخصية محمد ﷺدروس مهمة ليس فقط للمسلمين ولكن أيضًا للغربيين، إذ كانت حياته كلها جهادًا لا تعني الحرب المقدسة ولكنها تعني كفاحًا، فقد كدح محمد ـ بكل معاني الكلمة ـ ليجلب السلام على العرب الذين مزقتهم الحروب، ونحن نحتاج لمن هم مستعدون لعمل ذلك اليوم، كانت حياته حملة لا تكل ضد الطمع والظلم والتكبر، لقد أدرك أن العرب في مفترق طرق، وأن طريقة التفكير السابقة لم تعد تنفع لذلك بذل نفسه في جهاد مبتكر لينشئ حلًا جديدًا تمامًا لكل المشكلات البشرية) أما ما يتعلق بمؤلفاتها عن السيرة النبوية الشريفة فهي .

١- كتاب (محمدﷺ: سيرة النبي)، الصادر في نيويورك سنة١٩٩٢م[1]وقد اشترك في ترجمته فاطمة نصر ومحمد عناني إلى لغة الضاد بـ٤١٧ صفحة سنة١٩٩٨م وترجم الكتاب بعنوان آخر هو الإسلام في مرآة الغرب ـ محاولة جديدة في فهم الإسلام بـ٣٢٨ صفحة سنة٢٠٠٢موهو شهادة

كبرى في حق رسول الله ﷺ والقرآن الكريم والحضارة الإسلامية إذ قالت فيه: (علينا أن نتمثل جميعًا شخصية النبي محمد في تعاملنا مع الناس) ويعد هذا الكتاب واحدًا من أهم كتبها عبر مسيرتها العلمية الطويلة، إذ لقي رواجًا كبيرًا عند صدوره سنة ١٩٩٢م، وترك صدى واسعًا كأحدث الكتب الاستشراقية التي أرخت للسيرة النبوية الشريفة، وأعيدت طباعته مرات عدة، وبلغت مبيعاته ربع مليون نسخة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها في الشهر التالي لتفجيرات نيويورك ١١ ايلول سنة ٢٠٠١م .

تألف الكتاب من مقدمة وعشرة فصول هي، الأول: العدو محمد، والثاني: محمد رجل الله، والثالث: الجاهلية، والرابع: الوحي، والخامس: النذير، والسادس: افتراق الطرق، والسابع: الهجرة: قبلة جديدة، والثامن: الحرب المقدسة، والتاسع: السلم المقدس، والعاشر: وفاة الرسول، هذا فضلًا عن قائمة بهوامش الكتاب ومصادره المعتمدة.

وكان أهمها الفصل الأول: "العدو محمد" الذي عرضت فيه تاريخ العداء الغربي للإسلام ورسوله في العصور الوسطى بسبب دوافع سياسية، إذ رسم الغرب صورة خيالية لمحمد أو "مهاوند" ووضعوا فيها وفي الإسلام كل ما يكرهون، وصولًا إلى رواية آيات شيطانية لسلمان رشدي في العصر الحديث تمثلت فيها كل تلك الملامح البذيئة عن النبي، وأدت الفتوى بقتل رشدي إلى اعادة تلك الصورة القديمة للذهنية الأوربية لاسيما بعد تفجر المذابح الإرهابية الأصولية، وهذا هو الدافع الأهم في تأليف أرمسترونج لهذا الكتاب الرائع كي تؤكد كما جاء في نهاية الكتاب حاجة الغرب ليتخلص من أحقاده القديمة وليقترب أكثر من فهم شخصية محمد الذي" كان ذا عبقرية تستعصي على الإدراك، وقد أسس دينًا وموروثًا حضاريًا لم يكن السيف دعامته ودينًا اسمه الإسلام الذي

يعني السلام والوفاق" وهناك أسباب أخرى لعداوة الغرب للإسلام التي عرضتها أرمسترونج في الفصل الأول متمثلة في الجهل والخوف ثم تحدد تلك الاتهامات التي يتخذها الغرب دوافع للكراهية والازدراء وتتلخص في أن الإسلام دين جهالة وأن محمد مدع مارق على المسيحية واليهودية وأنه أيضًا كان يسعى للكسب السياسي وتحقيق القوة وارضاء شهواته هذا فضلًا عن تصوير الإسلام على أنه دين وشريعة حرب، وأن الحرب هي الطريق الذي يسلكه للانتشار والانتصار .

وتعرض الكاتبة حياة محمدﷺ كما أوردتها كتب السير، ونبذة عن تلك الكتب تبين المؤلفة أن محمدا والإسلام هما الرسول الوحيد والديانة الوحيدة اللذان تم التاريخ لهما في زمن مبكر، وتحلل اسلوب المؤرخين ومنهجهم المتبع في تقصي الروايات الشفهية وأنهم بعد ذلك كانوا يقومون بتصفية تلك الروايات ثم عرض ما يستوثقون من مصداقيته حتى ولو عنى ذلك عرضهم لما لا يتفق مع رؤيتهم الشخصية، وبعد ذلك يتركون للقارئ حرية اختيار الأصلح والأكثر مصداقية .

وذكرت أرمسترونج في الفصل الثاني المعنون "محمد رجل الله" من كتابها المذكور ما نصه : (كان لدى محمدﷺ مواهب روحانية وسياسية عظيمة ــ رغم الصعوبة العملية في الجمع معًا ــ كما أنه كان مقتنعًا أن على كل الأفراد المتدينين مسؤولية إقامة مجتمع خير عادل...وفي حين كان يمتلك محمدًا أحيانًا الغضب، فإنه كان أيضًا رؤوفًا شديد التأثر، وعلى قدر هائل من التعاطف...لم نقرأ أبدًا أن المسيح قد ضحك، لكننا كثيرًا ما نجد محمدًا يبتسم، ويداعب الأطفال، ويختلف مع زوجاته ويبكي بحرقة لوفاة أحد أصحابه، فنحن إن استطعنا النظر إلى محمد كما ننظر إلى الشخصيات التاريخية العظيمة الأخرى، فمن المؤكد أننا سنراه أحد

أعظم العباقرة الذين عرفهم التاريخ...فلأن يأتي برائعة أدبية ويؤسس ديانة عظمى وقوة عالمية جديدة، فتلك انجازات غير عادية...ولكي نوفي عبقريته فإن علينا دراسة المجتمع الذي ولد فيه والقوى التي صارعها).

وقالت في هذا الفصل أيضًا: (كان محمدﷺيتمتع بموهبة سياسية رفيعة القدر، إذ تمكن من تغيير أحوال أمته تغييرًا شاملًا، وأنقذهم من العنف غير المجدي ومن التحلل، ومنحهم هوية جديدة يزهون بها، وبهذا أصبحوا على استعداد لتأسيس حضارتهم المتفردة، ولقد أطلقت تعاليم محمدﷺ مخزون قوة العرب لدرجة أنهم وفي خلال مائة عام امتدت إمبراطوريتهم من جبل طارق إلى الهملايا، وعليه فإن كان النصر السياسي هو الانجاز الوحيد لمحمدﷺفمن حقه علينا أن يحوز إعجابنا بدورها الرعية من شعوب الامبراطورية، وذلك لأنها لبت حاجة روحانية لديها، غير أن محمدًا والمسلمين الأوائل لم يحققوا انتصاراتهم بسهولة كما يحلو للبعض أن يتخيل، ولكنهم اشتبكوا في معارك شرسة يائسة، ولولا أن الاعتبار الأول للنبي ورفاقه المقربين كان للذين ما كتب لهم البقاء، وخلال تلك السنوات الخطرة كان محمدﷺمؤمنًا بالوحي المباشر الآتي من الله لكنه كان عليه أيضًا أن يوظف كل ملكاته الطبيعية، أما المسلمون فقد كانوا يدركون القدرات غير العادية لمحمدﷺويدعون أيضًا أنه قد غير مجرى التاريخ).

ويلاحظ أن المؤلفة تعقد مقارنة بين منهج المؤرخين المسلمين في كتابة السيرة النبوية الشريفة ومنهج المؤرخين الغربيين في تناولهم لسيرة السيد المسيحعليه السلامو تاريخ المسيحية، لذلك كان رأيها منصفًا غاية الإنصاف بقولها: (هؤلاء المؤرخون (المسلمون) لم يعتمدوا ببساطة على أفكارهم الخاصة بل نجدهم يضمنون سردهم للأحداث وثائق مبكرة، ويتتبعون الروايات الشفاهية إلى مصادرها الأصلية، ورغم تبجيلهم لمحمدﷺفإن كتاباتهم عنه

ليست سيرًا من سير القديسين غير النقدية) .

وتسترسل حديثها بالقول:(فنجد ابن سعد وابن اسحاق يوردان أحداثًا غير مداهنة للرسول ﷺ وخاصة أنهم قد سجلوا كل ما قالته عائشة التي كانت تمتاز بالصراحة والجرأة والأمانة، ومن تلك السيرة والتي تتميز بثقتها في طبيعة الشخصية التي يؤرخ لها (تقصد شخصية النبي ﷺ) بالقدر الذي لا يحتاج كاتبوها معها للإغراق في عمليات لتبييضها، يخرج القارئ بصورة واقعية مفحمة عن ذلك الإنسان غير العادي) .

وتواصل قائلة:(ومن الطبيعي القول بأن هؤلاء المؤرخين لم يكتبوا بنفس الاسلوب الذي يتبعه المؤرخون الغربيون المحدثون الذين نراهم كثيرًا ما يوردون أقصوصات يضفون عليها طابع الإعجاز والتي يمكن لنا الآن تفسيرها تفسيرًا مختلفًا لكن هؤلاء المؤرخين (المسلمين) نجدهم يعون طبيعة مادتهم المعقدة، وأيضًا يعون الطبيعة المراوغة للحقيقة).

واشارت: (أن السرد الانجيلي يختلف تمامًا عن السير التي كتبها المؤرخون العرب، فقد عني كتاب الاناجيل بالمغزى الديني لحياة المسيح أكثر من عنايتهم بسرد الوقائع التاريخية، وتعبر تلك الكتابات غالبًا عن احتياجات واهتمامات وعقائد الكنائس الأولى، أكثر من تركيزها على سرد وقائع الأحداث الأصلية، فمثلًا يشير الدارسون المحدثون للعهد الجديد إلى أن السرد الانجيلي لوقائع عذابات المسيح وموته مشوش تشويشًا تامًا، وأن تلك الوقائع قد تم تغييرها...أما أقواله فلم يسجل منها إلا أقل القليل).

أما فيما يتعلق ببقية الفصول التسعة فقد اعتمدت فيه أرمسترونج في فهم الإسلام والسيرة النبوية على القرآن الكريم والمصادر التاريخية القديمة أمثال ابن هشام وابن سعد والطبري، وربطت النصوص القرآنية والتراثية بأحوال الجزيرة العربية، وعقدت مقارنات بينها وبين التراث

المسيحي واليهودي، وذلك في إطار محاولاتها لتقريب الصورة الإنسانية للنبي محمد ﷺ من العقل الغربي ولتصحيح مفاهيم الغرب. وبهذا المنهج نظرت المؤلفة إلى الإسلام بكونه دينًا محليًا مختصًا بالعرب والشرق الأوسط، وقد تأثر بالقيم السائدة في الجزيرة العربية. وهذا ما نختلف فيه معها، ولكن باستثناء ذلك كانت موضوعية ومنصفة في كل ما قالت، فعلى سبيل المثال لا الحصر اشارت إلى عقلانية الإسلام التي لم ينشأ عنها صراع بين البحث العلمي والمرجعية الدينية بمثل ما حدث في أوربا، كما أن تلك العقلانية أسهمت في إقامة تراث علمي بين المسلمين تأثرت به أوربا في العصور الوسطى على الرغم من كراهيتها للإسلام والمسلمين، فضلًا عن أنها أشادت ببعض الحقائق الإسلامية التي يجهلها الغرب أمثال حقوق المرأة ومساواتها بالرجل وعدالة الإسلام الإنسانية والاقتصادية، ودافعت عن الإسلام والرسول في موضوعات أساء الغرب فهمها ولاسيما في تعدد لزوجات النبي والمسلمين ومسألة الجهاد في الإسلام، وفوق ذك كله دافعت عن الإسلام والنبي في بعض الألغام التي وردت في التراث مثل روايات قتل أسرى من بني قريظة وزواج النبي من زينب بنت جحش، وشككت في رواية الغرانيق التي اعتمد عليها سلمان رشدي في آيات شيطانية.

وفوق ذلك كله فهمت من القرآن الكريم حقائق إسلامية ما زالت غائبة عن عدد من المسلمين المعاصرين مثل أن معنى الإسلام هو الاستسلام والانقياد لله وحده وان التوحيد يعني نبذ الأولية المقدسة مع الله والاكتفاء بالله تعالى ربًا، إذ كانت الجاهلية تعرف الله ولكن تتخذ معه الأولياء والأرباب، وأشارت إلى أن القرآن هو معجزة النبي الوحيدة، ولذلك قامت بتفسير شق الصدر والغمامة وغيرهما من المعجزات الواردة في التراث بتفسيرات تبريرية مقارنة، وتناثرت بين كتاباتها عبارات التقدير والتبجيل للنبي محمد

ﷺ، إذ تعده أعظم العباقرة في التاريخ، إذ جمع العرب على عقيدة التوحيد في٢٣سنة في حين استغرق ذلك من أنبياء بني اسرائيل سبعمائة سنة، وكان مثالًا للرقة والشفقة، ولم يكتف بالدعوة وإرساء أمل جديد بل جاهد من أجل اقامة مجتمع عادل وتمكن من تحقيق ذلك الاعجاز في نهاية حياته، إذ قضى على العنف القبلي والوثنية وجعل العرب مستعدين لبدء مرحلة العالمية داعية إلى اعتماد أمرين الأول: القاعدة الذهبية التي جسدها القران الكريم في قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾وتنفيذها عالميا للحصول على عالم قابل للحياة، هذه هي مهمة جيلنا وواجب علينا جميعًا تفحص تقاليدنا لإيجاد هذا التعاطف ونجعله يتحدث إلى العالم والأمر الثاني: الامتثال لسيرة محمد قدوة للعالم بأسره وعلينا أن نتعلم كيف كان النبي يتعامل مع اعدائه ويقابل الاساءة بالإحسان والتصرف بحكمة مع من يضطهدونه والرد بالأدب والسماحةوالأدهى من ذلك هو الفرق الشاسع بين دفاع أرمسترونج عن النبي والإسلام وبين ما يفعله بعض المسلمين العلمانيين الذين كتبوا عن حكومة قريش ومجتمع يثرب في عهد النبي ومبعث الأسى أن الروايات التراثية هي نفسها ولكن استخدامها هو الذي يتغير حسب الموضوعية أو الهوى، وتبعًا لذلك الاستقطاب السياسي الراهن الذي يجعل العلمانيين والأصوليين السياسيين يتجاذبون الإسلام فيما بينهم في صراع سياسي يضر بالإسلام والمسلمين.

وكتبت المؤلفة في الفصل التاسع "اخلاق نبوية" عن الرسول قائلة: (الواقع أن محمدﷺقدم نموذجًا رفيعًا للتآخي في سلوكه الشخصي، فالرجل الذي كان أعداؤه يزدادون فرقًا منه ووجلًا، كان يحظى بحب عميق بين أفراد الأمة والتي كانت رغم الخطر الدائم الذي تواجهه تمثل مجتمعًا ينعم

بسعادة غامرة، كان محمدﷺيرفض أن يقيم فجوة من الاعتبارات الشكلية أو الرسمية بينه وبين غيره من المسلمين، وكان يكره أن يخاطبه أحد بالقاب التشريف الطنانة، وكثيرًا ما كان يشاهد وهو جالس على سجيته ودون تكلف على الأرض في المسجد، وكثيرًا ما كان يختار أن يجالس أفقر أفراد المجتمع، وكان يحظى بحب الأطفال بصفة خاصة، فكان دائمًا ما يحملهم بين يديه ويعانقهم ويقبلهم، وعندما كان يخرج في احدى الغزوات كان من عادة الأطفال أن يخرجوا لاستقباله عند عودة قوة الغزو فكانوا يسيرون أمامه في موكب النصر حتى يصل إلى الواحة، وكان إذا سمع طفلًا يبكي في المسجد في أثناء صلاة الجمعة، كثيرًا ما ينهي الصلاة قبل الموعد المفترض انتهاؤها فيه لأنه لم يكن يطيق أن يتصور الحزن الذي تكابده أم الطفل، وإذا كانت القوانين(الأحكام) التي جاء بها القرآن تبدو بالغة الصرامة لنا اليوم، فقد كان المعروف عن النبيﷺنفسه أنه رحيم لين الجانب).

وتسترسل أرمسترونج حديثها قائلة: (لقد دأبنا في الغرب على مر القرون أن نتصور محمدًاﷺفي صورة الرجل الجهم والمحارب القاسي والسياسي البارد، ولكنه كان على العكس من ذلك رجلًا يتميز بأقصى درجات الشفقة ورقة المشاعر، فكان على سبيل المثال محبًا للحيوان، إذا رأى قطة نائمة على بردته تركها وكره أن يقلقها، وقد قيل إن أحد معايير تقدم المجتمع هو موقفه من الحيوان وجميع الأديان تحث الناس على حب العالم الطبيعي واحترامه، وكان محمدﷺيحاول تعليم المسلمين هذا السلوك، كان العرب في الجاهلية يعاملون الحيوان معاملة بالغة القسوة، فكانوا مثلًا يقطعون قطعًا من لحمها ويأكلونها وهي ما تزال حية، ويضعون قلائد مؤلمة حول أعناق الأبل، وقد حظر محمدﷺوصم الحيوانات وصمًا يتسبب في إيلامها، وحظر تنظيم مسابقات اقتتال الحيوان، وجاء في الأثر أنه قال:

(إن رجلًا سقى كلبًا يعاني من العطش فدخل الجنة، وأن امرأة حبست قطتها فماتت جوعًا فدخلت فيها النار، وهذه الأحاديث التي وصلت الينا، تدل على مدى الأهمية التي اكتسبتها تلك القيم في العالم الإسلامي، ومدى السرعة التي تقدم بها المجتمع نحو رؤية تتميز بمزيد من التراحم الإنساني والتعاطف والشفقة).

وتحدثت أرمسترونج في الفصل العاشر المعنون "وفاة الرسول" قائلة:(لقد كان الإسلام دائمًا دينًا واقعيا وعمليًا، يرى أن الذكاء الإنساني والإيحاء الإلهي يعملان جنبًا إلى جنب في توافق، وفي عام ٦٣٢م، بدا كأن إرادة الله على وشك التحقق في بلاد العرب، وخلافًا لأنبياء كثيرين سابقين، فإن محمدًا ﷺ لم يأت فقط برؤية أمل جديدة للأفراد من الرجال والنساء، لكنه أيضًا اضطلع بمهمة خلاص المجتمع الإنساني وإقامة مجتمع عادل يمكن البشر من الرجال والنساء من تحقيق امكانياتهم الفعلية، وأصبح للانتصار السياسي منزلة تشابه منزلة القربان المقدس عن المسيحيين، فقد كان آية للحضور الإلهي غير المرئي وسطهم، وهكذا فقد كان على النشاطات السياسية أن تستقر كمسؤولية مقدسة، وأصبح النجاح اللاحق للإمبراطورية الإسلامية آية على أنه بالإمكان خلاص البشرية جمعاء، وبدلًا من أن يتجول بطريقة لا دنيوية بين تلال الجليل مبشرًا وشافيًا، كما فعل المسيح في تصوير الكتاب المقدس له، كان على محمد ﷺ أن يشتبك في جهد سياسي شاق لإصلاح المجتمع، كما كان على تابعيه أن يتعهدوا بمواصلة النضال...وبدلًا من تكريس الجميع لجهودهم في إعادة بناء حياتهم الشخصية الخاصة في سياق السلم الروماني القائم، كما فعل المسيحيون الأوائل، اضطلع محمد وصحابته بمهمة تجديد مجتمعهم، الأمر الذي بدونه لم يكن يتحقق أي تقدم أخلاقي أو روحي).

وتواصل المؤلفة حديثها:(وبعد وفاة محمدﷺكان النجاح المستمر للمشروع الإسلامي مبررًا للجهد السياسي، وغدا برهانًا في أن اعادة تنظيم المجتمع وفقًا لمشيئة الله، تؤدى إلى سيادته، فما لبثت الجيوش العربية أن أسست امبراطورية امتدت من جبال الهملايا حتى جبال البرانس... وبعد حوالي مائة عام من وفاة الرسولﷺبدأ الخلفاء في تشجيع اعتناق الآخرين للإسلام، وبدأوا يدخلونه أفواجًا مما يبرهن على أن القرآن أجاب احتياجات القوم الدينية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، كما برهن أيضًا على أن الإسلام أمكنه استيعاب حكمة الحضارات القديمة الأخرى وسرعان ما أقام إرثه الحضاري المتميز).

وقالت: (وهكذا يعد محمدﷺعلى المستوى الرمزي، الانسان الكامل أو النموذج الإنساني الأمثل، وصورة التلقي الكامل لله، ومن هنا تأتي الأهمية التخيلية للاعتقاد في أمية محمدﷺلأنها تبين انفتاحه الكامل على الكلمة الإلهية، وكذلك ينظر لمرحلة الإسراء على أنها المثال الكامل للفناء في الله الذي يتحدث عنه المتصوفون).

وتختم أرمسترونج كتابها المذكور بقولها:(هذا وإن كان المسلمون اليوم بحاجة إلى فهم الموروثات، والمؤسسات الغربية بدقة أكثر، فإننا في الغرب بحاجة أن نخلص أنفسنا من بعض أحقادنا القديمة، ولعل شخص محمد ﷺيكون مناسبًا للبدء، فقد كان رجلًا متدفق المشاعر، ذا شخصية قوية، وقد أتى ببعض الأفعال التي نجد صعوبة في تقبلها؛ لأنه كان ذا عبقرية تستعصي على الإدراك، وقد أسس دينًا وموروثًا حضاريًا لم يكن السيف دعامته، كما تزعم الأسطورة الغربية، ودينًا اسمه الإسلام ذلك اللفظ ذو الدلالة على السلام والوفاق)وليس ذلك فحسب بل تقول في ختام رسالتها :(إن محمدًا لم يمت، فهو يعيش في وجدان كل مسلم وفي أسلوب

تفكيره وممارسته الحياتية اليومية، أي أن شخص محمد بالنسبة للمسلمين هو الهوية: الماضي والحاضر والمستقبل، ثم تنتهي بقولها إن محمدًا أتى بالإسلام، والإسلام دين سلام ووفاق، وإنه لن يختفي أو يذوى، وإن بقاءه في عنفوانه وقوته هو خير للبشرية، لأنه يدعو كما دعا محمد إلى إرساء قواعد الحب والعدل والسلام الإنساني).

وهكذا انتهت أرمسترونج في آخر كتابها إلى التأكيد ـ بعد الدراسة والمناقشة ـ أنه(ﷺ)ـ "يعد الإنسان الكامل" وبدورنا نقول إنه الأكمل والأعظم كما جاء في كتاب المائة الأوائل أولهم محمد(ﷺ)للعالم الأمريكي مايكل هارت **Michael Hart**.

وبخصوص المنهج المعتمد في كتابها تقول أرمسترونج:(أما المنهج الذي اتبعته فهو يختلف بعض الشيء، وكانت نقطة انطلاقي هي أننا نعرف عن محمد أكثر مما نعرف عن مؤسس أي دين من الأديان الأخرى، وأن دراسة حياته يمكن أن تهبنا إدراكًا عميقًا ومهمًا لطبيعة التجربة الدينية. فجميع الأديان تمثل حوارًا بين حقيقة مطلقة تستعصي على التعبير، وبين الأحداث الدنيوية، وفترة نبوة محمد تتيح لنا أن نفحص هذا الحوار فحصًا أوثق مما يتيسر للباحثين في العادة...ولقد استندت كذلك إلى أحداث شتى في حياة النبي لإيضاح ما تؤكد عليه التقاليد الإسلامية تأكيدًا شديدًا، وجميع الأديان الكبرى تتناول عددًا كبيرًا من الموضوعات نفسها ولكن كلا منها يتميز ببصيرة نافذة خاصة به، وهكذا فسوف يكون علينا أن ننظر في الأسباب التي تدعو المسلمين إلى اعتبار السياسة واجبًا دينيًا).

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب اكتسب أهمية من التوقيت الذي صدر فيه، فقد جاء في وقت يتعرض فيه الإسلام لأخطر الحروب الباردة، وهذا عبرت عنه أرمسترونج قائلة:(يبدو أن حربًا باردة ضد الإسلام توشك أن

تحل محل الحرب الباردة التي كانت ضد الاتحاد السوفيتي) على أن هذا الكتاب لا يقتصر على انصاف النبي محمد فقط وانما يزداد منه المسلم معرفة بدينهوكان تأليفه ردًا على كتاب الكاتب البريطاني الهندي الأصل سلمان رشدي روايته آيات شيطانية الصادرة سنة١٩٨٨م، التي تهجم فيها على الإسلام والكعبة المشرفة وأساء إلى نبينا محمدﷺ مما دفع أرمسترونج إلى دراسة حياة النبي محمدﷺوأخرجت للعالم كافة كتابها المذكورولاسيما أن أرمسترونج كانت تدرك جيدًا أن شخصية الرسول الكريم مثيرة للجدل في الغرب بل إنها الشخصية المحورية التي تشكل العامة آراءها عن الإسلام إذ تعتقد الكاتبة أن النبي محمد أسهم في التجربة الروحية للإنسانية، وإنه من الإنصاف الإقرار بهذه الحقيقة، وهذا دعاها إلى تأليف كتابها المذكور، وتقر بأن الكراهية القديمة للإسلام تواصل ازدهارها على جانبي المحيط الأطلسي، ولم يعد يمنع الناس أي وازع عن مهاجمة ذلك الدين، حتى ولو كانوا لا يعرفون عنه إلا أقل القليل.

فالكتاب هو دراسة قامت بها أرمسترونج ونشرتها إبان موجة الكراهية والعداء للمسلمين والإسلام التي انفجرت في الغرب بعد نشر سلمان رشدي للآيات الشيطانية وقد اتخذت من ردود فعل المسلمين الغاضبة ازاءه، ومن ترحيب الغرب المبالغ فيه بالكتاب الشيطاني وما صاحبه من موجة كراهية للإسلام والازدراء لمشاعر المسلمين منطلقًا لكتابها سيرة النبي محمدﷺ، فهي تثبت فيه بالأدلة القاطعة والبراهين الواضحة أن أسباب الحقد والكراهية والعنف الذي تشهده الساحة الدولية يرجع إلى السيطرة الغربية على الشعوب والأفراد، وأن تلك الأحقاد تعود أساسًا إلى المفاهيم الخاطئة التي تروجها العناصر المغرضة التي تستهدف توسيع الفرقة واحداث القطيعة بين الإسلام والغرب.

وأكدت المؤلفة في كتابها هذا أن الإسلام هو دين السلم والتسامح،

وتنفي عن الرسول ﷺ الاتهامات التي وجهها اليه بعض المتعصبين العنصريين في الغرب الأوربي أمثال الكاتب سلمان رشدي والمستشرق البريطاني الأصل الأمريكي الجنسية برنارد لويس وعالم السياسة الأمريكي مارتن كرامر Martin Kramer وغيرهم، وتبرز عبقرية النبي محمد ﷺ وترى انه رجل تربى يتيمًا وعاش كسائر البشر انساناَ بسيطًا متواضعًا آمن برسالته وأخلص لها واتبع طريق الحق، ثم غادر الحياة الدنيا في هدوء بعد أن حقق اعجازًا بشريًا غير مسبوق... ولم يمت في ساحة القتال او في مقعد الملك وأبهة الأباطرة، وبقي بعد وفاته يعيش في الوجدان الإنساني لما جاء به من تعاليم سامية أرست قواعد السلام والوفاق والعدل الإنساني وحققت الخير للبشرية جمعاء .

والجدير بالذكر أن الكتاب موجه بالأساس إلى القارئ الغربي وليس إلى القارئ العربي المسلم، وتأتي أهميته من أن مؤلفته تقدم رؤيتها في كتابها هذا وتبرهن على أن الكاتب لكي يقنع فعليه أولًا أن يقتنع وهو لن يقتنع إلا إذا اتته فرصة الرؤية الموضوعية، وهذه الرؤية الموضوعية لن تأتي إلا إذا خلص الإنسان نفسه من رواسب التنشئة وعوائق اللاوعي الفردي والجماعي وليس ذلك فحسب بل يهدف بخطاب عقلاني إلى معرفة الحقيقة، وينزع عنها أساطير ومفاهيم مغلوطة وانحيازات أدت إلى اتخاذ مواقف إزاء الآخر وهم المسلمون والإسلام وأغلب هذه المفاهيم موروثة عن القرون الوسطى.

فالكتاب إذن موجه في بالدرجة الأولى للقارئ الغربي الحديث، مسيحي الحضارة والديانة عقلاني التوجه، تبين فيه المؤلفة أن عداوة الغربيين للإسلام والنبي محمد ﷺ ونعتهم بالعنف والهمجية والتخلف يناقض ادعاء الغرب من عقلانية وتسامح فكري وعقدي مرجعة أسباب هذه العداوة إلى الجهل والتخلف والأساطير التي أصبحت لها مصداقية لديهم، علمًا

أنها لا تقدم معلومات جديدة عن حياة الرسول ﷺ واعتمدت في معلوماتها على كتب السير والتراجم التي دونت في القرون الأولى.

وهذا الكتاب كان تجلية علمية لعوامل كراهية أبناء جلدتها ــ لأنه لم يحدث قبل ظهور الاتحاد السوفيتي في القرن الماضي ــ أن واجه الغرب تحديًا متواصلًا يوازي التحدي الذي واجهه الإسلام والمسلمون، على أن الغربيين لم ينسوا أصلًا أنه عندما نشأت الدولة الإسلامية قبل خمسة عشر قرنا كانت أوربا ما تزال متلفة حينذاك، وعندما امتدت الفتوحات الإسلامية بسرعة إلى معظم مناطق العالم النصراني في المشرق والمغرب، وأعقبها في العصر الوسيط الفشل الذريع والصفعة المؤلمة للمشروع الفرنجي لبلاد المسلمين في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين لتحل مفاجأة أخرى بعدها وهي دخول الإسلام إلى قلبها من بوابة أخرى على يد العثمانيين.

ولهذه الأسباب ترى أرمسترونج أنه يتعذر على الغربيين بسبب مرارة الخوف والهزيمة النكراء الالتزام بالعقلانية أو الموضوعية ازاء العقيدة الإسلامية، ولذلك وضعوا للإسلام صورة مشوهة عكست دوافع قلقهم وحقدهم الدفين وزادت المشكلة تعقيدًا في العصر الحديث، إذا بدأ المسلمون للمرة الأولى في تاريخهم بإضمار كراهية قوية للغرب الأوربي كنتيجة منطقية لسلوك الأوربيين والأمريكيين في العالم الإسلامي في حقب الاحتلال المخزية.

وتواصل المؤلفة حديثها في تمييزها الحصيف بين الإسلام وممارسات بعض المنتسبين اليه، مما جعل الناس في أمريكا والغرب الأوربي يكرهون الإسلام نفسه دون أن يدركوا أن النصوص والتشريعات مهمة في القرآن تخالف ذلك ولكن أجهزة الإعلام والصحافة لا توفر للأسف المعلومات الصحيحة.

ويلاحظ أن روح الإنصاف التي تتجلى بقوة في كتابات المؤلفة

أرمسترونج هي السبب وراء دعوة أبناء جلدتها عدة مرات إلى الاطلاع على الإسلام في مصادره الأصلية بعيدًا عن الأحكام الجاهزة، ومحاورة المسلمين بعقلانية واحترام.

والكتاب منصف انصافا كبيرا، فهو يتعامل مع النص القرآني في سياقه، وسياق الأعراف البدوية وقتها، وتحديدًا العسكري، غير أنه يتعامل مع النبيﷺعلى أنه شخص بدوي ذو ذكاء خارق ونية طيبة لتغيير أحوال العرب لا رسول يوحي الله له، فأحيانا تصف نوبات الوحي بأنه صمت عميق لبحث مسألة ما، لكنها تقف عاجزة ولا تجد تبريرًا لبعض الأحداث مثل صلح الحديبية الذي كان وحيًا من أوله لآخره، فهي تصفه بالمغامرة السياسية مرة، وبالمخاطرة شوقًا لمكة والكعبة مرة أخرى.

ومهما يكن من أمر فالكتاب كان محاولة جادة لإنصاف الإسلام وحضارته وبيان حقيقته للأوربيين الذين تعرضوا باستمرار لحملات فكرية دعائية هدفها تشويه الإسلام في أذهانهم على أن كتابها هذا امتاز بأسلوبه السلس البسيط والتناول الموضوعي الموثق بالمصادرفكان بذلك أفضل كتاب أجنبي صدر عن رسول الإسلام محمدﷺحتى الوقت الحاضر وليس ذك فحسب بل عُدّ أفضل ما كتب في سيرة النبي محمد سواء أكان من المسلمين أو من غيرهم، فالمسلمون يصورونه على أنه الرجل الكامل، وغير المسلمين يبدون كأنهم في حالة حرب مع هؤلاء الذين يدافعون عنه، أما أرمسترونج فهي "تكتب عنه باحترام دون هجوم أو تقديس" ويعد كتابها سيرة النبي محمدﷺأول كتبها دفاعًا عن نبينا الكريم.

٢- أما كتابها الآخر والأهم(محمد نبي لزماننا)المطبوع في نيويورك سنة٢٠٠٦م ويعد كتابها الثاني عن أشرف انسان وأفضل رسول، سيد البشر محمدﷺ، وضم هذا السفر خمسة فصول، الأول: عن مكة المكرمة، والثاني: عن عصر الجاهلية،

والثالث: عن الهجرة النبوية الشريفة، والرابع: حول الجهاد في الإسلام، والخامس: عن السلام في الإسلام وقد ترجمته فاتن الزلباني إلى العربية بعنوان محمدﷺنبي لزماننا سنة٢٠٠٨م وقد قدمت فيه المؤلفة أرمسترونج عرضًا يتميز بغزارة المعلومات ولكن دون اسراف في التفاصيل.

٣- وتوضح أرمسترونج أن هذا الكتاب جاء بعد مضي خمس عشرة سنة على صدور كتابها الأول سيرة النبي، وأن مؤلفها الثاني الجديد هذا مختلف كليًا عنه، وأن كتابها الأول لم يعد يفي بالغرض ومتطلبات المرحلة بعد هجمات١١ ايلول، إذ اقتضت الحاجة في نظرها إلى التركيز على مجالات أخرى من حياة محمدﷺلأن هذه الأحداث زادت من العداء للإسلام ونبيه، على أن هذا الكتاب لم يكتب مثله في عصر، ونجح في احداث صدى كبير في أوساط المثقفين في الغرب الأوربي عامة لتكتمل الرؤية حول مكانة هذه الباحثة وعملها، ونجح في توضيح بعض الجوانب من عظمة النبي محمدﷺالانسانية لمن يحاولون تجريده من انسانيته مؤكدة مرة أخرى للعمي الصم في الشرق والغرب أن محمدًاﷺشخصية مجاوزة للزمان على الرغم من أن نهجها في كتابها الأول محمد: سيرة النبي جاء على العكس من كتابها الثاني محمد: نبي لزماننا محبطًا في أسلوب عرضه، فقد حاولت أرمسترونج في كتابها الأول أن تظهر في موقف المدافع عنهﷺضد هجمات بعض الكتاب الغربيين الشرسة، ولكن جاء هذا الكتاب الثاني يحمل نبرة حادة بل هجومية أحيانًا في بعض صفحاته وفصوله وهو ما يخالف نهجها في الكتاب الأول بشكل واضح حسب رأي إحدى الباحثات.

والجدير بالذكر أن صدوره كان عقب عاصفة الرسوم الهوجاء المسيئة للرسول الكريم في الصحف الدنماركية والفرنسية وتجديد بابا الفاتيكان بندكت السادس عشر الإساءة إلى الرسول واجتياح ثورة الغضب العالم

الإسلامي مرة أخرى بسبب هذه الاساءات المتكررة ضد خير البريةﷺ، وفي خضم تلك العواصف الهوجاء وهذه الأجواء المظلمة ينبثق شعاع مضيء من قلب هذه الغوغاء مصحوبًا بصوت الحق يدوي في أرجاء المكان ويضرب في أعماق الزمان: ارفعوا أيديكم وكفوا ألسنتكم عن محمد، فنحن بحاجه إليه، وكان هذا الشعاع هو ظهور كتاب محمد نبي لزماننا بقلم المؤلفة أرمسترونج الذي كان صوت الحق الذي علم بواطن السيرة النبوية وسبر أغوارها.

وتعترف أرمسترونج بجرأة وحيادية فتقول:(لدينا في الثقافة الغربية تاريخ طويل من الرعب من الإسلام (إسلاموفوبيا) يرجع لأيام الصليبيين، فقد صمم رهبان مسيحيون من أوربا في القرن الثاني عشر، على أن الإسلام دين عنف انتشر بالسيف، وأن محمدًاﷺكان دجالًا فرض دينه على العالم الرافض بقوة السلاح، وكانوا يسمونه فاسقًا ومنحرفًا جنسيًا، أصبحت هذه القصة المشوهة عن حياة النبيﷺواحدة من الصور النمطية المقبولة في الغرب، وكان من الصعب على الغربيين رؤية محمدﷺفي موضوعية، ومنذ تدمير مبنى التجارة العالمي في١١ ايلول سنة٢٠٠١، استمر أعضاء من اليمين المسيحي في الولايات المتحدة وبعض قطاعات وسائل الإعلام الغربية في هذا العداء التقليدي، مدعين أن محمدًاﷺمدمن حرب بطريقة لا يمكن شفاؤها).

وتقول فيه :(إن في شخصية محمدﷺالنموذجية دروسا مهمة ليس للمسلمين فقط ولكن أيضًا للغربيين، حيث حياته كلها جهاد، وهذه الكلمة لا تعني الحرب المقدسة، لكنها تعني كفاحًا كدح محمدﷺبكل معنى الكلمة ليجلب السلام على العرب الذين مزقتهم الحروب، ونحن نحتاج لمن هم مستعدون لعمل ذلك اليوم، كانت حياته حملة لا تكل ضد

الطمع والظلم والتكبر، لقد أدرك أن العرب في مفترق طرق، وأن طريقة التفكير السابقة لم تعد تنفع، لذلك بذل نفسه في جهاد مبتكر لينشئ جيلًا جديدًا تمامًا، لقد دخلنا تقويمًا تاريخيًا في١١ سبتمبر، ولا بد أن نكافح بمستوى مماثل لتطوير وجهة نظر مختلفة) وتسترسل حديثها قائلة:(يكفي هذا الرجل ــ وتقصد النبي محمدﷺأنه استطاع توحيد قبائل متناثرة غارقة في الثأر والتناحر وعادات وأد البنات ليجعل منهم قوة صنعت أكبر امبراطورية في العالم، ونشرت دينًا لم يرتد الناس عنه بعد خروج العرب من بلادهم) كذلك تقول:(لا يمكننا أن نتحمل اطلاق العنان لهذا النوع من التعصب الأعمى، لأننا بذلك نقدم هدية للمتعصبين الذين يستخدمون هذه الأقاويل لإثبات أن الغرب في حرب صليبية ضد العالم الإسلامي، لم يكن محمد قط رجل عنف، لا بد أن نقترب من حياته بطريقة متوازنة حتى نستطيع تقدير انجازاته المعتبرة، إن تكريس هذا الإجحاف غير الدقيق يدمر التسامح والتحرر والعاطفة التي يفترض أنها تشخص الحضارة الغربية).

وتأتي أهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية من أنه نشر في وقت مهم واحوج ما يكون له المسلمون حينذاك وأنه ترك صدى ايجابيا واسعا بين مثقفي الغرب عامة، ونجح في توضيح جوانب كثيرة من عظمة نبينا محمدﷺالإنسانية لمن يحاولون أن يجردوه من إنسانيته فضلًا عن أنه كتاب خاطب النزاع المركزي في عصرنا مباشرة، إذ يرى بعض المفكرين المسلمين أن الجهاد ضد كفار مكة كان أهم أعمال سيدنا محمد وينسى ملاحظة أنه شجب الحرب في النهاية وتبنى السياسة السلمية كما نظر النقاد الغربيون إلى نبي الإسلام على انه رجل حرب وأخفقوا في رؤية أنه عارض التكبر والغرور الجاهلي، وهذا لا يثير عدوان عصره فقط بل كثير من الأدلة أكدت أن بعض الزعماء الغربيين والمسلمين اليوم متشابهون،

أما أرمسترونج فخرجت عن طريقتهم التقليدية بتوازن من منظور عادل في حياة نبينا محمد بإسناد سيرته على ما فعله ضد الجاهلية ووضحت أنه يرفض كل الميزات الجاهلية وهكذا تمكنت أرمسترونج عبر فصول الكتاب من تقديم رؤيتها تجاه محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ومدى حاجة البشرية لرسالته الإلهية وتعاليمه الإنسانية من أجل إنقاذ العالم من مهالك الحروب التي أحرقت الملايين وأوشكت أن تهلك الآخرين فكان كتابها محمد نبي لزماننا هو الثاني الذي أصدرته بعد كتابها الأول سيرة النبي محمدﷺ دفاعًا عن نبينا الكريم.

لذلك لاقى هذا الكتاب نقدًا مِن كبار المؤرخين والكتاب الأوربيين أمثال المستشرق برنارد لويس الذي قال مندهشًا :(التقطت هذا الكتاب بالرغم من أنني ملحد ظللت بدون تعاطف، ما سبق ان كان عندي أي تعاطف لأي دين بالرغم من أنني احترم حقوق الأخرين في اعتقاداتهم، فقد كنت أبحث عن المعلومات لأنني قلق من انتشار دعاية الحقد ضد المسلمين في اجهزة الإعلام، وإذا أخبروني بأنني يجب أن أكره شيئًا فأنني أريد أن أعرف لماذا ؟ كتاب غني بالمعلومات المفيدة ومقدمته متعاطفة تجاه النبي محمدﷺوعن طريق سياق الكتاب أيضًا، نلاحظ أن كارين أرمسترونج مؤرخة دينية، تكتب سيرة هنا سيرة النبي محمدﷺثاني مرة في هذا الوقت بنية واضحة لمقاتلة إرهاب الإسلام المنتشر في الغرب).

ويواصل لويس تعليقه على كتاب أرمسترونج ويرى أنها تتبع ارتفاع الإسلام في بلاد العرب في القرن السابع الميلادي، وتنظر سريعًا في ارتفاع التوحيد في المدن الصاعدة حديثًا ولاسيما في مكة وظهور الإسلام من تلك البقعة، كما أن معجزات النبي محمدﷺ، كان لها الفضل مع القرآن الكريم في توحيد العرب، وتصف أرمسترونج الصراع لمدة عقد بين مكة

المكرمة والمدينة المنورة، بأنه كان كفاحًا اقتصاديًا وسياسيًا، أخذ الشكل الديني والنصر النهائي لمسلمي المدينة المنورة، ثم تعارض أرمسترونج برد محتمل ومقنع ما يذكره العلمانيون من السمات الدينية التاريخية، ويقررونه من أن الحروب والتغيير بالسيف أمور ضرورية لانتشار الدين، لكنها تؤكد أنها ليست أجزاء ضرورية في انتشار الإسلام وتصف آراءهم بأنها وصمة وادعاء نابع من الخوف والحقد.

كما علق المؤرخ الأمريكي ستيفن دو بيكهام قائلًا:(كتاب كارين أرمسترونج يعطينا مقدمة مختصرة لحياة محمدﷺوفي النهاية تعرض حافزها: "إذا كنا نريد أن نتفادى كارثة مدمرة بين العالم الإسلامي والمسيحي، فإنه يجب أن نتعلم ليس مجرد أن نتحمل ولكن أن يقدر كل منا الآخر" شكرًا لكارين أرمسترونج على ملخص نظرة صافية من الفكر وحذرة في حياة محمدﷺ، وأصول الإسلام.

وترى الباحثة الأمريكية سيسيليا كورديرو إنغيلز Cecilia Cordeiro Engels أن الكتاب المذكور خاطب النزاع المركزي في عصرنا مباشرة، إذ يرى بعض المفكرين المسلمين ان الجهاد ضد كفار مكة أهم أعمال محمد ﷺوينسى ملاحظة مهمة أنه شجب الحرب في النهاية وتبنى السياسة السلمية، وهي تقصد العفو النبوي: اذهبوا فأنتم الطلقاء، كما أنها تنتقد النقاد الغربيين الذين يرون أن النبي محمدﷺرجل حرب ويخفقون في رؤية أنه عارض التكبر والغرور الجاهلي وهذا لا يثير عدوان عصره فقط، بل كثير من الأدلة تؤكد أن بعض الزعماء الغربيين والمسلمين اليوم متشابهون وتسترسل انغيلز حديثها عن كتاب أرمسترونج مشيرة إلى أنها تكشف عن نبي إنساني جدًا، فهو رجل كافح بإيمانه وثقافته ضد أعدائه وتوازن بين التعليمات "السهلة" للإسلام (التحمل، الكرم، إلخ...) و"التعليمات

الصعبة" (الجهاد) لأن أكثر العقول المسيحية تفضل التفادي، وتنهي كارين الكتاب ــ والكلام لانغيلز ــ ببعض النصائح الجيدة "إذا كنا نريد أن نتفادى الكارثة بين العالم الإسلامي والغرب، فيجب أن نتعلم أنه ليس المطلوب مجرد التحمل، بل كذلك تقدير كل منا للآخر.

أما المؤرخ اليهودي إفرايم كارش فسجل انتقاده لكتاب أرمسترونج واتهمها بالتحريف بسبب موضوعيتها في معالجة قضية بني قريظة التي لم تعجبه فاستشاط غضبًا عليها لخشيته الشديدة من رد الفعل الإيجابي للكتاب لدى المسيحيين في الغرب الأوربي وعلى الرغم من هذه الانتقادات الحادة التي وجهت لأرمسترونج إلا أن الكتاب يعد من الكتب الغربية المهمة في العصر الحديث التي استطاعت فيه المؤلفة من تقديم نبي الإسلام محمد ﷺ إلى الغرب الأوربي بأسلوب موضوعي شيق مكنهم من فهم الرسالة النبوية الشريفة فضلًا عن تأثيره فيهم وامكانية ان يتعلموا ويفيدوا من النبي كونه كان ولا زال مثالًا حيًا تحتذي به الإنسانية جمعاء.

رابعًا : أهم مصادرها

لم ترجع أرمسترونج إلى أي مصدر عربي في كتاباتها عن السيرة النبوية، على الرغم من أنها قد أشارت الى بعض المصادر المترجمة التي اعتمدتها وأهمها: السيرة النبوية لابن اسحاق وتاريخ الرسل والملوك للطبري والاتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت:٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، واعتمدت على ترجمة محمد أسد لكتاب معاني القرآن الكريم وذلك لنقل معاني بعض الآيات وإن كانت قليلة، كذلك رجعت الى السيرة النبوية التي كتبها البريطاني مارتن لينجزالذي اعتنق الإسلام وتسمى بعد ذلك بأبي بكر سراج الدين (١٩٠٩-٢٠٠٥م) الذي يعد أفضل من كتب في السيرة النبوية الشريفة باللغة الانكليزيةويلاحظ أنها لم ترجع الى كتب التفاسير المترجمة

مثل تفاسير الطبري والقرطبي (ت:٦٧١هـ) وابن كثير (ت:٧٧٤هـ).

وما يتعلق بالمراجع الإسلامية اعتمدت أرمسترونج في مؤلفاتها على العديد من الكتب المنشورة باللغة الانكليزية عن الإسلام بضمنها كتابات المستشرقين لعل أهمها مؤلفات المستشرق البريطاني مونتجومري وات Montgomery Watt (١٩٠٩-٢٠٠٦) في مجال السيرة النبوية تحديدًا وبهذا الصدد تقول: (من الغريب أن لا يجد القارئ العادي في متناول يده إلا عددًا محدودًا من الكتب التي تروي السيرة النبوية، وأنا أقر بديني الكبير الى المجلدين اللذين كتبهما و. مونتجومري وات، وهما "محمد في مكة و"محمد في المدينة"، ولكنهما موجهان الى الباحث في الإسلاميات بمعنى أنهما لا يخاطبان القارئ العام، وكل منهما يفترض وجود معرفة أساسية بحياة محمد، وهي التي لا يحيط بها الجميع) واعتمدت على المستشرق الهولندي أرند جان فنسنكArent Jan Wensinck(١٨٨٢-١٩٣٩م)على الرغم من أنها لم تشر اليهما إلا في مواضع قليلة .

واعتمدت أرمسترونج ولاسيما في كتابها الثاني في السيرة النبوية ـ محمد نبي لزماننا ــ على مؤلفات عالم اللغة الياباني توشيهيكو إيزوتسو Toshinhiko Izutsu (١٩١٤-١٩٩٣م) وذلك في تحليله لبعض مفردات القرآن الكريم، وإن كانت قد وظفتها بصورة تبعد تمامًا عن مقصده فضلًا عن رجوعها إلى كتاب حديث للباحث البريطاني ميشيل سيلزMichael Seals (١٩٧٠-؟) المتخصص في الدراسات الإسلامية والقرآنية، إذ يقدم سيلز في كتابه هذا الى جانب ترجمته لسور الوحي الأولى تحليلًا صوتيًا لهذه السور مستندًا إلى علم الأصوات الحديث.

خامسًا : آراء العلماء والنقاد فيها

تعد أرمسترونج من أبرز مؤرخي الأديان في عالمنا المعاصر، إذ لقيت مؤلفاتها المتعددة حفاوة كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد لفتت الأنظار إليها في البداية كتابها تاريخ الألوهية **A History of God** لأنه يعد تاريخًا لمعتقدات عديدة ومتباينة في تاريخ البشرية عرضتها في سياق واحد ومتصل، فهي تذكر في كتابها هذا كيف تحول اليهود من الوثنية الى التوحيد حسب رأيها كما تدعي أن المسيحية والإسلام نبعتا من اليهودية وهو الادعاء الذي فندته الباحثة عويس في دراستها .

وقد وصفت أرمسترونج أيضا بأنها من أكثر الكتاب إثارة للجدل، ومن أكثر المفكرين ابداعًا في مجال الدين في الوقت الحاضر وعدتها مؤسسة تيد التي منحتها جائزة عن مشروعها وثيقة التراحم سنة٢٠٠٨م، من أكثر المفكرين إبداعًا فيما يتعلق بدور الأديان في العصر الحديث، و تعد مرجعًا أساسيًا في الأديان المقارنة.

وهي تمتدح عادة لغزارة مصادرها وتوثيقها مؤلفاتها في أغلب الأحيان بقائمة مصادر إضافية ضخمة لاطلاع القارئ على مزيد من المعلومات حول موضوع الكتاب غير أن هذا لا ينطبق على كل ما تطرحه من آراء وإنما ينطبق غالبًا على ما يتعلق باليهودية والمسيحية، وهي تميل في كثير من الأحيان إلى إطلاق الأحكام أو الإعمام دون ذكرها مصادر للتوثيق في حديثها عن الإسلام، وتغفل عادة ذكر المصدر التاريخي أو الفلسفي كقولها قال المؤرخون وقال الفلاسفة أو قال الصوفيون...إلخ، وأحيانًا تذكر المصدر التاريخي لكنها تختار منه ما يوافق رؤيتها وتهمل الروايات الأخرى مثلما فعلت مع بعض روايات الطبري وتفسيره المعروف بـ(جامع البيان عن تأويل القرآن)، وأنها لم تذكر مرجعًا واحدًا في تقديمها للفلسفة

الإسلامية فضلًا عن أنها انتقدت لاعتمادها على المصادر المترجمة دون الإشارة إلى المصادر العربية في كتابها محمد : سيرة النبي فضلًا عن أنها انتقدت لتركيزها الشديد على المجالات السياسية والاجتماعية في حياة النبي على حساب مناقشة رسالته الدينية لكونها رسالته الأصلية والتي منها ظهرت الفضائل السياسية والاجتماعية ويرى بعض النقاد وعلماء مقارنة الأديان في الغرب الأوربي أن أرمسترونج أصبحت من أهم مؤرخي الأديان والباحثين في القضايا الروحية في العالم، ورأوا أنها جاءت بقراءة جديدة لتاريخ الأديان وعدوا نظريتها للتقريب بين الأديان الثلاثة وعرض مواطن الاختلاف والاتفاق رؤية جديدة غير مسبوقة من كاتبة غير مسلمة، وأنها تحاول عن طريق هذه القراءة تأييد نظريتها عن التوحيد المطلق، ولكن دون التقيد بكتاب سماوي محدد في حين وصفها هاربر كولينز أحد ناشري مؤلفاتها بأنها تعد من الرواد في تاريخ الأديان والحضارات .

سادسًا : الجوائز التقديرية التي حصلت عليها

وتقديرًا لنبوغها وجهودها البحثية وغزارة انتاجها العلمي المتميز حصلت المستشرقة أرمسترونج على كثير من الجوائز التقديرية، ولكونها تتمتع بشعبية كبيرة عند مسلمي الولايات المتحدة الأمريكية نالت جائزة الجمعية الإسلامية للشؤون العامة في كاليفورنيا Muslim Public Affairs Council سنة ١٩٩٩م، وذلك لعملها على خلق روح التفاهم بين أصحاب المعتقدات المختلفة، كذلك كرمت بجائزة الانصاف الإعلامي من مجلس العلاقات العامة للمسلمين في السنة نفسها، وكرمها مركز نيويورك المفتوح The Open Center Award بجائزة في سنة ٢٠٠٤م لفهمها العميق للأديان وللتقاليد الدينية وعلاقتها بالمقدس، وكانت أرمسترونج قد تقدمت بمشروع وثيقة التراحم Charter for Compassion - إلى مؤسسة

تيد العالمية وفاز مشروعها بجائزة المؤتمر السنوي سنة٢٠٠٨م .

وحصلت أرمسترونج على جائزة "حرية العبادة" من معهد روزفلت Roosevelt Institute في نيويورك في حزيران سنة٢٠٠٨م، وكان المعهد قد صرح حينذاك بأنها صارت صوتًا مهمًا يطالب بفهم متبادل في أوقات كثر فيها الهرج والمجابهة والعنف بين المجموعات الدينية وأشاد المعهد بأن تركيزها الشخصي المثالي نحو السلام يمكن أن يوجد في الفهم الديني وتعد هذه الجائزة واحدة من أربع ميداليات تقدم كل سنة للرجال والنساء الذين أظهرت انجازاتهم الالتزام بالحريات الأربعFour Freedoms Award التي أعلنها الرئيس تيودور روزفلت(١٩٣٣-١٩٤٥م) في سنة١٩٤١م، لكونها أساسية للديمقراطية : حرية التعبير والعبادة والتحرر من العوز والخوف، ونالت جائزة الدكتور ليوبولد لوكاس من جامعة توبنجن سنة٢٠٠٩م .

كذلك حازت جائزة كومون غراوند للرحمة والتعاطف سنة٢٠٠٩م، ونالت جائزة أميرة أستورياس في العلوم الاجتماعية سنة٢٠١٧م، تقديرًا للتحقيقات التي أجرتها في دراسة الأديان العالمية وتهتم حاليًا بالمشترك بين الأديان السماوية، وما زالت على قيد الحياة وتبلغ من العمر٧٦عامًا، وحاليًا هي عضو في الجمعية البريطانية الملكية للأدب(وعضو الحلقة الدراسية عن يسوع وعلى الرغم من أنها لم تدخل الإسلام إلا أنها كرست جل عمرها لقول كلمة الحق وإنصاف الإسلام ورسوله وأهله أكان بتأليف الكتب ونشرها أم بإلقاء المحاضرات أم بكتابة المقالات الصحفيةولذلك وصفت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية أرمسترونج بأنها:(مؤرخ ديني بارز وغزير، وأنها الأكثر وضوحًا) .

الخاتمة:

وختامًا يمكن القول إن هذه الدراسة المستفيضة أفرزت عدة نتائج هي:

أولًا: أن المستشرقة كارين أرمسترونج بدأت حياتها راهبة كاثوليكية في أحد الأديرة الدينية في بريطانيا لكنها خرجت من عالم الرهبنة بعد تجربة مريرة دامت سبع سنوات الى فضاء الأديان السماوية والانفتاح على الآخر ورغبة في فهم المختلف الشرقي عن الغرب الأوربي والبحث عن المشتركات بين الأديان السماوية الثلاث(اليهودية والمسيحية والإسلام)، وعدت التعاطف هو جوهر كل ديانات العالم الرئيسة والالتزام بالتراحم في العلاقات الإنسانية واحترام جوهر الدين واحلال السلام والتعايش السلمي بين الشعوب والابتعاد عن العنف والحروب .

ثانيًا: تنظر أرمسترونج الى الرسول ﷺ نظرة اعجاب وانبهار بشخصيته وأنه مصلح اجتماعي عالمي تمكن من صنع السلام وجمع الفرقاء العرب والعجم في سلة واحدة عقب العداوات التي سادت البشرية جمعاء، ومن هنا رأت أن القرن الحالي يشهد قلاقل واضطرابات أحوج ما يكون الى محمد ﷺ ليحقق للبشرية سكينتها وائتلافها .

ثالثًا: ترى أرمسترونج أن الاتجاه العدائي ضد الإسلام والنبي محمد ﷺ في الغرب هو جزء من منظومة القيم الغربية التي ظهرت ملامحها مع عصر النهضة والحروب الصليبية التي كانت أول رد فعل جماعي اشتركت فيه أوربا ضد المسلمين، وكره الأوربيون الإسلام مثلما يكره الناس في العالم الثالث أمريكا الآن .

رابعًا: إن الاهتمام العالمي المتزايد في النقاش حول تأثير الإسلام اتاح الفرصة لأرمسترونج لأن تبلغ الشهرة وتكون متحدثة ذات شعبية كبيرة

لأنها عملت على تكوين وجهة نظر معتدلة الى حد كبير تجاه الإسلام من قبل جمهور كبير في الغرب الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية، لكن هذا الاتجاه المعتدل لم يرض اليهود فشنوا حربًا اعلامية ضدها واتهموها بتحريف الحقيقة بسبب موقفها الموضوعي ورؤيتها المنطقية السديدة لأحداث السيرة النبوية الشريفة.

خامسًا: دعت أرمسترونج الغرب الأوربي لأن يؤدي أثرًا محوريًا في مسيرة التقارب مع العالم الإسلامي، فيحذف من مناهجه كل ما يسيء للإسلام ونبيه الكريم، وقالت إن القيم الإسلامية الحقيقية هي السلام والمصالحة والعفو، وكلمة الجهاد لا يقصد بها الحرب المقدسة كما يعتقد بعض الغرب الأوربي وإنما تعني الكفاح والجهد، وهو قيمة روحية عليا للمسلمين لا ترتبط بالعنف، والإسلام ليس دين سيف كما ترسخ في أذهان الغربيين.

سادسًا: أن مؤلفاتها عن السيرة النبوية كان لها صدى كبير بين قراء الضاد لأنهم وجدوا في كلماتها صوتًا جديدًا مختلفًا عن ذاك الذي تعودوه من الغرب الأوربي، ولذلك تُعد ارمسترونج من أشهر الكتاب الغربيين الذين دافعوا عن الإسلام والصادقين في تحليل فكرهم النير وسعت عبر مسيرتها العلمية الطويلة إلى إبراز الدين الإسلامي وتأثيره في العالم الحديث.

هوامش البحث :

١- لم نعثر في المراجع التي اعتمدها البحث على أية معلومات تتعلق بالمدة المبكرة لحياة كارين أرمسترونج وطفولتها قبل بلوغها سن الثامنة عشرة من عمرها حتى أن أرمسترونج نفسها لم تصرح بها في جميع مؤلفاتها التي راجعناها .

٢- وهي حلقة دراسية مؤلفة من ٢٠٠ شخص تقريبًا تضم باحثين بألقاب أكاديمية عالية في اختصاص الأديان أو القريبة منها، وتعد هذه المجموعة من أنشط المجموعات في النقد الكتابي الأوربي . ينظر: الشامي، " كتاب من مكتبتي" .

٣- Karen Armstrong، The Spiral Staircase: My Climb out of Darkness (New York:2004),p.6 .

٤- وينظر أيضًا : مادة " كارين أرمسترونج"، ضمن موسوعة الاستغراب الصادرة عن مركز الفكر الغربيWESTT منشورة في الرابط الالكتروني www.cwestt؛ وفاء الحكيري، " كارن آرمسترونغ الراهبة التي تبحرت في تاريخ الأديان وأنصفت الإسلام "، مقال منشور في الشبكة الدولية للانترنت في الرابط الالكتروني: www. meemmagazine.net ؛ Karen Armstrong " in www.wikipedia.org"

٥- عويس، منهج التطور العقدي، ص٢٣ ؛ وينظر: الروابط الالكترونية :

٦- http://www.islafortoday.com؛ http://www.guardin.com

٧- عويس، منهج التطور العقدي، ص٢٣-٢٤ ؛ وينظر: الرابط الالكتروني :

٨- http://www.washingtonpost.com

٩- الحكيري، "كارن آرمسترونغ الراهبة" .

١٠- ألفريد لورد تنيسون: أبرز الشعراء الانكليز في القرن التاسع عشر، كانت ولادته في ٦ أغسطس١٨٠٩م، ويعد من أفضل الشعراء المشهورين والمحبوبين خلال العصر الفيكتوري، وأظهر موهبة مبكرة للكتابة وهو في سن الثانية عشرة من عمره، وكتب قصيدة ملحمية بعنوان (سيدة شالوت) مكونة من ستة الآلف بيت شعر في سنة١٨٣٢م، ثم درس في كلية الثالثوث المقدس بجامعة كامبريدج وتخرج منها . وبعدها عين شاعرًا للبلاط سنة١٨٥٠م، كان أستاذًا للشعر الغنائي كما عد الشاعر الذي مثل عصره، وأشهر قصائده هي: الذكرى، عواليس، وهجوم اللواء الخفيف، فضلًا عن ديوانه الشعري(الأميرة)، توفي سنة١٨٩٢م . وللمزيد ينظر: الرابط الالكتروني : http://ar.wikipedia.org

١١- Armstrong، The Spiral Staircase,p.7.

١٢- وينظر أيضًا : مادة " كارين أرمسترونج"، ضمن موسوعة الاستغراب ؛ الحكيري، "كارن آرمسترونغ الراهبة"، .

١٣- ينظر: " كارين أرمسترونج" مقال منشور في الموقع الالكتروني :Deraya University .

١٤- عبد الرحمن أبو المجد، " كارن أرمسترونغ : هل هي أقرب إلى الاعتدال ؟ بحث منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في الرابط الالكتروني: www.kutubpdfbook.com

١٥- عويس، منهج التطور العقدي، ص٢٤ ؛ وينظر الرابط الالكتروني :

١٦- http://www.islamfortoday.com

١٧- القديس بولس: هو بولس الطرسوسي، ويعرف عند المسيحيين بأنه بولس الرسول، وهو أحد قادة الجيل المسيحي الأول، ويعده بعضهم ثاني أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد السيد المسيح ﷺ نفسه . وللمزيد ينظر: الرابط الالكتروني : http:// ar.wikipedia.org

١٨- الفلم التسجيلي(ألسنة النار) لأرمسترونج تحول فيما بعد الى كتاب سيرد الحديث عنه في الفصل الثالث .

١٩- أبو المجد، " كارن أرمسترونغ : هل هي أقرب إلى الاعتدال ؟"

٢٠- تعلق الباحثة عويس في كتابها، منهج التطور العقدي، ص٢٥، هامش رقم(٢) على التوحيد الذي آمنت به أرمسترونج قائلة: (هذا التوحيد في ذاته مبهم لأنها لا تقول إن كان هو توحيد لإله معين أو ايمان بمقدس معين، أو قوة مفارقة أو غير مفارقة، وإن كان الأغلب هو أنها تقصد شعورا داخليا ينبع من شعور الانسان نفسه بشيء أقوى منه، ولكن ليس له وجود خارجي، كإله شخصي ... وما تقوله في الواقع لا ينطبق على مفهوم توحيد الله، بل هو يعني في العموم الإيمان بوجود إله أو قوة مقدسة أيا كان مفهوم هذه القوة وهل قضية المصير والجزاء قضية فرعية؟) .

٢١- عويس، منهج التطور العقدي، ص٢٥ ؛ وينظر. الرابط الالكتروني :

٢٢- http://www.salon.com

٢٣- الهولوكوست : يقصد بها الابادة الجماعية أو المحرقة المزعومة التي وقعت في الحرب العالمية الثانية ما بين سنتي١٩٤١-١٩٤٥م وقتل فيها ما يقرب من ستة ملايين يهودي في أوربا على يد النظام الألماني النازي لأدولف هتلر والمتعاونين معه في البلدان التي احتلها في أوربا وشمال أفريقيا . ينظر: موسوعة ويكبيديا، الموسوعة الحرة . في الرابط الالكتروني : http://ar.wikipedia.org

٢٤- أياد عبدالله، المفكرة والراهبة البريطانية كارين أرمسترونج لـ المدينة : غالبية

الأوربيين لا يفهمون طبيعة الإسلام (مقال منشور في جريدة المدينة، جدة: ٨ نوفمبر٢٠١٣م)، العدد١٨٥١٠في الرابط الالكتروني :

٢٥- http://www.al-madina.com

٦٢- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص٩٥ .

٢٧- عويس، منهج التطور العقدي، ص٢٦ ؛ وينظر: الرابط الالكتروني :

٢٨- http://www.washington.com

٢٩- عويس، منهج التطور العقدي، ص٢٦ ؛ وينظر جزء من حوار أجرته معها محطة تلفزيونPBS سنة٢٠٠٢ عبر الرابط الالكتروني :

٣٠- http://www.pbs.com

٣١- Armstrong, Violent Islamic radicals Know they are heretical Extremists are proud of their deviance and moderate Muslims can't be held responsible, The Guardian,(Saturday 8 July:2006).

٣٢- كارن آرمسترونغ " مقال منشور في الشبكة الدولية للانترنت في الرابط الالكتروني www.wikipedia.org ؛ Madeleine Abou Shakra ؛ " كارين أرمسترونج"، مقال منشور في الشبكة الدولية للأنترنت بتاريخ ٩ سبتمبر .

٣٣- كارين أرمسترونغ : المرأة التي واجهت الغرب".

٣٤- Armstrong, Jerusalem : One City, Three Faiths(New York:1996).

٣٥- مدبولي عتمان، " دائرة الوعي ــ المهمة التاريخية والواجب الرئيسي"، مقال منشور في جريدة الجمهورية المصرية بتاريخ ١٧ أغسطس٢٠١٩ .

٣٦- داليا يوسف، "كارين أرمسترونج : الراهبة الهاربة" ؛ أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص٩٨ .

٣٧- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص٩٨ .

٣٨- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص٩٧ .

٣٩- يوسف، " كارين أرمسترونج : الراهبة الهاربة" ؛ أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص٩٨ .

٤٠- عويس، منهج التطور العقدي، ص٢٦ ؛ وينظر الرابط الالكتروني :

٤١- http://www.washington.com

٤٢- يوسف، "كارين أرمسترونج: الراهبة الهاربة " .

٤٣- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص٩٧-٩٨ ؛ Abou Shakra، " كارين

أرمسترونج" .

٤٤- أرمسترونج، محمد نبي لزماننا، ص٢١ ؛ أبو المجد، الاستشراق النسائي، ص١١٠.

٤٥- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص١٨-١٩ ؛ القرش، "سيرة النبي محمد" .

٤٦- أرمسترونج، محمد نبي لزماننا، ص٢١ .

٤٧- أرمسترونج، محمد نبي لزماننا، ص٣٧ .

٤٨- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٨١ .

٤٩- تقصد القرآن الكريم .

٥٠- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٨١ .

٥١- أرمسترونج، محمد نبي لزماننا، ص٢٥.

٥٢- Armstrong, Muhammad: a Biography of the Prophet(New York:.(1992)

٥٣- صدرت الطبعة الثانية للكتاب المذكور أعلاه عن (دار سطور، القاهرة:١٩٩٨م) .

٥٤- ترجمة : محمد حسن الجورا (دمشق:٢٠٠٢م) .

٥٥- راغب السرجاني، "شهادة المستشرقة البريطانية كارين أرمسترونج في القرآن الكريم" مقال منشور في الشبكة الدولية للأنترنت بتاريخ٢٦ يناير سنة٢٠١٩م ؛ العثماني، " شهادة كارين أرمسترونج " .

٥٦- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص١١ ؛ عتمان، " دائرة الوعي " .

٥٧- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص١٠٠ .

٥٨- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٤ .

٥٩- منيرة حسين، " كارين آرمسترونج تدافع عن النبي محمدﷺ " مقال منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في الرابط الالكتروني : www.ahlalquran.com

٦٠- ينظر : مقدمة المترجمان لكتاب أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص١١-١٢ .

٦١- ينظر: مقدمة المترجمان لكتاب أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص١٢-١٣ .

٦٢- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٨١ .

٦٣- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٧٣ .

٦٤- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٧٣-٧٤ .

٦٥- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٨٠ .

٦٦- حسين، "كارين آرمسترونج" .

٦٧- حسين، "كارين آرمسترونج" .

٦٨- سورة الحجرات: الآية(١٣) .

٦٩- ينظر: تقرير تلفزيوني مترجم للمؤلفة البريطانية كارن ارمسترونج، منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في موقع قادة الفتح للقرآن الكريم.

٧٠- حسين، "كارين آرمسترونج" .

٧١- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٣٤١-٣٤٢ .

٧٢- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٣٤٣ .

٧٣- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٣٧١-٣٧٢ .

٧٤- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٣٨٤ .

٧٥- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٣٨٨ .

٧٦- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٣٩٣ .

٧٧- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص١١ .

٧٨- محمد الهادي الحسني، "الإنسان الأكمل والدين الأقوم"، مقال منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في الرابط الالكتروني: http://shamela-dz.net

٧٩- مايكل هارت : عالم فيزيائي وفلكي أمريكي الجنسية يهودي الديانة، مواليد نيويورك ٢٧ أبريل١٩٣٢م، ومؤلف الكتاب الشهير في علم القيادة الخالدون المائة وأعظمهم محمد، استغرق في تأليفه مدة ٢٨ عامًا، وبعد أن انجزه أعلن في محاضرة في لندن عن أعظم شخصية في التاريخ وكان الجمهور يصفر عليه ويقاطعه بالاحتجاج والصراخ لكي لا يتم حديثه قائلًا : (وقف الرجل في قرية صغيرة هي مكة . قال للناس فيها أنا رسول الله إليكم ... جئت لأتمم لكم مكارم الأخلاق ... فآمن معه أربع ... زوجته وصاحبه وطفلان ... الآن بعد مرور ١٤٠٠عام ... عدد المسلمين تجاوز المليار ونصف وكل يوم في ازدياد ... فلا يمكن أن يكون كاذبًا لأنه ليس هناك كذبة تعيش ١٤٠٠ سنة ... ولا يمكن لأحد أبدًا أن يخدع أكثر من مليار ونصف انسان ... أمر آخر ... رغم مرور هذا الزمن الطويل هناك الملايين من المسلمين مستعدين للتضحية بأنفسهم في سبيل كلمة تمس نبيهم ... فهل هناك مسيحي واحد أو يهودي واحد يفعل ذلك من أجل نبيه أو حتى ربه...؟)، وقد دافع عن اختياره بقوله وضعت محمدا على رأس قائمة المائة استنادًا إلى معايير موضوعية، ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك، ولكن (محمدا ﷺ) هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحًا مطلقًا في المجالين الديني والدنيوي . ينظر: خالد القدسي، " قراءة في الكتابات الاستشراقية المنصفة عن الرسول محمد ﷺ"، مقال منشور بتاريخ ٢٥ أكتوبر في موقع Khalid AL-Qudsi ؛ المنشد نزار القرماني، " مايكل هارت"، مقال منشور في الشبكة الدولية للأنترنت بتاريخ٩ اكتوبر .

٨٠- مايكل هارت، الخالدون مائة أعظمهم محمدﷺ، ترجمة: أنيس منصور (القاهرة: ١٩٨٦م).
٨١- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٢٤.
٨٢- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٥؛ أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص١٠٧.
٨٣- سلمان رشدي: ويسمى سلمان أحمد، ولد في مدينة كشمير في١٩ حزيران سنة١٩٤٧م وهو كاتب وروائي هندي الأصل بريطاني الجنسية، تخرج من كلية الملك في جامعة كامبردج البريطانية سنة١٩٨١م، مؤلف روايته الرابعة آيات شيطانية الذي أحدث موجة عارمة الاستياء في العالم الإسلامي عقب صدوره سنة١٩٨٨م. وللمزيد التفاصيل عه. ينظر: جوزيف أنطوان، سلمان رشدي ــ سيرة ذاتية، ترجمة: أسامة إسبر(بيروت:١٩٩٠م).
٨٤- وصف لكتاب سيرة النبي محمد لكارن آرمسترونغ " منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في الرابط الالكتروني: www.kutubpdfbook.com؛ ويذكر ان كتاب آيات شيطانية لمؤلفه سلمان رشدي أحدث ضجة عالمية، فبعد صدوره اندلعت المظاهرات في أرجاء العالم الإسلامي ورصدت ايران جائزة قدرها مليون دولار لمن يقتل سلمان رشدي، في الوقت الذي كان الغرب الأوربي على العكس من ذلك بل التف حول هذا الزنديق مدافعًا عنه ولم يكتف بالحماية وانما كافأه على هذا كتابه بمنحه جائزة ويتبيرد، فدفعت هذه التناقضات الكاتبة البريطانية ارمسترونج إلى دراسة حياة الرسول الكريم محمدﷺواخرجت للعالم كتابها سيرة النبي محمدﷺ. ينظر: "كارين ارمسترونج"، مقال منشور في مجموعة Book and Workshops على الشبكة الدولية للأنترنت.
٨٥- كارين أرمسترونغ: المرأة التي واجهت الغرب" .
٨٦- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٦-٧؛ القرش، "سيرة النبي محمد " .
٨٧- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص١٠١؛ القرش، سيرة النبي محمد" .
٨٨- برنارد لويس Bernard Lewis: مستشرق بريطاني الأصل أمريكي الجنسية(١٩١٦-٢٠١٨م)، وهو منظر العنصرية الغربية ومشاريع التجزئة والتقسيم الصهيوني، ومخطط سايكس بيكو الجديدة ومهندس تقسيم الشرق الأوسط الجديد، غزت نظرياته وطروحاته عن صراع الحضارات مراكز صنع القرار السياسي في الغرب وواشنطن على وجه الخصوص، كما أنه شارك في ترسيم الحدود وانشاء الكثير من الدول العربية التي استقلت بعد سنة١٩٥١م، مثل الكويت وقطر والبحرين وعمان واليمن، ويذكر أنه قال في كتابه الشرق الأوسط والغرب سنة١٩٦٣م: (لقد راعيت

في ترسيم الحدود بين الدول العربية ألا تملك أي منها مقومات القوة) وقد حرص وهو يصنع الدول العربية بجرة قلم أن تكون هذه الأمة مشلولة ضعيفة غير قادرة على توحيد مواردها الطبيعية والبشرية . راني " برنارد لويس " مقال منشور على الشبكة الدولية للأنترنت بتاريخ ٢١ سبتمبر. ويذكر أن برنارد لويس وصف الاسلام بالدين المتأزم في كتابه الذي حمل العنوان (أزمة الإسلام: حرب مقدسة وارهاب غير مقدس) والذي ترجمه عمار أحمد إلى العربية وصدر عن دار الرضا دمشق٢٠٠٦م، وتضمن الكتاب مجموعة مقالات ودراسات كلها تصب في المنحى الذي سار فيه لويس المعروف بعداوته للإسلام والمسلمين وأسهم بشكل كبير في السياسة الأمريكية والغربية الصادمة لمشاعر المسلمين. ينظر السنوسي، قراءة في كتاب يوميات هرتزل ؛ توفي في احدى دور الرعايا بالولايات المتحدة الأمريكية بعد مسيرة١٠١ سنة من العمل السياسي والأكاديمي الاستخباري المثير للجدل، وكانت أعماله عرضا عميقًا لوجهة النظر الغربية تجاه الشرق الأوسط وصراع الحضارات وهي الآراء التي تعرضت لانتقادات حادة لمساهمتها إلى حد كبير في التدخل الغربي بشؤون المنطقة، فقد خصص ثلاثين مؤلفًا ومئات المقالات التي ترجمت إلى عشر لغات للحديث عن الشرق الأوسط الحديث . ينظر: ورحل رأس الأفعى .. وفاة برنارد لويس "مهندس تقسيم الشرق الأوسط"، مقال منشور في جريدة الموجز المصرية بتاريخ ٢٠ اكتوبر ٢٠٢٠م، منشور على الشبكة الدولية للأنترنت في الرابط الالكتروني:www.elmogaz.com ؛ جهاد سعد، برنارد لويس ــ صهينة الغرب وتتريك العالم الإسلامي(بيروت:٢٠١٨م)، ص٤٧-٥٠ .

٨٩- مارتن كرامر: صحفي ومستشرق وعالم سياسة أمريكي، مواليد واشنطن٩ سبتمبر١٩٥٤م، حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة برنستون الأمريكية سنة١٩٨٢م، بإشراف برنارد لويس ويعد امتدادًا لرؤية لويس الصهيونية، وقد تعددت النشاطات التي مارسها، ونظرًا لحساسية موقعه في مراكز مهمة جدًا لصنع القرار عمل في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى ومركز شاليم للأبحاث وبمعهد أولن بجامعة هارفرد، أنصب تركيزه على صبغة دراسات الاستشراق بالصبغة الصهيونية المتطرفة للحق اليهودي في الجامعات الغربية عامة وجامعات الولايات المتحدة خاصة . ينظر: أبو المجد، مارتن كرامر المستشرق الذي صبغ الدراسات الأولية بالنظرة الصهيونية، بحث منشور بتاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠١٠م، في الشبكة الدولية للانترنت في الرابط الالكتروني: www.alukah.net

٩٠- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص١٠١ .

٩١- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٥ ؛ "الحبيب في عيون المستشرقين المنصفين، كارين أرمسترونج"، موقع محمد النبي، مقال منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في الرابط الالكتروني: http://www.mohamedalnabi.com

٩٢- القرش، "سيرة النبي محمد " .

٩٣- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٦ ؛ ينظر: تعليق للكاتب Ahmed S A، على كتاب " محمد سيرة النبي " لكارين أرمسترونج، منشور في الشبكة الدولية للأنترنت بتاريخ ٢٣ مايو٢٠١٨ .

٩٤- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص١٠١-١٠٢ .

٩٥- أرمسترونج، محمد سيرة النبي، ص٧ ؛ أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص١٠٢ .

٩٦- مهند الخليل، كتاب "محمد" لكارين أرمسترونج : راهبة سابقة تتحرر من أغلالها .

٩٧- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٨٢-٨٤ ؛ ينظر: تعليق للكاتب Ahmed S A، على كتاب " محمد" لكارين أرمسترونج .

٩٨- محمد مسعد ياقوت، الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية (دار الخراز، جدة: د. ت)، ص١٦٥.

٩٩- أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٧ ؛ مقال منشور على الشبكة الدولية للأنترنت في موقع نفثات اليراع Nagat Abuzaid بتاريخ ١٢ مارس٢٠١٦ ؛ وينظر أيضًا : تعليق للكاتب Ahmed S A، على كتاب " محمد" لكارين أرمسترونج .

١٠٠- اسماعيل، "كارين أرمسترونج " .

١٠١- عويس، منهج التطور العقدي، ص٣٣ ؛

١٠٢- Anonymous، "Getting to Know the Prophet Muhammad :The Economist"(Feb.8,1992),Vol.332,issue1775,p.90.

١٠٣- عتمان، " دائرة الوعي" .

١٠٤- Armstrong, Muhammad: A Prophet For Our Time(New York:2006).

١٠٥- Armstrong, Muhammad,p.6.

١٠٦- وصدرت الطبعة الأولى المترجمة لهذا الكتاب عن (مكتبة الشروق الدولية، بيروت:٢٠٠٨م) والطبعة الثانية عن (دار سطور جديدة، بيروت: ٢٠١٨م) .

١٠٧- عويس، منهج التطور العقدي، ص٢٩ ؛ www.powells.com

١٠٨- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص١٠٩ .

١٠٩- أرمسترونج، محمد نبي لزماننا، ص٢٦ .

١١٠- حاول كل من فاطمة نصر ومحمد عناني مترجمان كتاب أرمسترونج : محمد نبي لزماننا، تخفيف حده لهجة هذا الكتاب، وقد عرضا نماذج من نبرتها الهجومية في الكتاب المذكور. ينظر: أرمسترونج، محمد : نبي لزماننا، الفصل السادس على سبيل المثال لا الحصر.

١١١- عويس، منهج التطور العقدي، ص٢٩ .

١١٢- يذكر أن بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر قال في ١٢سبتمبر سنة ٢٠٠٦م بمناسبة الذكرى الخامسة لأحداث ١١ سبتمبر٢٠٠١م تصريحات وصف فيها الإسلام بأقوال اقتبسها المسلمون لأحد الأباطرة البيزنطيين مما أثار غضبًا عارمًا لدى المسلمين في كل مكان، هذا فضلًا عن رسوم الدنمارك التي قابلها المسلمين بمظاهرات حاشدة ومقاطعة المنتجات الدنماركية وكذلك الاعتداء السافر لمجلة شارلي ايبدو الفرنسية بالرسوم المسيئة للرسول ﷺ التي زادت حدة التوتر وتصعيد الموقف حينذاك لأن هذا الهجوم السافر هو اعتداء على الإسلام ونبي ورسول الإنسانية ولم يرض به المسلمون وتم استغلاله لتنفيذ سياسة مبيتة ضد الإسلام والمسلمين في الغرب وفي ديار الإسلام نفسها، وما جرى ويجري من أحداث وضغوط تحت مسمى تشجيع الارهاب وتمويله للضغط على الدول للتطبيع وافساد العلاقات بين المواطنين داخل المجتمعات العربية والإسلامية يخلف أجواء نفسية مواتية لقبول السياسة الصهيونية واحتلال فلسطين وتصفية القضية خوفًا من الاتهام بالإرهاب وباللاسامية وغيرها من النعوت كالتطرف والأصولية مما هو مشاهد اليوم وذلك للتجاوب مع سياسة مرسومة لإنهاء الوجود الحضاري الإسلامي منذ تقرر أن يكون الخطر الأخضر هو المستهدف في القرن الواحد والعشرين . ينظر: محمد السنوسي، قراءة في كتاب يوميات هرتزل ـ الاستعمار والصهيونية أي علاقات وأي مسارات؟، منشور على الشبكة الدولية للأنترنت.

١١٣- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص١١٠ .

١١٤- الإسلاموفوبيا: هي ظاهرة العداء للإسلام والتي عمت الكثير من المجتمعات الغربية لاسيما بعد سقوط المنظومة الشيوعية، وتوحد قبضة الحضارة الغربية واتخاذها الإسلام عدوًا أحلته محل الخطر الشيوعي الأحمر، وهذه الظاهرة لها جذور في عمل الاستشراق ورجاله في القرون السابقة، وقد استثمرا بحوث مجموعة من المستشرقين أكاديميًا وسياسيًا وإعلاميًا في عصرنا هذا، وكانت هذه الدراسات قمة العداء للإسلام ورسوله ﷺ وتنشر مقولات التمييز والعنصرية التي تحمل في طياتها بذور الإسلاموفوبيا، وللمزيد. ينظر: الإسلاموفوبيا ـ الحقد على الإسلام، مقال

منشور في الشبكة الدولية للأنترت في موقع أبحاث ودراسات بتاريخ ١٩ نوفمبر.

١١٥- أرمسترونج ، محمد نبي لزماننا، ص٢٤ .

١١٦- أرمسترونج، محمد نبي لزماننا، ص٢٥ .

١١٧- أرمسترونج، محمد نبي لزماننا، ص٢٥ .

١١٨- كارين أرمسترونج، محمد نبي لزماننا، ص٢٤-٢٥ .

١١٩- أبو المجد، " كارن آرمسترونغ" .

١٢٠- أبو المجد، " كارن أرمسترونغ: هل هي الأقرب إلى الاعتدال؟".

١٢١- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص١١٠ .

١٢٢- عتمان، " دائرة الوعي" .

١٢٣- Bernard Lewis، A useful short history(Australia,13 November:2006).

١٢٤- Lewis، A useful short history,p.21.

١٢٥- ستيفن دو بيكهامStephen Dow Beckham : مؤرخ أمريكي ولد في٣١ اغسطس سنة١٩٤١م، تخرج من جامعة كاليفورنيا في ستينيات القرن العشرين. ينظر: "ستيفن دو بيكهام"، مقال منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في الرابط الالكتروني: www.wikipedia.org

١٢٦- Wayne Beckham, Fontana, CA USA(July:2008).

١٢٧- Cecilia Cordeiro Engels، 10 August(New York:2007).

١٢٨- Engels، 10 August,p.38 .

١٢٩- أبو المجد، " كارن آرمسترونغ ".

١٣٠- مارتن لينجز: مؤرخ ومفكر بريطاني ولد في يناير سنة١٩٠٩م وعاش طفولته المبكرة في أمريكا حيث كان يعمل والده، وكان يدين بالنصرانية شأن أسرته التي لا تعرف عن الدين شيئًا إلا أنها نصرانية بالوراثة، وهكذا نشأ خالي النفس من أية عقيدة يؤمن بها حق الإيمان، أشهر إسلامه على يد شيخ جزائري اسمه الشيخ أحمد العلوي كان قد التقى به في سويسرا التي كان يعمل مدرسًا، ثم قام بتغيير اسمه إلى أبي بكر سراج الدين، سافر إلى مصر سنة١٩٤٠م لدراسة الإسلام واللغة العربية وأمضى فيها ما يزيد على عشر سنوات، وعقب اندلاع الثورة المصرية والمظاهرات المعادية للبريطانيين عاد إلى لندن سنة١٩٥٢م، وكان قد نشر قبل رحيله عن مصر كتابًا بعنوان: كتاب اليقين، المذهب الصوفي في الإيمان والكشف والعرفان، فضلًا عن اصدار رائعته البليغة: "محمد رسول الله وحياته اعتمادًا على أقدم المراجع"،

وذلك سنة١٩٧٣م.توفي سنة ٢٠٠٥م، عن عمر ناهز الستة والتسعين عامًا. ينظر: "مارتن لينجز"، مقال منشور في المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية منشور في الرابط الالكتروني:www.iicss.iq

١٣١- Martine Lings، Muhammad: His Life Based on the Earliest Sources(Uk:1983)

١٣٢- وينظر أيضًا : مادة " كارين أرمسترونج"، ضمن موسوعة الاستغراب ؛ الحكيري، "كارن آرمسترونغ الراهبة"، .

١٣٣- عويس، منهج التطور العقدي، ص٤٢-٤٣ .

١٣٤- Muhammad at Mecca: Muhammad at Medina، Islam and the Integration of Society .

١٣٥- كارين أرمسترونج، سيرة النبي محمدﷺ، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، ط٢(القاهرة:١٩٩٨م)، ص٢٣.

١٣٦- . The Muslim Cree، Its Genesis and History Development

١٣٧- توشيهيكو إيزوتسو: عالم لغة ياباني عاش في الحقبة الممتدة(١٩١٤-١٩٩٣م)، كان يجيد أكثر من ثلاثين لغة بينها العربية والفارسية والصينية والروسية واليونانية وغيرها، ويعد أشهر الباحثين اليابانيين المعاصرين الذين كرسوا حياتهم العلمية ووظفوا أفكارهم التحليلية للاقتراب من الإسلام والتنقيب في جوانبه الروحية والمعرفية معتمدًا على منهج رصين قائم على علم الدلالة وعلم اللغة الحديث، وكان مهتمًا بدراسة ألفاظ القرآن الكريم وله مؤلفات عدة عن دلالات ألفاظ محورية في القرآن الكريم، ولعل أهم الاصدارات التي قدمها إيزوتسو في سياق اهتماماته بالشأن الإسلامي: "العلاقة بين المفاهيم الأخلاقية ــ والدينية في القرآن– Ethico Religions Concepts in the Quran ودراسته الأخرى:"الله والإنسان في القرآن" God and Man in the Quran . ينظر الرابط الالكتروني:.www wikipedia.org

١٣٨- ميشيل سيلز: باحث بريطاني الأصل أمريكي الجنسية ولد في بريطانيا في ٣ مايو١٩٧٠م، له اهتمامات كبيرة في الدراسات الإسلامية أهمها كتاب Approaching the Quran: The Early Revelation. ينظر الرابط الالكتروني: www.wikipedia.org

١٣٩- عويس، منهج التطور العقدي، ص٤٤ .

١٤٠- منهج التطور العقدي، ص٣١ .

١٤١- Ron Csillag، " Faith Relies on Practical Action", National Catholic Reporter (December:2009),Vol.46, issue.4,p.15 .

١٤٢- http://www.tedprize.org .

١٤٣- Anne Carr, "A History of God", The Journal of Religion، Vol,no,2,p.294.

١٤٤- Michael Hofstetter,"Muhammad: A Biography of the Prophet"، Magill Book reviews,9/1/1992 .

١٤٥- http://www.salon.com

١٤٦- هاربر كولينز المشار إليه أعلاه هو ناشر كتابها محمد : نبي لزماننا Muhammad A Prophet for OurTime الذي سيرد الحديث عنه لاحقًا في الفصل الرابع من الكتاب . ينظر: http: / /www.harpercollinx.com

١٤٧- ينظر: " كارين أرمسترونغ "، مقال منشور في الشبكة الدولية للأنترنت على الموقع الالكتروني: www.wikipedia.orgوينظر: " كارين أرمسترونغ : المرأة التي واجهت الغرب"، مقال منشور في الشبكة الدولية للانترنت في الموقع الالكتروني: www.albayan.ae ؛ والرابط الالكتروني :

١٤٨- http: / /www.islamfortoday.com

١٤٩- http: / /www.islamfortoday.com

١٥٠- أبو زيد، الاستشراق النسائي، ص١٢٥ .

١٥١- http: / /www.absoluteastronomy.com .

١٥٢- الجمعية البريطانية للأدب : هي جمعية أدبية أسسها في بريطانيا سنة ١٨٢٠م الملك جورج الرابع الذي حكم ما يقارب عقدين من الزمان للسنوات الممتدة(١٨١١-١٨٣٠م) كان الغرض منها تكريم الأدباء المميزين وإثارة المواهب الأدبية، تضم ٤٥٠ زميلا في عضويتها وينظم إليها ١٤عضوا سنويًا . ينظر: " كارين أرمسترونج" مقال منشور في الموقع الالكتروني:Deraya University.

١٥٣- ينظر: " كارين أرمسترونغ " مقال منشور في الشبكة الدولية للانترنت في الرابط الالكتروني www.wikipedia.orgوينظر: مقال بعنوان " كارين أرمسترونغ : المرأة التي واجهت الغرب" منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في الرابط الالكتروني: www.albayan.ae

١٥٤- عتمان، " دائرة الوعي" .

١٥٥- كارين أرمسترونج" مقال منشور في موقع الموقع الالكتروني: Deraya University

قائمة المصادر والمراجع

أولًا : المراجع

* أرمسترونج، كارين .
* سيرة النبي محمدﷺ، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، ط٢، القاهرة، ١٩٩٨م.
* سيرة النبي محمدﷺ(الإسلام في مرآة الغرب)، ترجمة: محمد حسن الجورا، دمشق، ٢٠٠٢م .
* محمد نبي لزماننا، ترجمة: فاتن الزلباني، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م، ط٢، ٢٠١٨م.
* أبو زيد، أحمد .
* الاستشراق النسائي، قصة حضارة في عيون غربية منصفة، الرباط، ٢٠١٧م.
* سعد، جهاد .
* برنارد لويس ــ صهينة الغرب وتتريك العالم الإسلامي، بيروت، ٢٠١٨م.
* عويس، نانسي أحمد.
* منهج التطور العقدي في دراسة الأديان المقارنة(كارين أرمسترونج نموذجًا) عرض ونقد في ميزان الإسلام، القاهرة، ٢٠١١م.
* فخري، ماجد.
* تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت، ١٩٧٤م.
* هارت، مايكل .
* الخالدون مائة أعظمهم محمدﷺ، ترجمة: أنيس منصور، القاهرة، ١٩٨٦م.
* ياقوت، محمد مسعد.
* الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية، جدة، د.ت .

ثانيًا : المقالات والأبحاث

* تعليق للكاتبAhmed S A على كتاب "محمد سيرة النبي"لكارين أرمسترونج منشور في الشبكة الدولية للأنترنت بتاريخ٢٣ مايو٢٠١٨م.
* تقرير تلفزيوني مترجم للمؤلفة البريطانية كارن أرمسترونج، منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في موقع قادة الفتح للقرآن الكريم.
* الحسني، محمد الهادي.
* "الإنسان الأكمل والدين الأقوم"، مقال منشور في الرابط الالكتروني: http: // shamela-dz.net
* رابط الكتروني
"Karen Armstrong" in www.: wikipedia.org
* فخري، ماجد .
* دراسات في الفكر العربي من أرسطو الى هنتجنتون، مقال منشور في الرابط الالكتروني: www.elaph.com
* أبو المجد، عبد الرحمن .
* كارين أرمسترونغ: هل هي أقرب الى الاعتدال؟، بحث منشور في الشبكة الدولية للانترنت في الرابط الالكتروني: www.Kutubpdfbook.com .
* مارتن كرامر المستشرق الذي صبغ الدراسات الأولية بالنظرة الصهيونية، بحث منشور بتاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠١٠م، في الشبكة الدولية للانترنت في الرابط الالكتروني: www.alukah.net

* عبدالله، أياد.
* المفكرة الراهبة البريطانية كارين أرمسترونج لصحيفة المدينة: غالبية الأوربيين لا يفهمون طبيعة الإسلام، مقال منشور في جريدة المدينة، جدة/ ملحق الرسالة، العدد١٨٥١٠ بتاريخ٨ نوفمبر٢٠١٣م في الرابط الالكتروني: www.al-madina.com
* عتمان، مدبولي.
* " دائرة الوعي ــ المهمة التاريخية والواجب الرئيس"، مقال منشور في جريدة الجمهورية المصرية بتاريخ ١٧غسطس ٢٠١٩م .
* مادلين أبو شقرة Madeleine Abou Shakra .
* "كارين أرمسترونج"، مقال منشور في الشبكة الدولية للانترنت بتاريخ٩ سبتمبر.
* مجهول .
* "آراء المستشرقين في النبي محمدﷺ كارين أرمسترونج ــ الحلقة السابعة من سلسلة "وإنك على خلق عظيم"، منشور في موقع رمضان يقربنا بتاريخ١٦ يوليو٢٠١٣م.
* مجهول.
* "الإسلاموفوبيا ــ الحقد على الإسلام"، مقال منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في موقع أبحاث ودراسات بتاريخ ١٩نوفمبر.
* مجهول.
* "إفرايم كارش"، مقال منشور في موقع المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية في الرابط الالكتروني: www.wikipedia.org
* مجهول.
* "توماس كارليل"، مقال منشور في الشبكة الدولية للأنترنت في الرابط الالكتروني: www.wikipedia.org
* مجهول.
* "الحبيب في عيون المستشرقين المنصفين، كارين أرمسترونج"، مقال منشور في الرابط الالكتروني: http://www.mohamedalnabi.com
* مجهول.
* " كارين أرمسترونج"، مقال منشور في موقع :Deraya University
* مجهول.
* مادة : "مارتن لينجز"، مقال منشور في المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية منشور في الرابط الالكتروني: www.iicss.iq
* مجهول.
* "وصف لكتاب سيرة النبي محمد لكارن آرمسترونج"، مقال منشور في الرابط الالكتروني:
* www.kutubpdfbook.com
* يوسف، داليا .
* "كارين أرمسترونج: الراهبةالهاربة"، منشور في موقع وجهات نظر، ديسمبر ٢٠٠٦م .
* ثالثًا : دوائر المعارف والموسوعات

* الحيكري، وفاء.
* «كارن آرمسترونغ الراهبة التي تبحرت في تاريخ الأديان وأنصفت الإسلام»، في الرابط الالكتروني:
www.meemmagazine.net
* مادة: «كارين أرمسترونج» ، ضمن موسوعة الاستغراب، مركز الفكر الغربي WESTT في الرابط الالكتروني: www.cwestt
* مادة: «كارين أرمسترونج»، ضمن الموسوعة الحرة في الرابط الالكتروني:
http://ar.wikipedia.org

رابعًا : المراجع الاجنبية

* Armstrong,Karen.
* Jerusalem: One City, Tree Faiths, New York,1996.
* Islam: A Short History, New York,2001.
* Muhammad A Biography of the Prophet ,New York,1992.
* Muhammad: A Prophet For Our Time, New York,2006.
* The Spiral Staircase: My Climb out of Darkness ,New York,2004.
* Through the Narrow Gate,London,1982.
* Violent Islamic radicals Know they are heretical Extremists are proud of their deviance and moderate Muslims cat t be held responsible, Guardian, Saturday, 8July,2006.
* Csilag,Ron.
* "Faith Relies on Practical Action", National Catholic Reporter, December,2009,Vol.46,issue,4.
* Engels, Cecilia Cordeiro.
* 10 August, New York,2007.
* Lings,Martin.
* Muhammad: His Life Based on the Earliest Sources,UK,1983.
* Fakhry,Majid.
* A History of Islamic Philosophy ,New York,1970.
* Lewis ,Bernard.
* A useful short history ,Australia,2006.

الصراع العسكري حتى معركة بدر
التأصيل القرآني والعرض التأريخي

أ.م.د. شهيد كريم محمد الكعبي

Military conflict until the Battle of Badr The Qur'anic Rooting and Historical Presentation critical approaches

Asst. Proof. Dr. Shahid Karim Mohammed Al-Kaabi

Abstract:

The research adopts the hypothesis that the historical presentation of the armed conflict between Muslims and polytheists in the Code of the Prophet's Biography has been formulated in a completely different way to the Qur'anic rooting of many of the details of this conflict and its events, which generated two contradictory images of this trend, and it seems that this reverts to political and intellectual factors imposed by the era of Recording, or The development of the geography of political Islam, and the predominance of the Islam of history over the Islam of the Qur'an.

الملخص:

يتبنى البحث فرضية أن العرض التاريخي لمنحى الصراع المسلح بين المسلمين والمشركين في مدونة السيرة النبوية الشريفة قد تمت صياغته بشكل مغاير تمامًا للتأصيل القرآني في كثير من جزئيات هذا الصراع وأحداثه، مما ولّد صورتين متناقضتين لهذا المنحى، ويبدو أن ذلك يرتد لفواعل سياسية وفكرية فرضها عصر التدوين، أو تطور جغرافيا الإسلام السياسي، وغلبة إسلام التاريخ على إسلام القرآن الكريم.

المقدمة:

كثيرة هي الأحداث والمفاهيم والصور التي أصّل لها القرآن الكريم وعرضها بشكل دقيق وتفصيلي أو بخطوطها العامة، إلا أن عرضها في المروي التاريخي قدّم صورًا أخرى مغايرة من حيث التفصيل تارة، أي إضافة تفاصيل مهملة أو غائبة في العرض القرآني، أو من حيث أساس الحدث وشكله العام، أي انه يقدم صورة أخرى مغايرة لما في النص القرآني.

فعلى سبيل المثال صورة النبي في القرآن الكريم ليست كما هي في السيرة والتاريخ، فهو في القرآن الكريم على خلق عظيم، رؤوف القلب، رحمة للعالمين..، أما في التأريخ فهو سبّاب شتّام لعّان لأدنى انفعال، روى أبو هريرة في هذا الصدد أن النبي ﷺ قال: اللهم إنما محمد بشر يغضب، كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهدًا لن تخلفنيه، فأيما مؤمن آذيته أو شتمته أو جلدته، فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة[١]، وفي لفظ: فأيما مؤمن سببته[٢]. وفي رواية السيدة عائشة قالت: دخل على النبي ﷺ رجلان فأغلظ لهما وسبهما!، فقلت: يا رسول الله لمن أصاب منك خيرًا، ما أصاب هذان منك خيرا..، فقال: أوما علمت ما عاهدت عليه ربي عز وجل؟..، قال: اللهم أيما مؤمن سببته، أو جلدته، أو لعنته، فاجعلها له مغفرة وعافية، وكذا وكذا[٣].

وهو ذلك الرجل الذي لا يعدل بين زوجاته حتى يشتكين منه[٤]، بل يعشق زوجة مولاه فيطلقها الأخير ليتزوج بها!. قال إمام المؤرخين الطبري في هذا اللحاظ: إن زينب بنت جحش فيما ذُكر رآها رسول الله ﷺ، فأعجبته وهي في حبال مولاه، فألقي في نفس زيد كراهتها؛ لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها[٥]، وقال الثعلبي و الواحدي: إن النبي ﷺ أبصرها قائمة في درع وخمار فأعجبته، وكأنها وقعت في نفسه[٦]، وزاد على ذلك البغوي فقال: "فأبصر زينب قائمة في درع و خمار، وكانت بيضاء جميلة ..؛ فوقعت

في نفسه، وأعجبه حسنها"[٧]، وزاد القرطبي على ذلك قوله: "فأبصر زينب قائمة، كانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش، فهويها، وقيل: إن الله بعث ريحا فرفعت الستر، وزينب متفضلة[٨] في منزلها، فرأى زينب فوقعت في نفسه، ووقع في نفس زينب أنها وقعت في نفس النبي، وذلك لما جاء يطلب زيدا"[٩].

وهو ذلك الرجل القاسي القلب مع أعداءه فيقطع الأيدي والأرجل ويسمل العيون[١٠]. وكذلك الحال بالنسبة للصحابة، فبعضهم في القرآن عرضة للمساءلة والتوبيخ والاتهام الصريح بالنفاق والارتداد، أما في السيرة والتاريخ فكلهم عدول ثقات[١١]!، قال القرطبي: الصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة..[١٢].

وهكذا كثيرة هي الأحداث والصور التي يتوارى فيها نص القرآن خلف نصّ التاريخ، بل إن الأخير يغدو حاكمًا وإن خالف صريح النص الأول، فكم تمّ إقصاء النص القرآني الصريح وعطّلت حاكميته أمام حاكمية النص الحديثي المفتعل، ففي قضية إرث النبي ﷺ، تمت مصادرة صريح القرآن لحساب رأي الخليفة الأول؛ إذ منع السيدة الزهراء عليها السلام من وراثة أبيها بناءً على حديث تفرد هو بروايته[١٣]، زعم فيه أن النبي قال: لا نورث ما تركنا صدقة[١٤]، بل إنه صادر أرض فدك التي أعطاها النبي ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام في حياته[١٥] بالحجة نفسها!، والغريب في الأمر أن مؤسسة الخلافة بعد أن حققت غايتها من الحديث في حجب نصوص الإرث القرآنية، عمدت إلى إقصاء الحديث ومنع نشره وإبطال مفعوله وحجيته، بدعوى أنه يختلط مع القرآن[١٦]!.

يرغب البحث في هذا اللحاظ الوقوف على حدث مهم من أحداث السيرة النبوية الشريفة التي رصدها وأصّل لها القرآن الكريم بدقة لافتة، إلا أن نصّ التاريخ حرّفها بشكل كبير جدًا، حتى أضاع معالم التأصيل القرآني لها!، وهذا

الحدث هو لجوء النبي ﷺ لطمر الآبار في معركة بدر.

المحور الأول

طور الدعوة الإسلامية المسلح في القرآن والسيرة النبوية الشريفة

الملاحظ على كتب السيرة النبوية أنها تعرض أحداث الصراع العسكري بين المسلمين والمشركين وكأنَّ المسلمين هم من بادر للجوء إلى خيار الحرب ومهاجمة قوافل خصومهم القرشيين؛ كردّ فعل على ما عانوه من ظلم واضطهاد في مكة وإخراجهم منها، في حين يظهر مشركو مكة وكأنهم لم يكونوا راغبين بالذهاب لأبعد من حدود التخلص من النبي ﷺ وأتباعه المسلمين وإبعادهم عن مكة، فلم يكن هناك -حتى بدء تحرك المسلمين العسكري وتسيير بعض السرايا المسلحة لاعتراض قوافل قريش- أي نية لدى قريش بخوض حرب مع المسلمين، أو القيام بمحاولة لاغتيال النبي ﷺ.

بل إن عرض التدوين السيري لأحداث هجرة عائلة النبي ﷺ- بحسب منهجية تغييب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام- يشير إلى أن قريش المشركة لم تمانع أن يلحق بالنبي ﷺ أهله وعائلته بعد خروجه وأصحابه من مكة، وهي لم تطارده خارج ترابها، فضلًا عن أن تفكر بخوض الحرب ضده!، بل لعلها لم تتوقع منه أن يقدم هو على ذلك، وعليه فهو من قرّر انتهاج سياسة اعتراض قوافلها، وتخريب اقتصادها، ونسف تجارتها بالقوة، وهذا ما شكّل نمطية فهم وقراءة وتعامل ثابتة تقريبًا من لدن عموم المستشرقين[١٧].

ففي الوقت الذي تتحدث مصادر السيرة عن: سرية حمزة بن عبد المطلب/ سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب/ سرية سعد بن أبي وقاص/ غزوة ودان/ غزوة بواط/ غزوة العشيرة/ غزوة بدر الأولى/ سرية عبد الله بن جحش[١٨]، وتعرضها على أنها تحرك إسلامي مسلح دون سابق إنذار أو استشعار خطر من قريش، أو استعداد وتحرك مماثل منها، تكتفي بتبرير التغير

في نمطية التعامل بالإحالة للإذن بالقتال بناءً على نزول قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج/ ٣٩.

في حين نجد المسلمين في معارك فاصلة مثل: أحد/ الخندق/ المعارك مع اليهود/ حنين/ تبوك..، لا يقدمون على الحرب إلا بعد أن يضطروا إليها اضطرارًا، ونرى النبي ﷺ يكره أن يبدأهم بقتال، وينتظر أن يبادروا هم بذلك أولًا!.

فهل كانت تلك السرايا ومعركة بدر مختلفة عن ذلك المنهج النبوي في تأخير الذهاب لخيار الحرب؟، ومن ثم علينا التساؤل: هل ان هذا الإغفال أو التشويه المتعمد لمنهج الصراع العسكري النبوي مع المشركين كان يتوخى منه التبرير لحروب الفتوح العربية ومعاركها فيما بعد، تحت عنوان الجهاد ونشر الإسلام بقوة السيف، والتغطية على ما تم ارتكابه من جرائم مروعة على أيدي الجيوش الإسلامية، وبأمر خلفاء المسلمين، بحثًا عن الغنائم والأموال والنساء...، لإشباع غرائز الحكام والقادة ورغباتهم؟، ومن ثُمَّ يمتد تبرير تلك الصياغة ليشمل ما نشهده اليوم من تعامل مماثل، ونشر للرعب والدمار والخراب، وقوافل السبي والنخاسة تحت راية الإسلام، وبأيدي مَن يدّعون الجهاد لنشر كلمة التوحيد ومحاربة الشرك والكفر؛ جراء فهم نمطي مغلوط لمبدأ الجهاد؟.

إن مطالعة كتب السيرة والمغازي تشير إلى أن النبي ﷺ والمسلمين قد بدأوا بشن الحملات المتلاحقة على قوافل قريش وتجارتها دون هوادة، وأن الأخيرة حتى معركة بدر لم تكن راغبة بالاصطدام العسكري مع المسلمين على الرغم من تفوقها العسكري من حيث العدة والعدد، بل إن خروجها لبدر إنما كان استجابة لحماية القافلة، ورد الاعتبار!، بعبارة أخرى: إن هذه المصادر تنصّ على مبادرة المسلمين للانتقال إلى طور المواجهة المسلحة مع قريش دون سابق تحرك مماثل من الأخيرة[١٩].

وإذا ما حملت هذه الصياغة على محمل حسن، فيمكن القول: إن الحماسة في الانتصار للإسلام وقصته الأولى، هي ما دفع بالمؤرخين لإظهار المسلمين

بموقع المبادرة في الصدام مع قريش، فمنذ أن استقر المهاجرون في المدينة بدأوا يفكرون بالانتقام من قريش ومبادأتهم بالعداوة والحرب، وإنما منعهم من إشعال نارها في وقت مبكر، أنهم كانوا منشغلين بإعداد مساكنهم وتنظيم أمورهم، ولعل بيعة الحرب في العقبة الثانية تشي بذلك، وطبيعي أن تكون قريش أول عدو يتوجه إليه نظر المسلمين، ويؤيد ذلك أيضًا بعث النبي ﷺ السرايا لاعتراض قوافل قريش، وخروجه شخصيًا في بعض منها كما في غزوة الأبواء أو ودان وغزوة بواط والعشيرة، وهذا يقوم دليلًا على أن المهاجرين وعلى رأسهم النبي ﷺ فكروا في الانتقام من قريش ومبادأتهم بالحرب. وفي أقل الفروض، فهذه التحركات العسكرية تهدف إلى الاستيلاء على القوافل التجارية القرشية، أو تمهيد الطريق للقيام بذلك عن طريق عقد الموادعات والأحلاف مع القبائل التي تمر بها بين المدينة وشواطئ البحر الأحمر، فتنهب تلك القوافل، من دون أن تجد من ينجدها ويحميها من مهاجمة المسلمين[٢٠].

وقد وقف محمد حسين هيكل موقف المتسائل حيال هذا العرض، فالقول بأن هذه السرايا كان يقصد منها حرب قريش وغزو قوافلها[٢١] يثير التردد والتفكير، فلم تكن سرية حمزة تزيد على (٣٠ رجلا)، ولم تزد سرية عبيدة على (٦٠ رجلا)، وكانت سرية سعد لا تتجاوز (٨-٢٠ رجلا)، في حين كان الموكلون بحماية القوافل القرشية عادة أضعاف هذه الأعداد!، ولا شك أن قريش قد زادت أعداد الحمايات بعد هجرة المسلمين إلى المدينة وقربهم من خطوط سير القوافل؛ تحسبًا أن يقوموا بمهاجمتها، ثم إن الموكلين بحماية القوافل القرشية -بلا شك- قد كانت لهم علاقاتهم النسبية والسببية سواء مع المهاجرين في المدينة، أم مع القبائل التي يمرون بها في طرق سير القوافل، وليس من السهولة أن يقف هؤلاء متفرجين إذا ما وقعت حرب بين الطرفين، هذا إن لم يحرصوا من الأساس على عدم وقوعها، فضلًا عن ذلك فالمسلمون

جميعًا يعلمون أن بيعة العقبة نصّت على تعهد الأنصار بمساعدة المهاجرين في حروبهم الدفاعية، وعليه ألم يكن المهاجرون وعلى رأسهم النبي ﷺ يتوخون عدم الدخول في حرب غير معروفة أو متوقعة النتائج مع قريش وحلفائها؟. هذا من جانب، ومن جانب آخر، ألم يفكروا في موقف الأنصار منهم، ومن تلك الحرب في حال وقوعها؟، وعليه فليس من اليسير التسليم مع المؤرخين، الذين لم يبدأوا بكتابة سيرة النبي ﷺ إلا بعد قرنين من وفاته[٢٢].

وانتهى هيكل إلى ترجيح أن المقصود من هذه التحركات العسكرية هو السعي لإفهام قريش أن مصلحتها تقتضي التفاهم مع المسلمين في المدينة لضمان سلامة تجارتها، وعدم اتساع دائرة الصراع والعداوة بين التكتلات القبلية المتحالفة مع كلّ من المكونين (قريش المشركة وحلفائها/ المدينة المسلمة وحلفائها)، فإذا أيقنت قريش أن قوافلها وتجارتها معرضة للخطر، من لدن أبنائها الذين عادتهم وطردتهم بالأمس دعاها ذلك إلى التفاهم معهم وتسوية الخلافات، وعليه ربما سيحصل المسلمون بالمقابل على حرية التحرك ونشر الدعوة الإسلامية، والدخول إلى مكة، واستمالة الناس للإسلام في مواسم الحج، ولم يكن هذا التفاهم واردًا ما لم تقدر قريش وتستشعر قوة أبنائها في الجبهة الإسلامية على الإيقاع بها، وإيصاد طرق التجارة بوجهها، ولعل هذا ما يفسر رجوع حمزة بن عبد المطلب عليه السلام وسريته المكونة من (٣٠ فارسًا) من المهاجرين عندما التقوا بأبي جهل عند سيف البحر بمجرد أن حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، الذي كان موادعا للفريقين، فلم يكن بينهم قتال[٢٣].

إذن، فهذه التحركات كانت تريد إفهام قريش خطر استمرارها بالنظر إلى المسلمين بازدراء، وعدم تقديرها لقوتهم؛ وبالنتيجة الضغط عليها لترعوي وتفكر في التفاهم والاتفاق معهم، ولعل مما يدعم هذا التفسير أن النبي ﷺ عندما خرج إلى بواط وإلى ذات العشيرة، لم يصحبه إلا عدد قليل من الأنصار، وهم إنما

بايعوه ليدفعوا عنه لا ليهاجموا معه، وسنجده في معركة بدر يتأخر في المبادرة إلى الحرب حتى يسمع رأي الأنصار ومدى استعدادهم، وإذا كان الأنصار لا يرون في أن يعاهد النبي ﷺ غيرهم من القبائل انتهاكًا أو مخالفة لشروط بيعة العقبة، فليس معنى هذا أن يذهبوا معه لحرب قريش دون أن تكون الأخيرة قد أحدثت ما يوجب الرد عليها، استجابة لما ألزموا به أنفسهم من الدفاع عنه، وإلا فما من سبب يدعوهم إلى السعي لتلك الحرب خلافًا للالتزامات والصلات العربية بين الفريقين!، ومهما يكن في هذه المعاهدات والاتفاقات التي عقدها النبي ﷺ مع القبائل المحيطة بالمدينة وطرق التجارة من تقوية لجانبه، وإضعاف للجانب القرشي بتفكيك أواصر التعاقدات الموجبة لحماية القوافل، فليس من السهولة أن تؤدي إلى اكتساب القوة الكافية لإعلان الحرب أو السعي لها[٢٤].

ويمكن أن نضيف هنا أنه وعلى أقل الفروض يبقى لقريش مستوى الصدارة في سلم تلك الاتفاقات والتعهدات، سيما إذا ما وضعنا بالحسبان عدم اهتمام تلك القبائل بأمر الدعوة الإسلامية والتغيير الديني، بل وربما مشاركتها لقريش في بعض المعتقدات الدينية، وقدم اتفاقاتها وتعاملاتها معهم، فضلًا عن امتلاك الأخيرة للأموال والسلع والمواد التي تغري تلك القبائل وتحقق رغباتها الآنية، قياسًا بعدم امتلاك المسلمين لها، وعليه فالقول بقصدية الحرب من تلك التحركات، وتسميتها بالغزوات ربما يكون تأثرًا من الرواة و المؤرخين بطابع الحياة الجاهلية القائمة على الغزو والسلب والنهب، وانبعاثًا من المخيلة والذائقة العربية التي صاغت الأحداث درجًا على نسق أيام العرب الجاهليين وحروبهم ومغازيهم المشهورة، فصدرت تلك اللفظة من العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي.

ولعل مما يدعم ذلك أن القرآن الكريم يخلو من الآيات التي تشير للابتداء بالحرب أو الحرب الهجومية والاعتداء، ويؤكد أن المسلمين في كل معاركهم ينطلقون من مبدأ الدفاع، قال تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ**

الله عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ.. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾ الحج/ ٣٩-٤٠، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة/ ١٩٠، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المائدة/ ٨٧، وقال تعالى: ﴿.. فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ النساء/ ٩٠، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ النساء/ ٩٤. فضلًا عن تركيزه مبدأ حرية الاعتقاد والاختيار والدعوة بالحسنى والسبل السلمية والإقناعية، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل/ ١٢٥، وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة/ ٢٥٦، وقال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون/ ٦.

وهكذا نجد تقاطعًا واضحًا بين الموروث التدويني وعرضه للأحداث وأسبابها، والأس الإسلامي الذي يفترض أن الأحداث الكائنة انطلقت عبر محدداته وتوجيهاته!، بمعنى آخر أن ما تعرضه كتب السيرة من حيثيات تلك التحركات العسكرية الإسلامية الأولى لا يتماشى مع مبادئ القرآن الكريم وخطوط الإسلام العريضة، ولذا نجدنا هنا بحاجة إلى الذهاب أبعد مما ذهب إليه هيكل؛ وإلا فقد كان بإمكانها-أي المصادر الإسلامية- أن تصرح بهذه القصدية أو التأويل أو تشير إليه، فتكفيه وتكفينا محاولة فهمه بصورة إيجابية.

وعليه فالراجح أنها كانت تقصد ما عرضته بصورة مباشرة لا لبس ولا تأويل فيها، ولكن السؤال الأهم والأولى بالإجابة هو: لماذا قدمت الأحداث بهذا الشكل المعارض للمتبنى القرآني؟. وهو سؤال أُهمِلَ أو لم يُلتفت للإجابة عنه.

لقد دُونت أحداث العصور الإسلامية الأولى، من قبل -أو على الأقل

تحت رعاية- التيار الإسلامي المتطرف (الحكومات الغاصبة الأموية والعباسية ومنظوماتها الروائية والتدوينية)، وغني عن القول أن هذه الحكومات قامت بأعمال عسكرية منافية تمامًا لروح الإسلام ومبادئ القرآن؛ بحثًا عن أطماعها الخاصة ولذائذها، وتثبيتًا لسلطانها وتوسيعه شرقًا وغربًا، عبر تطويع مفهوم الجهاد ونشر الإسلام والتوحيد وإعلاء راية الإسلام في أراضي الشرك والكفر، ليتناسب وما يخدم تلك الأطماع والمصالح الفئوية والذاتية الضيقة، ولم يسلم من سطوة وعنف تلك الرغبات الجامحة التي كانت تكتسح بقوة السيف ما يعترض طريقها من عقبات، حتى من كان مسالمًا، ولم يبتدئ بالاعتداء على المسلمين، إذ كانت كل الحروب المؤطرة بإطار الإسلام -حروب الفتوحات والتوسع- هي حروب اعتداء مبدأي، وحروب عبثية التهمت المسلمين وغيرهم على حدٍ سواء، فكثيرًا ما أبيدت مدن وجماعات إسلامية كاملة بيد جيوش تدعي الإسلام، تنفيذًا لرغبة الحكام المسلمين، وتأريخنا يغص بهذه الأمثلة منذ حروب ما سمّي بالردة وحروب الفتوح، وقمع المعارضين للسلطة المتغلبة سواء كانوا من الصحابة أم من غيرهم، وصولًا لقتل ذرية وأهل بيت النبي ﷺ وأهله وأتباعهم..، وهلم جرّا من عمليات الاعتداء، والقتل، والإبادة، والتعذيب، والتغلب، والسيطرة باسم الدين، ودعوى نشر الإسلام!.

ويبدو أن هذا التيار المتطرف -مؤسسات وأفرادًا- حاول صياغة المشهد والواقع الإسلامي بما يبرر تجاوزاته و يمررها التي مارسها على امتداد مسار تواجده بوصفه حاكمًا للجماعة الإسلامية، فضلًا عن تقديمها على وفق متبناه الاعتقادي والسياسي في بناء الكيان الإسلامي، فبدت تلك التحركات العسكرية -من جهته- طبيعية وشرعية وضرورية لعملية التكوين، على الرغم من تعارضها الصريح مع المتبنى القرآني، وسنشهد في حيثيات المعارك

الإسلامية صورًا أخرى تتقاطع وهذا المتبنى والسلوك العملي والفعلي للنبي ﷺ من قبيل تغوير آبار بدر ومنع المشركين من شرب الماء مثلًا[٢٥]؛ لتبرير استعمال الأمويين وغيرهم لحرب الماء، ومنع الماء في أكثر من موقف؛ فهي لا شك صورة تتقاطع تمامًا مع خلق الإسلام ومبادئه، وما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: الناس شركاء في ثلاث، أو ثلاث لا يمنعن: الماء، والكلأ، والنار[٢٦]. إذن، فعملية تدوين الأحداث كانت تتوخى وصل الخيوط والأساسات بين مرحلة التكوين الأولى -عصر الرسول- والمراحل اللاحقة بحيث لا ينشز أحدهما عن الآخر، ولا يتقاطع معه، فيؤصل السلوك اللاحق عبر صياغة أساسات مرحلة التكوين بما يتوافق وسلوك المراحل اللاحقة، وهكذا تمت صياغة جلّ الموروث الإسلامي في شتى حقوله وميادينه، من دون الالتفات إلى مدى الإساءة التي وجهت للنبي والإسلام في هذا التأطير التاريخي.

المحور الثاني

معركة بدر وطمر الآبار

تُقدّم معركة بدر في جلّ المصادر الإسلامية –قديمها وحديثها- على أن مقصدها الأساس كان التعرض لقافلة قريش والسيطرة عليها، بعد أن علم النبي ﷺ بعودتها من الشام، فقال: هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها، ولكنَّ أبا سفيان غيّر مسار القافلة، وابتعد بها عن منطقة الخطر وأرسل إلى مكة يستنفر قريش لنجدة القافلة، فتجمع مشركو مكة، وخرجوا للحرب، ولما علم النبي ﷺ بتعبئة قريش وخروجها استشار أصحابه؛ لاستبيان موقفهم، ومعرفة رأي الأنصار، فاتفقوا على الخروج معه للحرب[٢٧].

ولكن حيثيات هذا العرض الروائي تشي -من جانب آخر- بأن عملية ترتيب موقف المسلمين جاء بناءً على الموقف القرشي، بمعنى أن الموقف الإسلامي لم يكن مستكمل الاستعدادات للذهاب إلى خيار الحرب، ومع

هذا الحال لا يمكن القول إن التحرك الذي استهدف القافلة كان عازمًا على خوض الحرب أو الاستحواذ عليها بالدرجة الأساس، وإلا لعُدَّ لهذا الأمر ما يحتاج من تعبئة المهاجمين بصورة سريعة ومسبقة، مع أنه ليس من الصعب التعرف على وقت عودة القافلة بصورة دقيقة، أو الطريق الذي ستسلكه، ومن ثم نصب كمين لها ومصادرتها قبل وصول خبرها لقريش.

وواضح أنه حتى وقت تحرك قريش لم يكن اشتراك الأنصار من عدمه قد حدد في هذه المواجهة، وهو ما يعيد طرح السؤال السابق حول موقف الأنصار في حال حدوث الصدام بين مهاجمي القافلة المسلمين والموكلين بحمايتها من قريش؟، أفلم يكن النبي ﷺ والمسلمون بحاجة لمعرفة موقفهم، أو أنهم بحاجة لمعرفة التزامهم في مثل هذه الحالة تجاه النبي ﷺ والمهاجرين؟، وإلا لما أكد على استبيان موقفهم؛ فعندما أتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عيرهم، استشار المسلمين فقام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فجزاه النبي ﷺ خيرا، ودعا له، ثم قال: أشيروا على أيها الناس، وإنما يريد الأنصار...، وكان النبي ﷺ يتخوف ألّا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك، قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟، قال: أجل، قال: لقد آمنا بك وصدقناك، و شهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت، فنحن معك فو الذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما

تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، فقال: سيروا وأبشروا؛ فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم[٢٨].

إذن، فالتحرك العملي على الأرض يشير إلى أن النبي ﷺ -وإن فهم من شاركه أو أرسله بتلك التحركات، والرواة والمؤرخون بأنه يقصد الابتداء بالحرب- كان يريد تهيئة الجماعة الإسلامية لمواجهة متطلبات المرحلة اللاحقة، التي لا شك في أنها ستتطور إلى واقع الصدام العسكري المسلح، وفي الوقت نفسه إفهام قريش بأن المسلمين لم يعودوا أولئك النفر الضعفاء الذين كانوا يعذبونهم ويعتدون عليهم في مكة، من دون أن يملكوا القدرة على الرد والمواجهة، وهو بحد ذاته ما سيدعو قريش المتغطرسة لاستئصالهم، ومن ثمَّ يكون تحركهم عشوائيّا وغير مدروس، ولا يقدر بصورة صحيحة تغير واقع المسلمين، الذين من جهتهم ستكون هذه المواجهة بمثابة رهان الوجود ومعركة المصير وإثبات الذات أمام قريش المشركة والتكتلات القبلية المحيطة بمكة والمدينة فضلًا عن اليهود، ثم إنّ الأنصار هنا سيكونون ملزمين بالوفاء بتعهداتهم، فها هي قريش سائرة لحرب النبي ﷺ وهم قد تعهدوا بمساندته إذا ما تعرض للهجوم.

ولعل مما يدعم ذلك أن بعض المهاجرين -الذين عبر عن رأيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب- كانوا يخشون لدرجة كبيرة جدًا الدخول بصدام عسكري مع قريش!، ولذا عدت هذه الخشية منقصة وقدحًا بشخصيهما إذا ما قورنت بموقف سعد والمقداد وقوليهما؛ فحذفها عدد من المؤرخين وقالوا: إن النبي ﷺ شاور الناس يوم بدر، فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة..[٢٩]، أو: فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن[٣٠]. فلو كان قولهما حسنًا فلِمَ لَمْ يُذكر كما

ذُكر قول المقداد وسعد، ولم أعرض عنهما النبي ﷺ؟.

فضلًا عن ذلك فإن حقيقة قولهما الذي نصّ عليه الواقدي والمقريزي، واللفظ لعمر بن الخطاب: يا رسول الله، إنها والله قريش وعزها، والله ما ذلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزها أبدا، ولتقاتلنك، فاتّهِبْ لذلك أهبته وأعد لذلك عدته[٣١]، يؤكد بما لا يقبل الشك انقسام المعسكر الإسلامي حيال الحرب مع قريش، وعلى أقل الفروض تأرجح الموقف حتى تحرك قريش نحو بدر، و بالنتيجة فلا يمكن القول بحسم خيار الحرب منذ الحملات الاستطلاعية، أو التحركات الأولى وبضمنها عملية رصد القافلة القرشية السابقة لمعركة بدر.

على أن ذلك لا يعني عشوائية التحرك، وترك الأمور للصدفة والتحرك الآني المبني على ردود الأفعال بالنسبة للنبي ﷺ، ففضلًا عن العناية والتسديد الإلهي الذي يحكم ويوجه تحركاته وأفعاله كافة، فهو -كما مرّ- كان يتوخى وضع المسلمين والمشركين على حدٍ سواء في مواجهة طبيعة الظروف المتنامية، وهو لا يعني كذلك الدفع الكيفي نحو ذلك الصدام، إنما الاستعداد لمواجهة واقع ومنهج تحرك مؤجل، ربما كان من بين ما يبرره أيضًا وجود محدد من المسلمين الضعفاء أو الراغبين بالانتماء للجماعة الإسلامية، أكان في مكة أم في المناطق المحيطة بها، وحتى في التكتلات القبلية خارج المدينة، ولكنّهم إمّا واقعون تحت سلطة المشركين من قومهم، ولا يستطيعون الاتصال بالمسلمين كما في حالة المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان في سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب[٣٢]، وإمّا يرقبون تكشف الأوضاع واحتمال تغير موازين القوى، أو على العكس هم متحالفون مع قريش واليهود ومتوثبون للانقضاض على المسلمين وأخذهم على حين غرة، وهو ما تؤكده غزوة بني سليم؛ التي هي الأخرى -للأسف- قدمت من دون ذكر سبب للقيام بها، وكأنها تحرك غير مبرر من

قبل النبي ﷺ والمسلمين، فقد اكتفت جلّ المصادر بالقول: إن النبي ﷺ لما رجع من معركة بدر، لم يقم بالمدينة إلا سبع ليال، ثم غزا بني سليم..، فبلغ ماء من مياههم يسمى الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا[٣٣].

وحقيقة الواقع أن جماعة من بني سليم وبني غطفان قد تجمعوا في تلك المنطقة لغزو المدينة، ولا يبعد أن كان ذلك بالاتفاق مع قريش المشركة، سيما أن الفرق بينها وبين معركة بدر لم يكن سوى ٧ أيام فقط، ولم يقم المسلمون بما يوجب تحشد هاتين القبيلتين لحربهم، وعلى أية حال وصل خبرهم للنبي ﷺ فتحرك نحوهم بـ٣٠٠ رجل من المسلمين، فلما وصل إلى ذلك الموضع، التقى برجل من بني سليم فأخبره أن القوم افترقوا، فأقام هناك ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة[٣٤]، وفضلًا عن تصريح الواقدي والمقريزي بخبر تجمع بني سليم وغطفان، فإن عبارة (ولم يلق كيدًا) في المصادر السابقة تشير إلى وجود جهة كانت تريد الكيد والإيقاع بالمسلمين، وهو ما يقود إلى أن هذه العبارة و عبارة (ولم يكن قتال) ومثيلاتها، تشير إلى وجود الجهة المقابلة، وعليه فخروج المسلمين في مجمل تلك الحالات كان استجابة لحدوث حالة مماثلة!، بمعنى أن النبي ﷺ كان يريد إفهام قريش وحلفائها واليهود والتكتلات القبلية الأخرى تغير وضع المسلمين، ويدفعهم لاتخاذ موقف متعقل منهم، مع الأخذ بالحسبان أن تحركاته كانت استجابة لتحرك، أو نية تحرك مسبقة من تلك الأطراف.-

طمر آبار الماء في معركة بدر:

تنصّ مصادر السيرة النبوية على أن النبي ﷺ عندما سار بالمسلمين لمواجهة قريش و وصلوا قرب موضع آبار بدر، قال لأصحابه: أشيروا عليَّ في المنزل، فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟، قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، قال: فإن هذا ليس بمنزل، انطلق بنا إلى أدنى

ماء القوم، فإني عالم بها وبقُلَبها (آبارها)، بها قليب قد عرفت عذوبة مائه، ثم نبني عليها حوضا ونقذف فيه الآنية، فنشرب ونقاتل ونغور ما سواها من القُلب، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: الرأي ما أشار به الحباب، فقال النبي ﷺ: يا حباب أشرت بالرأي، ففعل كل ذلك[٣٥].

وقد حاول القاضي عياض تبرير هذه المفارقة بالقول: إن مثل هذا الأمر وأشباهه من المسائل الدنيوية التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها الخطأ والوهم، إذ ليس في هذا كله نقيصة عليه، فهي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها، والنبي ﷺ مشحون القلب بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية، وما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط فيه عصمة الأنبياء!، وضرب عددًا من الأمثلة التي أخطأ -بزعمه- فيها النبي ﷺ القول أو التصرف[٣٦].

واعتمد في إثبات وجهة نظره على بعض الروايات والأحاديث، التي هي الأخرى في الأساس نسجت على منوال رواية مشورة الحباب، ومنها: أنه مرّ بجماعة من أهل المدينة وهم يأبرون النخل (يلقحون النخل)، فقال: ما تصنعون؟، لو لم تفعلوا كان خيرا أو لصلح، فتركوه فنفضت (خرج شيصًا)، فذكروا ذلك للنبي، فقال: إنما أنا بشر، فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر، وأنتم أعلم بأمر دنياكم[٣٧]، ومنها ما يُروى من: أنه كان يطوف بنخل من نخل المدينة، فجعل من معه يقولون: فيها صاع، فيها وسق، يحزرون- أي يقدّرون وزن محصول التمر-، فقال: فيها كذا وكذا، فقالوا: صدق الله ورسوله، فقال: يا أيها الناس، إنما أنا بشر، فما حدثتكم به من عند الله فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب[٣٨].

وهكذا نلحظ مؤرخي مدرسة الخلافة على امتداد مسار التدوين الإسلامي، يقعون بين خيارين، أحدهما أصعب من الآخر، فإما أن يخرجوا

على هذا الموروث المتناقض، الذي يهز عقيدة المسلمين بالنبي ﷺ وحكمته، ووفور عقله، وعلمه وحسن تدبيره، وإما أن يلجأوا للتأويل والالتواء والتضحية بقداسة النبي ﷺ مقابل ضمان نظرية قداسة الصحابة والموروث الروائي الوارد عنهم بكل ما يحمل من تفاهات، وغالبًا ما تبنّوا الخيار الثاني؛ لأن رفضهم لذلك الموروث الملغم يعني رفض ما ورد عن الصحابة في كتب ما يسمى بالصحاح والمسانيد، وعليه رفض نظرية عدالة الصحابة وقداستهم وقداسة تلك المصادر، ومن ثم التدرج للاعتراف بنظرية عصمة النبي ﷺ في كل أحواله، وهذه المسألة بالتحديد هي مركز وأس الخلاف بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الخلفاء، وبالنتيجة وضع جميع التصرفات التي صدرت من رموز هذه المدرسة –وفي مقدمتهم الخليفتان أبو بكر و عمر- في مخالفة النبي ﷺ والاعتراض على توجيهاته وأوامره، موضع النقاش والتخطئة، ويتبع ذلك تخطئة جميع تصرفات أولئك الأشخاص التي خرجوا فيها على توصيات وأحاديث النبي ﷺ -بعد شهادته بدءًا من السقيفة وليس انتهاءً بما نشهده اليوم من تواصل لشرعنة أعمالهم وسلوكياتهم وفهم الشريعة والدين على أساسها-، وعدها مخالفة صريحة للإسلام والقرآن، مما يعني بصورة عملية أدق انهيار كامل البناء العقدي والفكري المتراكم منذ السقيفة حتى اليوم، ووضع أجيال متعددة متعاقبة من المسلمين في منطقة التأرجح في الانتماء لحقيقة الإسلام من عدمه، ولا شك أنه خيار صعب جدًا، ولذا حسم الأمر بتجاوزه، وتبني مفهوم عدم العصمة أو ارتباطها بما يقترن بأمور الدين والتبليغ والوحي!، وهذا الالتواء في حقيقة الحال قد أنتج وضع التأرجح لمن يتبناه.

وبالعودة إلى مشورة الحباب، فيبدو أن الأخير قد أناطت به السيرة والتاريخ أكثر من رأي واجتهاد، حتى بات يعرف بذي الرأي[٣٩]، فقد ورد أنه في غزوة خيبر أشار على النبي ﷺ بأن يغير معسكر الجند، ويبتعد عن

حصن خيبر والنخيل المحيط به[٤٠]، وأشار عليه في اليوم الثاني بقطع نخل اليهود، فقال: يا رسول الله إن اليهود ترى النخل أحب إليهم من أبكار أولادهم فاقطع نخلهم، فأمر النبي بقطع النخل، و وقع المسلمون في قطعها حتى أسرعوا في القطع، فجاءه أبو بكر فقال: يا رسول الله، إن الله عز وجل قد وعدكم خيبر، وهو منجزٌ ما وعدك، فلا تقطع النخل، فأمر فنادى منادي النبي فنهى عن قطع النخل[٤١]. كذلك أشار عليه في غزوة الطائف أن لا يدنوا من حصن ثقيف[٤٢]، وأشار على الأنصار في السقيفة أن لا يسلموا الأمر لقريش، أو أن يتقاسموا الخلافة معهم[٤٣].

وحقيقة الحال أن هذه الأمور ومثيلاتها لا يمكن تأويلها بنحو ما عمل القاضي عياض، فهي -وإن تنزلنا عند ذلك الحد- لا تدل على عدم المعرفة بالأمور الدنيوية أو غير المتصلة بالدين والتشريع، بقدر ما تدل على العبثية والطيش، والتصرف دون أدنى حكمة!.

وإذا ما تركنا مشوراته السابقة وعدنا إلى مشورته في طمر الآبار، فيمكن أن نسجل عليها الاعتراضات الآتية:

١) مسألة التحرك للحرب وإعداد الخطط الاستراتيجية لها فضلًا عن كونها ليست بغريبة على النبي والبيئة التي نشأ فيها، فهي تتعلق بمجمل كيان الجماعة الإسلامية وأصل وجودها، ولعلها بهذا اللحاظ أعظم شأنًا -إن لم تكن مساوية- لما أزاحه القاضي عياض في تأويله السابق من دائرة الدين والاعتقاد ومقاصد الأمة فيه!.

٢) من الغريب أن الرواية الإسلامية تشير إلى أن النبي ﷺ قد أخبرهم بنتائج المعركة قبل وقوعها فقال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم[٤٤]، وروى مسلم في صحيحه أن عمر بن الخطاب قال: كان رسول الله يرينا مصارع أهل بدر، يقول: هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان، فو الذي بعثه بالحق ما أخطأوا

الحدود التي حد رسول الله[٤٥]، بمعنى أن هناك دقة متناهية في بيان حيثيات المعركة وجزئياتها، فهل عقم الإرشاد الإلهي، أو تقدير النبي ﷺ عن تعيين موقع تعسكر المسلمين؟!، وكيف يستقيم تصوير نتيجة المعركة قبل وقوعها، بهذا الشكل الواضح والمفصل مع عدم القدرة على تحديد موقع الجيش؟!. وهنا يجدر الانتباه إلى أن إخبار النبي سالف الذكر، يمثل حديثًا نبويًا عن إخبار إلهي!، وهو فضلًا عن ذلك معاصر للحدث وشاهد حي عاش الأحداث بأدق تفاصيلها!.

٣) رواية مشورة الحباب مجهولة السند، فقد قال ابن إسحاق (ت١٥١هـ) في نصها: "حُدِثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا.."[٤٦]، فمن هم هؤلاء العدة من الرجال؟، وهل هم متعاصرون زمنيًا؟، وهو ما يوحي به النص، فكلهم حدث ابن إسحاق، بمعنى أنهم ينتمون إلى عصره لا إلى عصر الحادثة!. ويجب هنا أن نأخذ بالحسبان مسألة غاية في الأهمية وهي أن الحباب بن المنذر ينتمي إلى بني سلمة[٤٧]، أي إلى قبيلة الرواة الذين حدثوا ابن إسحاق بهذه الرواية، فليس من المستبعد أن يكون العامل القبلي قد أدى أثره في هذه الرواية؛ للرفع من شأن أحد أفراد القبيلة من الصحابة الأوائل، ولا سيما في عصر التأريخ والتوثيق للمفاخر في صياغة قصة الإسلام الأولى، فأن يكون أحد أفراد القبيلة بهذه المنزلة والمكانة من سدار الرأي والحكمة، بحيث يشير على النبي، وينزل الوحي ليؤيد مقالته ورأيه، لا شك في أن في هذا مدعاة للتفاخر في عموم القبيلة.

٤) إذا ما عدنا إلى مصادر السيرة السابقة لابن إسحاق وتحديدًا إلى الزهري (ت١٢٤هـ)[٤٨]، فإننا لا نجد أثرًا لرواية مشورة الحباب بن المنذر، على الرغم من تخصص الزهري بالمغازي والسير، حتى عدّ رائدها الأول، وعنه نقل من جاء بعده كابن إسحاق والواقدي وغيرهم[٤٩]، وعلى الرغم من أنه وقف مطولًا عند تفصيلات وحيثيات معركة بدر بما فيها مسألة الآبار والماء، وما جاء في روايته لها، أن النبي ﷺ أرسل رجلين من أصحابه ليستكشفا طريق

مسار أبي سفيان، فرجعا إليه وأخبراه أنه سيتوقف عند ماء بدر، وعندما وصل أبو سفيان إلى آبار بدر سأل بعض القريبين منها، فأخبروه عن الذين بعثهم النبي في اثره، فعرف أنهم من المدينة عن طريق علف بعيريهما، فاتجه بالقافلة نحو طريق البحر، أما الرجلان فكانا قد رجعا للنبيﷺ، وأخبراه عن مسير أبي سفيان، فقال أبو بكر: هو الآن بموضع كذا وكذا، ونحن بماء كذا وكذا، فيرتحل وينزل ماء كذا وكذا، وننزل ماء كذا وكذا...، ثم نلتقي بماء كذا وكذا، كأنّا فرسا رهان، فسار النبيﷺ حتى نزل ماء بدر، فوجد بعض رقيق قريش ممن خرج يغيث أبا سفيان، فأخذهم أصحابه...[٥٠].

أما موسى بن عقبة (ت١٤١هـ)، وهو الآخر أحد رواد علم السيرة والمغازي ومؤسسيها، ومن أبرز تلامذة الزهري[٥١]، وقد مدحه ووثق مغازيه عدد غفير من العلماء والفقهاء، وفي مقدمتهم مالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم، فكانوا يوصون الناس بالأخذ عنه لأنه ثقة ومغازيه من أصح المغازي[٥٢]، فهو الآخر قد ذكر أيضًا خروج المسلمين بنحو ما ذكره الزهري، بل وبتفصيلات أدق، وليس فيها خبر مشورة الحباب[٥٣]، إلا أنه بعد أن انتهى من الرواية الأولى، ذكر رواية ثانية بلفظ (وزعموا..)، أشار فيها إلى مشورة الحباب[٥٤]، ومن المعلوم أن هذا اللفظ وأمثاله من ألفاظ التضعيف، وإذا ما التفتنا إلى هذه اللفظة وإلى التعاصر بينه وبين ابن إسحاق، فيبدو أن خبر المشورة لم يكن متعارفًا في السابق، وإنما انتشر في عصر التدوين (عصره وعصر ابن إسحاق)، ولذلك لم يذكره لا هو ولا أستاذه الزهري في روايتهم الأولى الخاصة بحيثيات خروج المسلمين إلى بدر.

٥) ترتبط مشورة الحباب بوجود عدد من الآبار المحتوية على الماء، بينما تتحدث نصوص نهاية المعركة عن قليب واحد دفن فيه بعض قتلى قريش[٥٥]، ويظهر أنه لم يكن يحتوي على الماء، وإلا فليس من المناسب أو المعقول دفنهم فيه

مع وجود الماء أو تغويره لدفنهم، فالإبقاء عليه لينتفع منه الناس والحيوانات في تلك الأرض الصحراوية أولى من ذلك، ثم إنه ليس من طبيعة المنطقة أن يتواجد فيها أكثر من بئر في مكان واحد، فضلًا عن ذلك هناك نصوص تتحدث عن سيطرة المشركين مبدئيًا على الآبار وسبقهم إلى الماء، وأن المسلمين أصابهم العطش، وأنهم كانوا بحاجة ماسة جدًا للماء[٥٦]، إذن، فعملية السبق إلى الماء والسيطرة عليه معكوسة تمامًا، ومشورة الحباب لا مبرر لوجودها.

٦) يشير النص القرآني المقترن بالحادثة إلى حالة الحرج والضيق التي كان يمر بها المسلمون بسبب حاجتهم للماء، قال تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**﴾ الأنفال/ ١١. وعليه فالواقع الذي يعرضه النص القرآني يشير إلى التقاطع التام مع رواية السبق للماء، ومشورة الحباب.

٧) تبين تفصيلات الحادثة الأخرى أن المسلمين نزلوا على كثيب أعفر أو أهيل (رمل ناعم) تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وأنهم تأذوا من هذا الرمل وانعدام الماء، فأغاثهم الله بالمطر الذي لبَّد الرمل (جعله يتماسك ويتصلب)، فسهلت حركتهم عليه، وشربوا وملأوا القرب من ماء المطر، واغتسلوا وارتاحوا حتى أصابهم النعاس، في حين كان المطر بلاءً على قريش[٥٧].

ومع الالتفات إلى أن هذه الصورة مثبتة ومؤكدة في النص القرآني المعاصر، قياسًا برواية ابن إسحاق المتأخرة، تبدو قصة مشورة الحباب وتغوير آبار بدر تفتقر إلى مبررات وجودها وأدلة إثباتها، وهي فضلًا عن تقاطعها مع ما سبق، ومع خلق النبي ﷺ ومبادئ الإسلام الإنسانية، فإن القول بوقوعها، مع ما تقدم سواء كان منعهم لماء الآبار قبل نزول المطر أم بعده، لعله يستغل ضد النبي والمسلمين!، ففي الوقت الذي منعوا هم ونبيهم ماء الآبار في الأرض، جاء رفض ربهم لهذا الفعل، بل والتأنيب عليه، بأن منح الماء للجميع من

السماء، فكم هي صورة متناقضة للإسلام والمسلمين حينها!.

أما قصتا (تأبير/ تلقيح النخل، وتقدير وزنه) اللتان حاول القاضي عياض إسناد خبر مشورة الحباب عن طريقهما، فواضح أنهما ترتدان إلى الجذر نفسه الذي أنتج خبر مشورة الحباب، بمعنى أن الأخبار الثلاثة منسوجة على منوال واحد، وهي تبتغي تحقيق هدف واحد، وهو ضرب معتقد العصمة، وتقرير جواز الخطأ والسهو على النبي ﷺ، وجواز معارضته، أو عدم الالتزام بكل ما يقوله أو يأمر به، بمعنى فتح باب الاجتهاد بالرأي مقابل رأيه!.

وبذلك بررت كل اعتراضات الصحابة، ولا سيما رموز المدرسة المناقضة لمبدأ العصمة، وكل اجتهاداتهم، ومخالفاتهم، وخروجهم على أوامر النبي ﷺ وتوصياته، سواء في حياته أم بعد مماته، بدعوى أنهم أبصر بأمورهم، وأكثر دقة ومعرفة في تحديد المصلحة والفائدة!؛ وإلا فمسألة ضرورة تلقيح النخل، وتقدير حاصله لا تخفى على صغار الناس وبسطائهم فضلًا عن ذوي السن والعقل منهم، فكيف بالنبي؟!. وفوق هذا وذاك فالنبي ﷺ هو ابن تلك البيئة، ولا شك في أنه يعرف أمور النخيل والفواكه والثمار المنتشرة في المنطقة!، أو انه تاجر بها، أم إن راوي الخبر يريد إقناعنا بأن النبي ﷺ لم يرَ النخل في حياته حتى شاهد أهل المدينة يلقحونه؟!. وأنه شخصية متناقضة تمام التناقض، ففي الوقت الذي يعلم أخبار السماء والغيب ويتنزل عليه الوحي، ويمتلك المهارة والحذاقة في العديد من الأمور الدنيوية كالتجارة والسياسة والقدرة على ترويض مجتمع شبه الجزيرة البدوي الجافي الخشن الطباع ....إلخ، نجده لا يعرف البديهيات البسيطة والمتعارفة من الأمور كحاجة النخل وسائر الثمار للتلقيح!.

وكم هي مضحكة ومبكية اعتذارات وتبريرات علماء مدرسة الخلافة لهذه الموضوعة ومثيلاتها؛ لأنهم لا يمتلكون الشجاعة لمخالفة هذه الترهات ورفضها، بدعوى أنها رويت من قبل بعض الصحابة أو الشخصيات المعتمدة في الرواية والنقل في تلك المدرسة، مهما بلغ من انحراف وكذب تلك الشخصيات وعدم

استقامتها!، ولأنها وردت فيما اصطلح على تسميته بكتب الصحاح[٥٨].

وإذا ما دققنا في خبر تأبير/ تلقيح النخل وجدناه يُروى عن أنس بن مالك، وكم يغص تراث المسلمين بأكاذيبه ومفترياته ومنها دعواه أنه: كان مع النبي ﷺ في سفر فنزلا منزلا، فإذا رجل في الوادي يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها، قال: فأشرفت على الوادي، فإذا رجل طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فقال: من أنت؟، فقلت: أنس بن مالك، خادم رسول الله، فقال: أين هو؟، فقلت: هو ذا يسمع كلامك، قال: فأته واقرأه مني السلام، وقل له: أخوك إلياس يقرئك السلام، فأتيت النبي فأخبرته، فجاء حتى لقيه فعانقه وسلم عليه، ثم قعدا يتحدثان، فقال له: يا رسول الله إني إنما آكل في كل سنة يومًا، وهذا يوم فطري، فآكل أنا وأنت، فنزلت عليهما مائدة من السماء، عليها خبز، وحوت، وكرفس، فأكلا، وأطعماني، وصلينا العصر، ثم ودعنا إلياس، فرأيته مر على السحاب نحو السماء[٥٩].

وقد علق الذهبي على هذه الرواية بالقول: "فما استحيى الحاكم من الله يصحح مثل هذا"[٦٠]، وفي لفظٍ: "هو موضوع قبح الله من وضعه، وما كنت أحسب ولا أجوز أن الجهل يبلغ بالحاكم إلى أن يصحح هذا"[٦١]، وخرجها ابن الجوزي في الموضوعات وقال: "هذا حديث موضوع لا أصل له"[٦٢]، وقال ابن كثير: هذا حديث ضعيف بالمرة، والعجب أن الحاكم أخرجه في مستدركه على الصحيحين، وهذا مما يستدرك به على المستدرك؛ فإنه حديث موضوع، مخالف للأحاديث الصحاح من وجوه، ومعناه لا يصح[٦٣]. كذلك نقل الصالحي الشامي تكذيب العلماء لهذه الرواية وبيان وضعها[٦٤].

على أن الذهبي وابن كثير تغافلا أيما تغافل بتعليقيهما، فالحاكم النيسابوري لم يكن يريد من نقله للخبر تصحيحه، أو أنه يعتقد بحدوثه؛ فواضح أنه مجرد خرافة لا أكثر، ولكنه أراد بيان أن هذا الخبر بحسب الشروط الموضوعة لتخريج الأحاديث في (صحيح البخاري/ وصحيح مسلم) كان من المفترض

أن يخرج فيهما؛ لأنه مستكمل لتلك الشروط، فعلى هذا المدار ألف الحاكم النيسابوري كتابه كما يفصح عن ذلك عنوانه: المستدرك على الصحيحين[٦٥]

نتائج البحث:

١- اتضح عن طريق البحث البون الشاسع والتناقض بين التأصيل القرآني لبعض أحداث السيرة، والعرض التاريخي لها.

٢- يبدو أن عددًا من الزيادات في أحداث السيرة كانت من صنع عصر التدوين، ولم تكن حاضرة في الروايات الشفوية، وأصول السيرة الأولى، ولا سيما إذا ما أخذنا بالحسبان أن هذا العصر بات عصر توثيق المفاخر في قصة الإسلام الأولى.

٣- الراجح أن رواية مشورة الحباب ترتد لفواعل الانتماء القبلي، فهي منقولة عن أشخاص مجهولين، و غير مصرح بأسمائهم، ولكنهم ينتمون إلى القبيلة نفسها التي ينتمي إليها الحباب وهي قبيلة بني سلمة.

٤- ليس من المستبعد أن تكون مسألة ضرب مفهوم العصمة لدى النبي ﷺ هي من تقف وراء إبراز العديد من روايات المشورة، التي بدا النبي ﷺ فيها متسرعًا باتخاذ بعض القرارات، بل لعل بعضها كانت أقرب إلى العبثية منها إلى الحكمة وحسن التدبير.

٥- اتضح من البحث أن منظومة التراث الإسلامي السائد، كانت وما تزال واقعة بين طرفي ضغط وهما: قدسية الشخصية النبوية وضرورة تشذيب ورفع كل ما يسيء لها في التراث، وبين عدم القدرة على ذلك؛ لأنه سيؤدي إلى انهيار كامل البناء العقدي والمذهبي الذي بُني على أساس هذه الروايات و مثيلاتها، وسارت عليه أجيال متعاقبة ومتلاحقة من المسلمين حتى وقتنا الحاضر.

١. أحمد بن حنبل: مسند، ٢/ ٤٩٣؛ مسلم: صحيح، ٨/ ٢٦؛ ابن حبان: صحيح، ١٤/ ٤٤٧؛ البيهقي: السنن الكبرى، ٧/ ٦١.
٢. البخاري: صحيح، ٧/ ١٥٧؛ مسلم: صحيح، ٨/ ٢٦؛ ابن حبان: صحيح، ١٤/ ٤٤٦؛ البيهقي: السنن الكبرى، ٧/ ٦١.
٣. ابن أبي شيبة: المصنف، ٧/ ٨٩؛ أحمد بن حنبل: مسند، ٦/ ٤٥.
٤. أحمد بن حنبل: مسند، ٦/ ٨٨.
٥. جامع البيان، ٢٢/ ١٧.
٦. الثعلبي: الكشف والبيان، ٨/ ٤٧؛ الواحدي: الوجيز، ٢/ ٨٦٦.
٧. معالم التنزيل، ٣/ ٥٣١.
٨. بمعنى: لابسة للثياب التي تبتذل للنوم لأنها فضلت عن ثياب التصرف. والتفضل: التوشح، وأن يخالف اللابس بين أطراف ثوبه على عاتقه، وتفضلت المرأة في بيتها إذا كانت في ثوب واحد، أو إذا لبست ثياب مهنتها. ابن منظور: لسان العرب، ١١/ ٥٢٦.
٩. الجامع، ١٤/ ١٩٠.
١٠. البخاري: صحيح، ٤/ ٢٢.
١١. ينظر: أبو حاتم الرازي: الجرح والتعديل، ١/ ٧؛ ابن حبان: صحيح، ١/ ١٦٢؛ ابن حزم: المحلى، ٥/ ٩٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ١-٢؛ الاستذكار، ٣/ ٣٠١؛ التمهيد، ٢٢/ ٤٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٣؛ ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ٥٠؛ النووي: المجموع، ١/ ٦٢؛ الأذكار النووية، ٣٠٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٦٠٨؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ٩/ ٣٢؛ الدميري: حياة الحيوان، ١/ ٤٨٩؛ ابن حجر: تغليق التعليق، ٤/ ١٢؛ العيني: عمدة القاري، ١/ ١٥٨.
١٢. الجامع لأحكام القرآن، ١٦/ ٢٩٩.
١٣. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٦/ ٢٢١.
١٤. عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، ٥/ ٤٧٢؛ ابن سعد: الطبقات، ٢/ ٣٥١؛ أحمد بن حنبل: مسند، ١/ ٤؛ ابن شبة النميري: تاريخ المدينة، ١/ ١٩٦-٢٠٠؛ البخاري: صحيح، ٤/ ٤٢؛ مسلم: صحيح، ٥/ ١٥٥؛ أبو يعلى الموصلي: مسند، ١/ ١٢-١٣؛ الطبراني: المعجم الأوسط، ٤/ ١٠٤-١٠٥؛ النسائي: السنن الكبرى، ٣/ ٤٦؛ أبو داود: سنن، ٢/ ٢٣؛ ابن حبان: صحيح، ١٤/ ٥٧٣؛ البيهقي: السنن الكبرى، ٦/ ٣٠٠-٣٠١.
١٥. أبو يعلى الموصلي: مسند، ٢/ ٣٣٤؛ الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل، ١/ ٤٣٨-

٤٣٩، ٥٧٠؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٣٩؛ السيوطي: الدر المنثور، ٤/ ١٧٧؛ لباب النقول، ١٢٣؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ٧/ ٤٩.

١٦. الجصاص: أحكام القرآن، ١/ ١٦١؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١/ ٣.

١٧. ينظر: نبيل فازينو: الرسول المتخيل، ١٨١-١٨٢.

١٨. ينظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (القسم الثاني- السيرة)، ١٦٤-١٦٩؛ أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية، ٢/ ٣٤٥-٣٤٨.

١٩. ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٢٧-٤٤٣.

٢٠. حياة محمد، ٢٥٥-٢٥٧.

٢١. وهو تفسير ذهب إليه عدد من الباحثين مثل محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (ج٢ السيرة)، ١٦٣-١٦٤؛ أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة، ٢/ ٣٤٥.

٢٢. حياة محمد، ٢٥٧-٢٥٨.

٢٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٣١.

٢٤. حياة محمد، ٢٥٨-٢٥٩.

٢٥. ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٥٢؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ١٤٤؛ ابن عبد البر: الدرر، ١٠٥؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٤٠٢.

٢٦. ابن ماجة: سنن، ٢/ ٨٢٦؛ ابن حجر: الدراية في تخريج أحاديث الهداية، ٢/ ٢٤٦؛ السيوطي: الجامع الصغير، ١/ ٥٣٧.

٢٧. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٤٠-٤٤٧.

٢٨. الواقدي: مغازي، ١/ ٤٨-٤٩؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٤٧-٤٤٨.

٢٩. أحمد بن حنبل: مسند، ٣/ ٢١٩-٢٢٠؛ مسلم: صحيح، ٥/ ١٧٠؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٦٠/ ١٥٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/ ٨٢؛ النووي: شرح مسلم، ١٢/ ١٢٤؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ١٠/ ٤٢٣؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٨٠؛ ٩/ ١١٠.

٣٠. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٤٧؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ١٤٠؛ ابن حبان: الثقات، ١/ ١٥٧؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/ ٣٢٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٣٢٠؛ السيرة النبوية، ٢/ ٣٩١؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى و الرشاد، ٤/ ٢٦؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ٢/ ٣٨٥.

٣١. الواقدي: المغازي، ١/ ٤٨؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١/ ٩٤.

٣٢. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٢٨.

٣٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٥٥٨؛ ابن عبد البر: الدرر، ١٣٩؛ ابن سيد

الناس: عيون الأثر، ١/ ٣٨٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٤١٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/ ١٣٧.

٣٤. الواقدي: المغازي، ١/ ١٨٢؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١/ ١٢٩؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ١٧٢.

٣٥. الواقدي: المغازي، ١/ ٥٣-٥٤؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٥٢؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ١٤٤؛ القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ٢/ ١٨٤-١٨٥؛ ابن عبد البر: الدرر، ١٠٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٣٦٥؛ الكامل في التاريخ، ٢/ ١٢٢؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٤/ ١١٦؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/ ٣٣٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/ ١٠٨؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ٩/ ٢٤٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٣٢٦-٣٢٧؛ السيرة النبوية، ٢/ ٤٠٢.

٣٦. القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ٢/ ١١٥، ١٨٤-١٨٥.

٣٧. القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ٢/ ١٨٤. وينظر: أحمد بن حنبل: مسند، ٣/ ١٥٢؛ مسلم: صحيح، ٧/ ٩٥؛ ابن ماجة: سنن، ٢/ ٨٢٥.

٣٨. ابن حبان: طبقات المحدثين بأصبهان، ١/ ٤٢٥-٤٢٦؛ الحافظ الأصبهاني: ذكر أخبار أصبهان، ١/ ٣٠٥؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ١/ ١٧٨؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، ١٢/ ٧. وينظر: القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ٢/ ١٨٤.

٣٩. الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣/ ٢٨٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ١٦٠؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ٩/ ٢٣٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١١/ ٢١٦؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ١/ ٢٦١؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ٢/ ٣٩٤.

٤٠. الواقدي: مغازي، ٢/ ٦٤٣.

٤١. الواقدي: مغازي، ٢/ ٦٤٤.

٤٢. الواقدي: مغازي، ٢/ ٩٢٥.

٤٣. الطبري: تاريخ، ٢/ ٤٥٧-٤٥٩.

٤٤. ٤٤ (٤٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٤٨؛ ابن عبد البر: الدرر، ١٠٣؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/ ٣٢٩.

٤٥. مسلم: صحيح، ٨/ ١٦٣؛ أبو داود: سنن، ١/ ٦٠٦؛ أبو يعلى الموصلي: مسند، ١/ ١٣٠؛ الطبراني: المعجم الأوسط، ٨/ ٢١٩؛ المعجم الصغير، ٢/ ١١٣؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/ ٣٤٥؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١٢/ ١٤٢.

٤٦. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٥٢؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ١٤٤؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/ ٣٣٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٣٢٦.

٤٧. ينظر: الواقدي: المغازي، ١/ ٤٩٨؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ١/ ٥٨٤.

٤٨. محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب من بني زهرة، اختلف في وقت ولادته على عدة أقوال امتدت بين سنة ٥٠هـ إلى سنة ٥٨هـ. هورفوتس: المغازي الأولى ومؤلفوها، ٥٠. وكان جده الثاني عبدالله حارب مع المشركين في معركة بدر وأحد. ابن قتيبة: المعارف، ٤٧٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ٩٢٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ١٨٤. وكان من المقربين جدًا من الخلفاء الأمويين، ومن معتمديهم في الرواية والحديث. ينظر: ابن سعد: الطبقات، ٧/ ٤٢٩-٤٣٢؛ اليعقوبي: تاريخ، ٢/ ٢٦١؛ ابن عبد البر: التمهيد، ٦/ ١٠٦؛ الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الحديث، ١٠؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١/ ١١٠؛ سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣٢٦.

٤٩. ينظر: الزهري: المغازي النبوية، ٣٠-٣١ (المحقق). قام الدكتور المرحوم (سهيل زكار) بجمعها من كتاب المصنف لعبد الرزاق الصنعاني وكتاب الطبقات لابن سعد.

٥٠. الزهري: المغازي النبوية، ٦٢-٦٣؛ عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، ٥/ ٣٤٨-٣٤٩؛ تفسير القرآن، ٢/ ٢٥١-٢٥٢.

٥١. عنه وعن كتابه (المغازي)، ينظر: مقدمة جامع الكتاب، ١٥-٣٢.

٥٢. موسى بن عقبة: المغازي، ١٨-٢١ (جامع الكتاب- المقدمة).

٥٣. موسى بن عقبة: مغازي موسى بن عقبة، ١٢٧-١٣٠.

٥٤. موسى بن عقبة: مغازي موسى بن عقبة، ١٣٠-١٣١.

٥٥. ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٥٤٩؛ ابن أبي شيبة: المصنف، ٨/ ٤٤١؛ أحمد بن حنبل: مسند، ٢/ ٣٨؛ ٣/ ١٠٤، ٢٢٠؛ البخاري: صحيح، ١/ ٦٥-٦٦، ١٣٢؛ ٣/ ٢٣٤؛ ٤/ ٢٦٣؛ ٥/ ٩؛ مسلم: صحيح، ٨/ ١٦٤؛ أبو داود: سنن، ١/ ٦٠٦؛ الطبري: جامع البيان، ٢/ ٤٩٣؛ ابن حبان: صحيح، ١٤/ ٤٢٤؛ النسائي: سنن، ٤/ ١١٠؛ البيهقي: السنن الكبرى، ٩/ ٨؛ ابن كثير: البداية و النهاية، ٣/ ٤١٢؛ السيرة النبوية، ٢/ ٥٣٥-٥٣٦.

٥٦. الطبري: جامع البيان، ٩/ ٢٥٩؛ الثعلبي: الكشف والبيان، ٤/ ٣٣؛ البغوي: معالم التنزيل، ٢/ ٢٣٤؛ ابن الجوزي: زاد المسير، ٣/ ٢٢٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٣٤٥؛ السيرة النبوية، ٢/ ٤٣٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/ ٩٤؛ العيني: عمدة القاري، ١٧/ ٧٩؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ٣/ ٣٢٠؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٢٩؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ٢/ ٣٩٢.

٥٧. الواقدي: المغازي، ١/ ٥٤؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ١٥؛ الطبري: جامع البيان، ٩/ ٢٥٩؛ الثعلبي: الكشف والبيان، ٤/ ٣٣؛ البغوي: معالم التنزيل، ٢/ ٢٣٤؛ ابن الجوزي: زاد المسير، ٣/ ٢٢٢؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٤/ ١١٦-١١٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٣٤٥؛ السيرة النبوية، ٢/ ٤٣٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/ ٩٤؛ العيني: عمدة القاري، ١٧/ ٧٩؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١/ ٩٨؛ ٣/ ٣٢٠؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٢٩؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ٢/ ٣٩٢.

٥٨. عن تلك الردود والتبريرات المشينة والمسيئة لشخص النبي ﷺ ينظر على سبيل المثال: الكوراني: ألف سؤال و إشكال، ٢/ ١٧٣-٢٦٦.

٥٩. الحاكم النيسابوري: المستدرك، ٢/ ٦١٧. وينظر: ابن أبي الدنيا: الهواتف، ٧٩؛ القرطبي: الجامع، ١٥/ ١١٦؛ ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٢٦٣-٢٦٤.

٦٠. ميزان الاعتدال، ٤/ ٤٤١؛ ابن حجر: لسان الميزان، ٦/ ٢٩٦.

٦١. سبط ابن العجمي: الكشف الحثيث، ٢٨٢؛ السيوطي: الدر المنثور، ٥/ ٢٨٦.

٦٢. الموضوعات، ١/ ٢٠٠.

٦٣. البداية والنهاية، ١/ ٣٩٥؛ قصص الأنبياء، ٢/ ٢٤٤.

٦٤. سبل الهدى والرشاد، ٦/ ٤٣٥.

٦٥. المستدرك، ١/ ٢-٣.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

-المصادر الأولية:

* ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن الشيباني (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).
* الكامل في التاريخ، (دار صادر- دار بيروت، بيروت– لبنان، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).
* الجصاص: أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م).
* أحكام القرآن، ضبط وتخريج: عبد السلام محمد علي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
* أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ/ ٨٥٥م).
* المسند، (ط١، المطبعة الميمنية، القاهرة- مصر، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م).
* البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ/ ٨٦٩ م).
* صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت-لبنان،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
* البغوي: أبو محمد حسين بن مسعود (ت٥١٦هـ/ ١١٢٢م).
* معالم التنزيل، تح: خالد عبد الرحمن العك، (ط، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د.ت).
* البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
* أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار و رياض زركلي، (ط١، دار الفكر، بيروت–لبنان،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
* البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).
* السنن الكبرى، (طبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن- الهند، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م).
* الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م).
* الكشف والبيان، تح: محمد بن عاشور، تدقيق: نظير الساعدي، (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
* ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).
* زاد المسير في علة التفسير، تح: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، تخريج: أبو هاجر السعيد بسيوني زغلول، (ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
* ابن أبي حاتم الرازي: أبو محمد محمد بن إدريس (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م).
* الجرح والتعديل، (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م).
* الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن أحمد

الحذاء الحنفي النيسابوري من أعلام القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي).
* شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تح: محمد باقر المحمودي، (ط١، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، طهران- إيران ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).
* الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (٤٠٥هـ/ ١٠١٤م).
* المستدرك على الصحيحين، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (دار المعرفة، بيروت– لبنان، د. ت).
* معرفة علوم الحديث، تح: لجنة إحياء التراث العربي، (ط٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
* ابن حبان: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).
* كتاب الثقات، (ط١، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن- الهند، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).
* صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
* ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).
* الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
* تغليق التعليق، تح: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، (ط١، المكتب الإسلامي، عمان- الأردن، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
* الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تح: عبد الله هاشم اليماني المدني، (طبعة دار المعرفة، بيروت- لبنان، د.ت).
* لسان الميزان، (ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م).
* ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله محمد (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).
* شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، (ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة- مصر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م).
* ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).
* المحلى، (ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، د.ت).
* الحلبي: نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن عمر (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م).
* إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون- المعروفة بالسيرة الحلبية، (دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
* أبو داود السجستاني: سليمان بن

الأشعث (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م).
* سنن أبي داود، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، (ط١، دار الفكر، بيروت-لبنان،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
* الدميري: كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).
* حياة الحيوان الكبرى، (ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).
* ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد (ت٢٨١هـ/ ٨٩٤م).
* كتاب الهواتف، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
* الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).
* تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، (ط١، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
* تذكرة الحفاظ، (ط١، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن- الهند، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).
* سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط و حسين الأسد، (ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
* ميزان الاعتدال، تح: علي محمد البجاوي، (ط١، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).
* الزهري: محمد بن مسلم بن شهاب (ت١٢٤هـ/ ٧٤١م).
* المغازي النبوية، تحقيق وتقديم: سهيل زكار، (ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
* سبط ابن العجمي: أبو الوفاء إبراهيم بن خليل الطرابلسي (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٧م).
* الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، تح: صبحي السامرائي، (ط١، مكتبة النهضة العربية، بغداد- العراق، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
* السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).
* التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
* ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤ م).
* كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، (ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر،١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).
* ابن سيد الناس: محمد بن عبد الله بن يحيى (ت٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م).
* عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، (ط١، مؤسسة عز الدين، بيروت-لبنان،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

* الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (ط١، المطبعة الميمنية، القاهرة- مصر، ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م).
* لباب النقول في أسباب النزول، (دار إحياء العلوم، بيروت- لبنان، د.ت).
* الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، (ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
* ابن شبة النميري: أبو زيد عمر (ت٢٦٢هـ/ ٨٧٥م).
* تاريخ المدينة المنورة، تح: فهيم محمد شلتوت، (ط١، دار الفكر، قم- إيران، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).
* ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م).
* المصنف في الأحاديث والأخبار، ضبط وتعليق: سعيد اللحام، (ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
* الصالحي الشامي: محمد بن يوسف (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م).
* سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
* الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).
* الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).
* ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م).
* مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
* الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).
* المعجم الأوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، (ط١، دار الحرمين، الرياض- السعودية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
* المعجم الصغير، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت).
* الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
* تاريخ الرسل والملوك والأمم (ط٤، مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٩٣م).
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم: خليل الميس، ضبط وتخريج: صدقي جميل العطار، (دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
* ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).
* ٤٧/ التمهيد، تحقيق: مصطفى أحمد ومحمد عبد الكبير، (ط١، المغرب، ١٣٨٧هـ/ ١٩٧٧م).

* الاستذكار، تح: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، (ط١، دار الجيل، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).
* ٥٠/ الدرر في اختصار المغازي والسير، تح: شوقي ضيف، (ط١، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).
* عبد الرزاق الصنعاني: أبو بكر بن همام (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م).
* المصنف، تحقيق وتخريج وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، (ط١، المجلس العلمي، بيروت- لبنان، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
* ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (٥٧١هـ/ ١١٧٥م).
* تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، (ط٢، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
* العيني: أبو محمد محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).
* عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د.ت).
* القاضي عياض: أبو الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م).
* الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).
* ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).
* المعارف، حققه وقدم له: ثروت عكاشة، (ط٤، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م).
* القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م).
* الجامع لأحكام القرآن، (دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
* ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
* البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: علي شيري، (ط١، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
* تفسير القرآن العظيم، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (ط١، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
* ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م).
* سنن ابن ماجة، تحقيق وترتيب وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).
* قصص الأنبياء، تح: مصطفى عبد الواحد، (ط١، دار الكتب الحديثة، القاهرة-مصر،١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

* مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ/ ٨٧٤م).
* الجامع الصحيح، (ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، د.ت).
* المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).
* إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
* ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).
* لسان العرب، تقديم: أحمد فارس، (ط١، أدب الحوزة، قم- إيران، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).
* موسى بن عقبة: أبو محمد بن أبي عياش (ت١٤١هـ/ ٧٥٨م).
* المغازي، جمع ودراسة وتخريج: محمد باقشيش، (ط١، جامعة ابن زهر، أغادير- المغرب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
* النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر (ت٣٠٣هـ/ ٩١٥م).
* السنن الكبرى، (ط١، دار الفكر، بيروت-لبنان،١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م).
* النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م).
* الأذكار النووية، (دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
* صحيح مسلم بشرح النووي، (دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
* المجموع، (دار الفكر، بيروت- لبنان، د.ت).
* ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م).
* السيرة النبوية، تحقيق: محمد محيي الدين، (ط١، مكتبة محمد علي صبيح، مصر- القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).
* الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).
* ٧٠/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
* الواحدي النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد (ت٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م).
* أسباب النزول، (ط١، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، القاهرة- مصر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
* الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).
* كتاب المغازي، تح: المستشرق مارسدن جونس، (ط٣، عالم الكتب، بيروت-

لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
* اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح. كان حيًا عام (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م).
* تاريخ اليعقوبي، (دار صادر، بيروت- لبنان، د.ت).
* أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت٣٠٧هـ/ ٩١٩م).
* مسند أبي يعلى، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد، (ط١، دار المأمون للتراث، دمشق- سوريا، د.ت).

-المصادر الثانوية:

* أكرم ضياء العمري.
* السيرة النبوية الصحيحة، (ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- السعودية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
* محمود شاكر: التاريخ الإسلامي- الجزء الثاني (السيرة النبوية)، (ط٨، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).
* نبيل فازيو.
* الرسول المتخيل: قراءة نقدية في صورة النبي في الاستشراق: مونتغمري واط ومكسيم رودنسون، (ط١، منتدى المعارف، بيروت- لبنان، ٢٠١١م).
* هورفتس: يوسف.
* المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة: حسين نصار، (ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: القاهرة- مصر، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م).
* هيكل: محمد حسين.
* حياة محمد، (ط١٤، دار المعارف، القاهرة-مصر،١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م).

البواعث النفسية والعبقرية العقلية
في شخصية الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)

أ.م.د. حسن محمد أحمد محمد

Psychological impulses and mental genius In the personality of Imam Ali bin Abi Talib (PBUH)

Asst. Prof. Dr. Hassan Mohamed Ahmed Mohamed

Abstract:

The researcher's work, in this research paper, was confined to presenting the personality of Imam Ali (peace be upon him) as a high-level and high-level faith model. Individual personality; Proceeding from this step and from the inspiration of what was reported in the historical accounts and what many Qur'anic verses referred to; The researcher sought to present the features of the personality of the Imam (peace be upon him) as represented by his intellectual and philosophical reflections. The idea of the paper was summarized in three sections, as well as an introduction and conclusion to the study. The subjects of the study are:

- The historical figure of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him).
- Psychological and psychological features in the personality of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him).
- Intellectual and mental traits in the personality of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him).

الملخص:

انحصر عمل الباحث، في هذه الورقة البحثية، في تقديم شخصية الإمام عليّ عليه السلام بوصفه نموذجًا إيمانيًا عالي القدر ورفيع المستوى، وقد تركزت مجهودات الباحث في العمل على تحليل الشخصية تحليلا سلوكيًا وليس تحليلًا نفسيًا ولاسيما أن السلوك هو المكون الأبرز والمحفز الرئيس في تكوين شخصية الفرد؛ انطلاقًا من هذه الخطوة ومن وحي ما تناقلته المرويات التاريخية وما أشارت له عدد من الآيات القرآنية؛ سعى الباحث إلى تقديم ملامح شخصية الإمام عليه السلام كما تمثلت له تأملاته الفكرية والفلسفية، و تلخصت فكرة الورقة في ثلاثة مباحث، فضلًا عن مقدمة وخاتمة للدراسة. ومباحث الدراسة هي:

*الشخصية التاريخية للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
*السمات النفسية والسيكولوجية في شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
*السمات الفكرية والعقلية في شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

المقدمة

لسنا هنا معنيين بدراسة الأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية بقد ما نحن معنيون بدراسة البناء النفسي وما ينطوي عليه من سلوك سوي وشخصية متوازنة، في شخصية الإمام علي ﷺ، لأن عالم النفس حين يدرس الدين لا ليبحث في كونه حقًا أو باطلًا، وإنما لآن علم النفس معني بدراسة سلوك الكائن البشري وما يجري في عقله من عمليات عقلية، بشرط ألا تؤثر عقيدة الباحث النفسي على أمانته ونزاهته العلمية[١]. وعن طريق الخلو من الأزمات النفسية والاضطرابات العقلية ينصرف ذهن الإنسان صافيًا نقيًا نحو خلق الإبداع والابتكار والإنجاز والبناء والتشييد[٢].

وإذا نظرنا إلى علم النفس الإسلامي فإننا نجده يصدر عن عمق الموقف، ويستنير بآيات الله في فهم النفس الإنسانية ...؛ وذلك عبر الاختبارات الربانية والامتحانات الإلهية التي تصيب الإنسان؛ يقول تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ﴿١٥٥﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد: ﴿٣١﴾.

وتعد دراسة السلوك هي المحور الرئيس والمحث الأساسي في مجال علم النفس، فضلًا عن دراسة الدوافع المختلفة الكامنة خلف كل سلوك، والتي تدفع بالإنسان إلى القيام بسلوك محدد أو تصرف معين. كذلك يهتم علم النفس بدراسة الانفعالات النفسية والمشاعر والأحاسيس الوجدانية[٣]. ومن المعلوم أن الإنسان، بطبيعته، يؤثر الإنتماء إلى الجماعة على الانعزال والفردية؛ وذلك حتى يتمكن من اشباع حاجاته النفسية والاجتماعية والاقتصادية .. من هنا نشأت الحاجة إلى دراسة العلاقات

الاجتماعية التي يجسدها علم النفس الاجتماعي، وليس بالإمكان دراسة الشخصية بمعزل أو بمنأى عن البيئة الاجتماعية[٤].

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ﴿١١١﴾.

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصف: ﴿٤﴾.

لقد كان الإمام عليّ ﷺ، من أكثر الصحابة علمًا وأشرفهم منزلة، ويكفيه شرفًا أنه تربى في بيت النبوة المحمدية؛ فنال الشرف وحاز من الصفات أنبلها وأشرفها، فهو الشجاع غير الهياب، والعاقل غير المرتاب، قال عنه مسروق بن الأجدع بن مالك: ينتهي علم الصحابة لستة، ومن ستة إلى اثنين؛ الامام علي بن أبي طالب ﷺ وعبد الله بن مسعود؛ يقول الإمام ﷺ في العلم وهو يعلي من شأن ذويه من العلماء[٥]:

الناسُ مِن جِهَةِ التِمثالِ اَكفاءُ ... أَبوهُمُ آدَمُ وَالأُمُ حَوّاءُ

نَفسٌ كَنَفسٍ وَأَرواحٌ مُشاكَلَةٌ ... وَأَعظُمٍ خُلِقَت فيها وَأَعضاءُ

وَإِنَّما أُمَّهاتُ الناسِ أَوعِيَةٌ ... مُستَودِعاتٌ وَلِلأَحسابِ آباءُ

فَإِن يَكُن لَهُمُ مِن أَصلِهِم شَرَفٌ ... يُفاخِرونَ بِهِ فَالطينُ وَالماءُ

ما الفَضلُ إِلا لِأَهلِ العِلمِ إِنَّهُمُ ... عَلى الهُدى لِمَنِ اِستَهدى أَدِلّاءُ

وَقَدرُ كُلِّ اِمرِئٍ ما كانَ يُحسِنُهُ ... وَلِلرِجالِ عَلى الأَفعالِ اسماءُ

وَضِدُّ كُلِّ اِمرِئٍ ما كانَ يَجهَلُهُ ... وَالجاهِلونَ لِأَهلِ العِلمِ أَعداءُ

وَإِن أَتَيتَ بِجودٍ مِن ذَوي نَسَبٍ ... فَإِنَّ نِسبَتَنا جودٌ وَعَلياءُ

فَفُز بِعِلمٍ وَلا تَطلُب بِهِ بَدَلًا ... فَالناسُ مَوتى وَأَهلُ العِلمِ أَحياءُ

إنها الشخصية التي اتسمت بالسماحة والعدل، والنجابة والفضل، والشجاعة القاهرة والبطولة النادرة، ...، والحكمة التي خلفت مواريثها للأجيال فكانت نورًا يشع وزادًا يشبع ويقنع، إن عليًا لكريم الوجه عظيم الخلق ...، إنه الإمام عليه السلام وكفى. يقول الشاعر، ابن عبدون[٦]

الدَهرُ يُفجِعُ بَعدَ العَينِ بِالأَثَرِ فَما البُكاءُ عَلى الأَشباحِ وَالصُوَرِ
وَلَيتَها إِذ فَدَت عَمرًا بِخارِجَةٍ فَدَت عَلِيًّا بِمَن شاءَت مِنَ البَشَرِ

التحديد الإطاري للبحث:

من أهم ما يهتم به علم النفس هو السلوك الإنساني، الفردي والجمعي، في ضوء ما يحدث من تفاعل يحدث في المواقف السلوكية والاجتماعية المختلفة[٧]؛ وبناء عليه فقد تضمنت هذه الورقة البحثية، في ثناياها، شخصية الصحابي الأصيل والإمام الجليل، امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام؛ وذلك عبر التركيز على سماته النفسية وسجاياه العقلية، بحس ما زرد في المرويات، والتي تقدم بها على أقرانه وبزّ بها أهل زمانه، فسما وتسامى بنفسه عن الصغائر، وعلا وتعالى بذاته عن الأنداد والنظائر، ففي شخصية عليّ وروحه تكمن النفس الحرة الأبية والروح الفذة العبقرية، فثقافة الإمام ثقافة الفارس المجاهد بسيفه وقلمه، ويتشابه في الجهاد بأسه وتقواه، إنه الفارس الذي تجتمع في الشجاعة دينه ودنياه، وهو العالم الذي يتساوى جهره ونجواه[٨]؛ فكان من الذين قال، تعالى، في حقهم:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة: ﴿١٩٠﴾.

الأهمية:

يكفي القول بإن أهمية هذه الدراسة أنها تتمحور حول دراسة السيرة النبوية الشريفة وما روي عنها من مرويات عطرة، وما فاض عنها من

رجال ملأوا الدنيا وشغلوا الناس بحبهم وشغفهم بنور النبوة المحمدية وهديها القويم ونهجها السليم، وفي قمة هذا الهرم الشامخ تتجسد العبقرية في شخصية الإمام عليّ بن ابي طالب، عليه السلام، والذي قال عنه المصطفى صلى الله عليه وآله: "**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه وعادي من عاداه**"(٩)، وكان من أبرز سماته الإيجابية: الثقة بالنفس، والاستقلال بالرأي، والشجاعة، وعدم التأثر بالآراء الشائعة أو بتراث الماضي، وتعد هذه السمات من أبرز سمات الشخصية العبقرية. ويبرر خبراء علم النفس وعلماؤه هذه السمات بقولهم: إذا كان الإبداع أو الابتكار يحمل في طياته، دائمًا، هجومًا على الثبوت والجمود؛ فإنه يحتاج من ذويه إلى القوة التي تعينهم على تحمل مايتسبب فيه اختلافهم من اضطراب في العقول القارة، حيث يعكر هذا الاختلاف صفو العادات، ويغير الأساليب البالية منها(١٠).

ـ الأهداف والغايات:

إن غاية ما يسمو إليه الباحث ويطلبه، في هذه الورقة البحثية، هو دراسة شخصية الإمام عليّ عليه السلام عبر ما أشارت إليه الآيات القرآنية وما جاء عنه في مرويات السيرة النبوية الشريفة؛ وتهتم هذه الدراسة بدراسة ثلاثة جوانب تجسدت في شخصية الإمام عليه السلام، هي:

*الشخصية التاريخية للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

*السمات النفسية والسيكولوجية في شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

*السمات الفكرية والعقلية في شخصية الإمام.

المنهجية:

يعتمد البناء المنهجي، في هذه الدراسة، على جمع البيانات التاريخية والعمل على دراستها وتحليلها، ومن ثم تقديم ما ينتج عن تلك البيانات في صورة نتائج بحثية علمية.

المبحث الأول : الشخصية التاريخية للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

النشأة والتاريخ

قد يتساءل المرء، ما الذي بالإمكان إضافته لشخصية مثل شخصية الإمام عليّ عليه السلام، وما الذي يمكن كتابته أو تدوينه وتسجيله عنه، ولاسيماوقد أريق الكثير من المداد في مضمار الحديث عنه، ومُلئت صحائف وسودت صفحات في سرد سيرته العطرة!!؟؛ بيد أني أرى أن العظماء أو الشخصيات العظيمة، قل ألا تجد لها مدخلًا يمكنك أن تتداولها عن طريقه، فهي تمتاز بتعدد الجوانب والمداخل، من حيث: المولد والنشأة، والبناء الأسري، والصفات والسمات، والبيئة الاجتماعية، والأساليب والأنماط الفكرية، والبناء النفسي والتكوين العقلي .. وغير ذلك كثير مما يصعب حصره في هذه الصفحات المختصرة. وفوق هذا وذاك يكفي القول بأن الإمام عليّ عليه السلام هو فيض من بحر النبوة الذي لا ساحل له وقبس من ضوئها المتوهج، وهذه الجذوة المتقدة هي نور من وهج النبوة الساطع، إذ إن القدر قد حباه بالنشأة والتربية في بيت النبوة ومهبط الوحي. يقول شريح القاضي: مررت مع الامام علي بن أبي طالب على المقابر، فقال: يا أهل المقابر أما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد اقتسمت، وأما الذراري فقد نكحت، هذا خبر ما عندنا، هاتوا خبر ما عندكم ثم التفت إليّ فقال: لو أذن لهم في الجواب لقالوا: تزودوا فإن خير الزاد التقوى[١١]. ويتطابق قول الإمام عليه السلام مع عدد من الآيات القرآنية التي تدعو إلى التزود بالتقوى والتمسك بأهدابها في الحياة الدنيا؛ يقول تعالى:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: ﴿١٩٧﴾.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ التوبة: ﴿١٠٨﴾.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الفتح: ﴿٢٦﴾.

المولد والنسب:

هو الامام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف عليها السلام، جمعته برسول الله صلى الله عليه وآله، عدد من الصلات منها: صلة الرحم، فهما أبناء عمومة، والتربية والتنشئة، فقد تربى في بيته وتحت رعايته، والإسلام، الذي صان وجهه وكرمه عن الخضوع للأصنام وعبادتها، ولعلها نفحة من نفحات دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، قد عصمته من السجود للأصنام؛ يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم: ﴿٣٥﴾.

ومن بعد ذلك يأتي عامل النسب وعنصر المصاهرة، فقد حظي الإمام بالزواج من ابنته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو أبو سبطيه (الحسن والحسين) عليهما السلام. كان مولده بمكة المكرمة (٢٣ق.هـ-٤٠هـ، ٦٠٠-٦٦١م)، فتخيرت له أمه اسم حيدرة تيمنًا بأبيها أسد، وحيدرة، في اللغة، تعني الأسد، إلا أن والده أبو طالب عليه السلام، استبدله بعليّ فذاع واشتهر به بين الناس، ومن المعروف أن عليًا كان أصغر إخوته وهم: جعفر وعقيل وطالب.

التنشئة والتربية:

تحدثنا كتب السير والأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قد رأى أن يقدم يد العون والمساعدة لعمه أبي طالب عليه السلام، حين أصابت قريشًا سنون المحل

والجفاف، فتوجه، مع عمه العباس، وسألوا أبا طالب عليه السلام أن يدفع إليهم ببنيه ليعينوه على كفالتهم وإعالتهم، فحظي عليّ بشرف الإنتماء إلى البيت النبوي الشريف، فنشأ وتربى في كنف الدوحة المحمدية واستظل بظلالها الوارفة والتي شملته، لا بالغذاء والكساء فحسب، وإنما أغدقت عليه الرعاية والعناية والتوجيه والإرشاد والهدي النبوي، فبلغ أرفع الدرجات وأسمى الغايات، فكان أميرًا للمؤمنين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وحامل اللواء في أكثر المشاهد، ولما آخى النبي صلى الله عليه وآله، بين أصحابه قال له: أنت أخي. ولما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله، غزوة تبوك وخلف الامام علي عليه السلام في أهله، وقال بعض الناس: ما منعه أن يخرج إلا أنه كَرِه صحبته، فبلغ ذلك الامام علي عليه السلام فذكره للنبي صلى الله عليه وآله، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: (أيا ابن أبي طالب أما ترضى أن تنزل منّي بمنزلة هارون من موسى؟)، وفي رواية: (إلا أنه لا نبي بعدي)، وفي يوم خيبر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه". فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله، غدوا وكلهم يرجو أن يُعطاها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أين علي بن أبي طالب؟ قالوا: هو يشتكي عينيه، فأتي به فبصق في عينيه ودعا فبرأ فأعطاه الراية، ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران: ﴿٦١﴾.

دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا عليهم السلام وقال اللهم هؤلاء أهلي[١٢]، فكرمه رسول الله صلى الله عليه وآله، بأن منحه شرف الانتماء لآل البيت عليهم السلام.

صفاته وسماته:

يـرى علـماء النفـس، ولاسـيما علـماء نفـس الشـخصية، أن الجسـد يمثـل وحـدة عضويـة؛ لأن الجملـة العصبيـة تنظـم انطباعاتـه وتجمعهـا، والوحـدة العضويـة هـي الأسـاس الـذي تنبنـي عليـه وحـدة الشـخصية، وبذلـك يمكـن القـول بـأن وحـدة الشـخصية تابعـة لمركزيـة الجملـة العصبيـة، وفي هـذا يقـول الفيلسـوف اليونـاني أرسـطو Aristotle: إن النفـس تمثـل صـورة الجسـد(١٣).

فـإذا بدأنـا بالسـمات الجسـدية للإمـام، نجـد أن واصفيـه قـد وصفـوه، وهـو في تمـام الرجولـة، بأنـه كان عـبر ربعـة أميـل إلى القـصر، آدم، أي أسـمر، شـديد الأدمـة، أصلـع مبيـض الـرأس واللحيـة طويلهـا، ثقيـل العينـين في دعـج وسـعة، حسـن الوجـه واضـح البشاشـة، أغيـد كأنـما عنقـه إبريـق فضـة، عريـض المنكبـين لهـما مشـاش كمشـاش السـبع الضـاري، لا يتبـين عضدتـه مـن سـاعده قـد أدمجت ادماجًـا...، ضخـم عضلـة السـاق دقيـق مسـتدقها، ...، شـثن الكفـين(١٤).

أمـا عـن سـماته الأخـرى، فقـد تميـز الإمـام عـليّ ﷺ، بعـدة صفـات وسـمات متعـددة تـدل جميعهـا عـلى سـمو المكانـة ورفعتهـا ونبـل الـشرف وعراقـة الأصـل؛ فقـد وسـم بالقـوة الجسـدية منـذ صغـره، ومـما يـروى في شـأن هـذه السـمة أنـه "كان أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب ﷺ، إذا عـلا بسـيفه شـيئًا قـده، وإذا عترضـه قطعـه"(١٥)؛ يقـول تعـالى:

﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا قَاتِلُـوا الَّذِيـنَ يَلُونَكُـمْ مِـنَ الْكُفَّـارِ وَلْيَجِـدُوا فِيكُـمْ غِلْظَـةً ۚ وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللهَ مَـعَ الْمُتَّقِـينَ﴾ التوبـة: ﴿١٢٣﴾.

وجـاء في مرويـات السـير قولـه، ﷺ، : "المؤمـن القـوي أحـب إلى الله مـن المؤمـن الضعيـف"(١٦).

والقـوة سـمة تشـير إلى بطولـة مبكـرة فـما صـارع أحـدًا إلا غلبـه ولا بـارز فارسًـا إلا جندلـه، وقـد دعـم الإمـام تلـك القـوة الجسـدية بعقـل نادر وشـجاعة

فائقة؛ يقول تعال:

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ فاطر: ﴿٢٨﴾.

وأيضًا، جاء في الأثر: "فضل العلم خير من فضل العمل".

وقد تتجسد تلك السمات النادرة في موقفه ليلة هاجر رسولنا الكريم، ﷺ، إلى يثرب، فنام في فراشه نومة هنيئة لا يعكر صفوها خوف ولا وجل، كما شهدت ببطولته وفروسيته كثرة الغزوات والمواقع التي خاضها، منذ موقعة بدر وحتى آخر حروبه ومعاركه مع الخوارج.

والمتأمل لشخصية الإمام ﷺ ومعيشته يجدها تجسد هذه المقولة: "الصلاة، احساس بهيج من الإشراق الروحي"، كما تمثل نموذجًا رفيعًا من الزهد في مباهج الحياة الدنيوية، وكرم يجل عن الوصف، كما زانه الورع والتقوى وشدة الخشوع والتبتل لله تعالى في أحلك الأوقات وأشدها قسوة وبؤسًا؛ قال هارون بن عنترة عن أبيه: دخلت على عليّ بالخورنق، وهو في فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة وهو يرعد فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيبًا وأنت تفعل هذا بنفسك؟ فقال: والله ما أرزأكم شيئًا وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة[١٧].

وعُرف الامام عليّ بن ابي طالب ﷺ، بالصبر على المكاره، ولاسيما وقد ابتلي بجند عرفوا بكثرة اللجاج والمخالفة، فيخطب في شيعته وأنصاره مناشدًا فيهم النخوة والرجولة التي عرفها وألفها من نفسه؛ فيقول لهم: "إذا قلت لكم سيروا في الشتاء قلتم كيف نغزو في هذا القر والصر. وإن قلت لكم سيروا في الصيف قلتم حتى ينصرم عنا حمارة القيظ، وكل هذا فرار من الموت، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر، والذي نفسي بيده، ما من ذلك تهربون، ولكن من السيف تحيدون،

يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال، أفسدتُم علي رأي بالعِصْيان والخِذْلان، حتى قالت قريش: ابن أبي طالب شُجاعٌ ولكن لا عِلْمَ له بالحرب. لله أبوهم! هل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِرَاسًا وأطولُ تَجْرِبةً منِّي! لقد نهضت فيها وما بلغتُ العشرين فها أنا الآن قد نيّفتُ على الستين، ولكن لا رأيَ لمن لا يُطاع ..."[١٨].

الخلافة وإراقة الدم الطاهر:

لقد سالت دماء ثلاثة من الخلفاء الأخيار والأطهار، عمر ثم عثمان، وكان آخرهم دم الامام عليّ ﷺ، فلما قتل بقي الناس ثلاثة أيام بلا إمام، وكان الذي يصلي بالناس الغافقي، ثم بايع الناس الامام عليّ ﷺ، فخطبهم قائلًا: أيها الناس، بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي، وإنما الخيار قبل أن تقع البيعة، فإذا وقعت فلا خيار، وإنما على الإمام ﷺ الاستقامة، وعلى الرعية التسليم، وإن هذه بيعة عامة، من ردها رغب عن دين الإسلام، وإنها لم تكن فلتة[١٩]. وتولي الامام عليّ ﷺ الخلافة (٣٥هـ)، بعد البيعة، ولكن ما إن تمت له تلكم البيعة من كبار الصحابة في المدينة المنورة حتى إكفهر الجو السياسي وتعكر صفو الخلافة، فعمد البعض إلى إثارة الفتنة عن طريق المطالبة بدم عثمان والقصاص من قتلته، إلا أن الأمور، لدى الإمام ﷺ، كانت تقتضي الحكمة وتتطلب الدبلوماسية، فتريث الامام عليّ ﷺ، وتأنى ريثما يستتب الوضع وتهدأ النفوس؛ لئلا يظلم أحدًا بغير جريرة ارتكبها، وهو القائل: "ينبغي للملك أن يعمل بخصال ثلاث: تأخير العقوبة في سلطان الغضب، وتعجيل المكافأة للمحسن، والعمل بالأناة فيما يحدث فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة في الطاعة من الرعية، وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب"[٢٠]. يقول فحل العربية وشاعرها

الضخم، (أبو الطيب المتنبي)[٢١]:

يرى الجبناء أن العجز حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم

قيل له: أنى يكون الشجاع حكيما؟ فقال: هذا علي بن أبي طالب كرم الله وجه.!

وكم من عائب قولا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والعلوم

ولكن التريث هذا هو الذي أغضب عائشة، عبرا، والتي لقيت الدعم والسند من جمع قفير من الصحابة، في مقدمهم طلحة والزبير، فنشبت الحرب التي عرفت بموقعة الجمل (٣٦هـ)، قالوا: ولما قضى الزبير وطلحة وعائشة حجهم تآمروا في مقتل عثمان، فقال الزبير وطلحة لعائشة: إن أطعتنا طلبنا بدم عثمان. قالت: وممن تطلبون دمه؟، قالا: إنهم قوم معروفون، وإنهم بطانة الامام عليّ عليه السلام ورؤساء أصحابه، فاخرجي معنا حتى نأتي البصرة فيمن تبعنا من أهل الحجاز، وإن أهل البصرة لو قد رأوك لكانوا جميعًا يدًا واحدة معك. فأجابتهم إلى الخروج، فسارت والناس حولها يمينًا وشمالًا. ولكن النصر أبا إلا أن يكون حليفًا للإمام عليٍّ، وعلى الرغم مِن انتصاره على عائشة ومن ناصرها إلا أن أخلاق الفرسان وسمات الكرم والمروءة أبت عليه إلا أن يكرمها ويوفدها إلى المدينة المنورة معززة مكرمة. وتقول الرواية: وعقر الجمل الذي كانت عليه عائشة، وأمر الامام عليّ عليه السلام، عبر، بنقل هودجها إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي، ونادى منادي الامام عليّ عليه السلام يوم الجمل وكذا يوم صفين الآتي: أن لا تتبعوا مدبرًا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ...، وبلغ عليًا أن بعض الغوغاء عرض لعائشة، عبرا، بالقول السيئ فأحضر

البعض منهم وأوجعهم ضربًا، ثم جهزها إلى المدينة بما احتاجت إليه وبعث معها أخاها محمد بن أبي بكر في أربعين امرأة من نساء البصرة اختارهن لمرافقتها، وجاء يوم ارتحالها فودعها واستعتب لها واستعتبت له ومشى معها أميالًا وشيعها بنوه مسافة يوم... فذهبت إلى مكة وأقامت بها حتى حجت تلك السنة ثم رجعت إلى المدينة[٢٢].

بيد أنه، وعلى الرغم مِن النصر الذي أحرزه الامام عليّ ﷺ، إلا أن الأمن لم يستتب له، والأحوال لم تهدأ؛ إذ لم تلبث أن اندلعت حرب صفين (٣٧هـ ٦٥٧م)، وخبرها، كما أوردته كتب السير والأخبار التاريخية، أن الامام عليّ ﷺ، عزل معاوية عن ولاية الشام، لحظة ولي الخلافة، ولكن معاوية لم ينصاع له، وإنما جيش الجيوش وأعد العتاد، لا للمطالبة بالخلافة وإنما بحجة واهية، هي المطالبة بدم الخليفة عثمان، وقد جاء في كتاب (الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى): وخرجت سنة ست وثلاثين ودخلت سنة سبع بعدها فاجتمع الجيشان بصفين وتراسلوا وتداعوا إلى الصلح فلم يقض الله بذلك، وكانت حرب يسيرة بالنسبة لما بعدها، ولما دخل صفر وقع بينهما القتال فكانت وقعات كثيرة بصفين يقال: إنها تسعون وقعة ...، وكان عليّ، عبر، قد تقدم لأصحابه أن لا يقاتلوهم حتى يبدأوهم بالقتال، وأن لا يقتلوا مدبرًا ولا يكشفوا عورة، ولا يأخذوا من أموالهم شيئًا[٢٣]. وجاء في العقد الفريد: وكان منادي الامام عليّ ﷺ يخرج كل يوم وينادي: أيها الناس، لا تجهزوا على جريح، ولا تتبعن موليًا ولا تسلبن قتيلًا، ومن ألقى سلاحه فهو آمن[٢٤]. وليست من شك في أن الإمام ﷺ، بهذه السمات والصفات، قد استحق الفروسية وجسد السمو الأخلاقي، لدى الفرسان، في أعلى وأسما درجاته أثناء معارك صفين التي امتدت لمئة وعشرة أيام، وكانت الغلبة فيها لعليّ الذي رجحت كفته وكاد أن يحقق

النصر المظفر. ولكن فجأة يتغير الموقف وتتبدل الأحوال، لتنتهي المعارك ويتوقف القتال بمسألة التحكيم التي روجت لها الكثير من الروايات، وكانت النتيجة افتراق المسلمين لثلاث فئات: فئة بايعت لمعاوية وهم أهل الشام، وفئة حافظت على بيعة الامام عليّ عليه السلام وهم أهل الكوفة، وفئة نقمت على الامام عليّ عليه السلام رضاه بالتحكيم وهم فرقة الخوارج، فقاتلهم الامام عليّ عليه السلام في وقعة النهروان (٣٨هـ) فقضى عليهم وشردهم وفرق شملهم شزرًا مزرا. بعدها أقام الامام عليّ عليه السلام بالكوفة إلى أن اغتالته يد الغدر والخيانة بسيف عبدالرحمن بن ملجم المرادي (لعنه الله) غيلة وغدرًا (١٧ رمضان ٤٠هـ) وهو في طريقه لأداء فريضة الفجر؛ يقول تعالى:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ﴿٧٨﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ النساء: ﴿١٠٣﴾.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت: ﴿٤٥﴾.

الإسلام والحث على الجهاد:

نجد عددًا من الأيات القرآنية التي تحث المسلمين على الجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم وتدفع بالمؤمنين وتهيب بهم إلى قتال المشركين والكفار؛ إلا أن جميع تلك الآيات لا تدعو المسلم للإعتداء على الآخرين بقدر ما تدعوه إلى الدفاع عن النفس وتحقيق كلمة لا إله إلا الله لرفع راية الإسلام عالية خفاقة في سماء العزة والكرامة؛ يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الأنفال: ﴿٦٥﴾.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ آل عمران: ﴿١٢١﴾.

﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الأنفال: ﴿١٦﴾.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ ۗ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ عمران: ﴿١٩٥﴾.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ﴿٣٦﴾.

غزوات النبي ﷺ، وسراياه وبعوثه:

لقد سبق وأشرنا إلى أن الإسلام ليس بدين عدواني بقدر ما هو دين يدعو إلى المحبة والسلام والتسامح وتطبيق قيم العدالة والمساواة والإنسانية .. بين البشر؛ ولعل هذا هو ما حدا بنبينا الكريم ﷺ إلى قيادة القزوات الدفاعية عن الدعوة الإسلامية وقيمها، أما الهجومية منها، وهو ما يعرف بالجهاد، فلم يكن الهدف منه السلب والنهب وجمع الأموال والسبايا، كما يروج أعداء الإسلام، وإنما كان بغرض نشر كلمة التوحيد وبث الروح الإيمانية بالحسنى؛ يقول تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: ﴿١٢٥﴾.

أما القتال والجهاد، في الإسلام، فلم يشرع إلا دفاعًا عن العقيدة الإسلامية ودفاعًا عن النفس، وهو أمر مشروع وفي إطار القوانين الإنسانية التي تدعو للحفاظ على النفس والممتلكات؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾الحج: ﴿٣٨ – ٣٩﴾.

قال المسعودي: وكانت غزوات رسول الله، ﷺ، التي غزاها بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، ومن الناس من يذهب إلى أنها ثمان وعشرون، فالذين ذهبوا إلى أنها سبع وعشرون، جعلوا منصرف النبي ﷺ، من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة، والذي رووا أنها ثمان وعشرون جعلوا غزاة خيبر مفردة، ووادي القرى غزوة أخرى، قاتل منها في تسع، أولها بدر وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

وأرسل نحوًا من أربع وخمسين سرية وخمسة بعوث، ومن أشهر الغزوات: بدر الكبرى، أُحد، بنو قينقاع، بنو النضير، ذات الرقاع، الخندق (الأحزاب)، بنو قريظة، بنو المصطلق (المريسيع)، الحديبية، خيبر، فتح مكة، حنين، تبوك. ومن أشهر السرايا: الخبط (سيف البحر)، نخلة، مؤتة. ومن أشهر البعوث: الرجيع، بئر معونة[٢٥].

ونورد هنا عددًا من الآيات الجهادية، على سبيل التمثيل، والتي تحث المسلم على بذل النفس والنفيس دفاعًا عن العقيدة الإسلامية، وليست من شك في أن معاني هذه الآيات قد تجسدت في شخصية الامام عليّ عليه السلام،

يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة: ﴿٣٥﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: ﴿٧٤﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ التوبة: ﴿٢٠﴾.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الحج: ﴿٧٨﴾.

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ﴿١١١﴾.

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصف: ﴿٤﴾.

المبحث الثاني :

البنية النفسية في شخصية الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام

في قوة الإيمان وآداب الفروسية والفرسان تجسدت كل تلك السمات في شخصية الإمام علي عليه السلام، تلك الشخصية التي يفض بها كل مغلق ويفسر منها كل ما احتاج إلى تفسير، وآداب الفروسية هي تلك الآداب التي نلخصها في

كلمة وحدة، هي "النخوة"[٢٦]، ففي شخصية الإمام علي عليه السلام، توافقت جملة من الصفات وتجمعت بعض العوامل والسمات، وليست من شك في أنها هي التي صاغت شخصيته، والتي عبرها تشكلت نفسيته السلوكية والاجتماعية والعقدية الدينية والسياسية...، نعم لقد تدافعت تلكم السمات وتشاركت تلك السمات في رسم الشخصية القيادية التي جسدتها الروح الإيمانية التي غرس بذرتها رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وآله، فنمت وتنامت وترعرعت وتشكلت لتقدم للناس نموذجًا طلق اللسان قوي البيان ثابت الجنان؛ يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ الأنفال: ﴿٢﴾.

وفوق ما للإيمان من أثر طيب في سلوك الفرد، فإن له حلاوة لا يقدرها ولا يعظمها أي حلاوة أخرى. ومن هنا كان الإيمان من أقوى العناصر التي تجعل المؤمن يتمتع بالصحة العقلية والنفسية وراحة البال وسكينة النفس وطأنينة القلب، والشعور بالرضا والقناعة والزهد[٢٧].

و(ليس الشديد بالصرعى وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)، كما يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله، وقد كان الإمام علي عليه السلام مالكًا لزمام أمره ومسيطرًا ومتحكمًا في مشاعره وأحاسيسه؛ فهو يملك من العلم والحجى ما يمنعه من الانسياق خلف مشاعره، يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله: (من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)، وحينما طلب إليه أحد الناس الوصية قال (لا تغضب). وهكذا قد تكاملت في شخصية الإمام علي عليه السلام صفاته الخلقية وسماته الإنسانية. يقول العقاد: وتلتقي سيرته عليه السلام، بالفكر كما تلتقي بالخيال والعاطفة، لأنه صاحب آراء في التصوف والشريعة والأخلاق، سبقت جميع الآراء في الثقافة الإسلامية، ولأنه أحجى (أجدر وأحق) الخلفاء ... أن يعد من أصحاب المذاهب الحكيمة

بين العصور، ولأنه أوتي من الذكاء ما هو أشبه بذكاء الباحثين المنقبين منه بذكاء الساسة المتغلبين، فهو الذكاء الذي تحسه في الفكر والخاطرة قبل أن تستشعره في نتيجة العمل ومجرى الأمور[٢٨]. وهو القائل: وأالله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس[٢٩]؛ يقول تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة:﴿٢٦٩﴾.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ ص: ﴿٢٠﴾

لقد حظيت شخصية الإمام علي عليه السلام باهتمام بالغ من صهره وابن عمه، خير البرية كلهم، ونالت، شخصية الإمام علي عليه السلام، من العناية والرعاية ما لم ينله سواه من الصحابة، الذين تربوا وتخرجوا في مدرسة النبوة؛ ولكن الإمام علي عليه السلام هو من نال الحظوة واستحوز على قصب السبق في هذا المضمار. ولنقف الآن مع شخصية الإمام علي عليه السلام ونستعرض بعض العوامل المكونة لها:

مكونات الشخصية:

الشخصية، كما يراها عالم النفس الامريكي غوردون ويلارد ألبورت (Gordon Allport)، هي: التنظيم الديناميي في الفرد لتلك الأجهزة الجسمية والنفسية التي تحدد طابعه الفرد في التوافق مع بيئته[٣٠]. وانطلاقًا من هذا التعريف يمكن تحديد العوامل التي كونت ملامح شخصية امير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، ولخصها في:

❖ **العامل الأول:**

البيئة الأسرية: والتي كان لها بالغ الأثر في تكوينه النفسي حيث اتسمت البيئة الأسرية، قبل انتقاله إلى بيت النبوة، بالفقر المدقع وشظف العيش؛ الأمر الذي أسهم في خلق شخصية اتسمت بالقوة المبهرة منذ سني النشأة

الأولى، كما اتصفت بالحكمة والمتزنة؛ يقول الإمام علي عليه السلام: (روحوا القلوب واطلبوا لها طرف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان). وقال أيضًا: (إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فالتمسوا لها من الحكمة طرفًا)[٣١].

* **العامل الثاني:**

الزمان: لقد شب الإمام علي عليه السلام عن الطوق مع بدء دعوة الإسلام، وهو الوقت الذي كانت تلوح في أفقه بوادر التغيير الاجتماعي والإنقلاب العقدي الديني، فلم تستهوه تلكم الأصنام ولم تصبُ نفسه إليها، وفي هذا دلالة على وجود الصفاء الروحي والتصالح النفسي، فكان رحيمًا حتى بأعدائه، ولنستمع للإمام عليه السلام وهو يخاطب عمرو بن جرموز وقد أقبل حتى أتى الامام علي عليه السلام وهو واقف، والناس يجتلدون بالسيوف، فألقى سلاح الزبير بين يديه، فلما نظر، عبر، إلى السيف، قال: إن هذا السيف طالما فرج به صاحبه الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، أبشر يا قاتل ابن صفية بالنار[٣٢]. ولما حال جند معاوية بينه وبين الماء في صفين، وهم يقولون له: ولا قطرة حتى تموت عطشًا ...، فلما حمل عليهم وأجلاهم عنه سوغ (سمح) لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده[٣٣]. وبلغ من الرحمة بأعدائه أنه نهى أهله وأصحابه عن المثلة بقاتله وأن يقتلوا أحدًا غيره[٣٤].

* **العامل الثالث:**

نشأته وتربيته: ولا شك في أنه العامل الأبرز والحاسم في بناء شخصية الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام؛ حيث انفتحت عينه وانقدحت شرارة ذهنه في بيت النبوة؛ الذي كان له كبير الأثر والتأثير في تكوين الشخصية النفسية والملامح السلوكية للإمام عليه السلام، لقد أحبه النبي صلى الله عليه وآله، حب الوالد لوليده وتعلق به تعلق الأب بوحيده، قال الإمام علي عليه السلام: (بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى اليمن؛ فقلت: يا رسول الله، إنك تبعثني، وأنا حديث السن، لا علم

لي بالقضاء؛ قال: انطلق فإن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك، قال: فما شكيت في قضاء بين اثنين)[٣٥].

* **العامل الرابع:**

المصاهرة: يقول ﷺ: "إن فاطمة يؤذيني ما يؤذيها"[٣٦]، لقد كان لمصاهرته للبيت النبوي الشريف أثرها الفاعل في حياة الامام علي عليه السلام الذي لم يتزوج بغير السيدة الزهراء عليها السلام إلا بعد وفاتها، وتكفي الإشارة إلى أن جسده الطاهر المطهر قد لامس بضعة من النبي الكريم ﷺ ورزقه الله عز وجل خيرة بنيه الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب الجنة.

* **العامل الخامس:**

الإسلام: ملأ الدين الجديد قلبًا لم ينازعه فيه منازع من عقيدة سابقة، ولم يخالطه شوب يكدر صفاءه ويرجع به إلى عقابيله، ...، إن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام كان المسلم الخالص على سجيته[٣٧]. ومن المؤكد الذي لا ريب فيه أن الامام علي عليه السلام، لم ينطق الشهادتين، كبقية الصحابة، ولا غرو في ذلك فقد نشأ وهو يحمل في جوفه قلبًا مسلمًا قوي الإيمانً، فتجسد إيمانه في الأفعال لا في الأقوال، فكمل إيمانه وتكاملت عقيدته الإيمانية؛ يقول الامام علي عليه السلام: (لا يقيم أمر الله إلاّ من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع)[٣٨].

* **العامل السادس:**

المحن والشدائد: لقد تعرض المسلمون الأوائل عند بدء الدعوة، إلى الكثير من المحن والابتلاءات الاجتماعية والاقتصادية، والإساءات اللفظية النفسية والإعتداءات الجسدية الحسية ..؛ ولكن تلكم المحن والشدائد لم تزد المسلمين إلا قوة ومنعة، وصقلتهم وأعدتهم لمواجهة ما هو أشد قوة وأعظم فداحة، فكان لذلك تأثيره الفعال في إعداد الإمام عليه السلام نفسيًا وبدنيًا لمواجهة الكثير مما كان قدرًا محتومًا عليه أن يلاقيه في حياته من

مآس وكوارث، فكان نعم المؤمن الثابت الذي لا يعرف الجزع إلى فؤاده سبيلا، فها هو الامام علي عليه السلام وهو على فراش الموت يوصي بنيه عليهم السلام، الحسن والحسين عليهما السلام، : (أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وأن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما منها. قولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الصانع، واصنعا للأخرة. كَونا للظالم خصما، وللمظلوم عونا، ولا تأخذ كما في الله عزوجل لومة لائم. ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال: أسمعت ما وصيّتهما به؟ قال: نعم قال: وأوصيك بمثله، وبتزيين أمر أخويك، ولا تقطع أمرا دونهما. ثم قال لهما، وأوصيكما به فأنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أنّ أباه كان يحبه فأحباّه[٣٩]. وهو القائل: (يجب على العاقل ثلاث خصال: أن يكون عارفًا بزمانه، مالكًا للسانه، مقبلًا على شأنه)[٤٠].

المبحث الثالث :

السمات الفكرية والعقلية في شخصية الإمام عليه السلام

تجسدت في الامام علي عليه السلام، سمات العبقرية العقلية والنبوغ الفكري، منذ وقت مبكر، فعرف بين المسلمين، بقوة العقل وجودة القريحة ورجحان الرأي والحكمة، ولا غرو في ذلك ولا غرابة فالامام علي عليه السلام نفحة من نفحات الرسالة المحمدية الشريفة وغصن من أغصان الدوحة النبوية المطهرة، نشأ بين أكنافها وتربى في ظلالها، فكان عليه السلام حكيم زمانه إلى أن طالته يد الغدر والخيانة، ومما روي عنه قوله: (الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك)[٤١]، وقال: (خذ الحكمة أنى أتتك؛ فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها)[٤٢]، وأوصى ابنه فقال: (وامسك عليك لسانك فإن تلاف المرء في منطقه)[٤٣]. (أمران جليلان لا يصلح أحدهما إلا بالتفرد، ولا

يصلح الآخر إلا بالمشاركة، الملك والرأي، فكما لا يستقيم الملك بالشركة؛ لا يصلح الرأي بالتفرد)[٤٤].

وقال الامام علي عليه السلام لابن عباس، حين وجه به إلى الشراة قبل القتال، : لا تناظروهم بالقرآن، فإن القرآن حمال ذو وجوه، ولكن ناظروهم بالسنة فإنهم لا يكذبون عليها[٤٥].

ومن أشعاره عليه السلام، قوله:[٤٦]

وَلا تَصحَب أَخا الجَهلِ ... وَإياكَ وَإيَّـــاهُ
فَكَم مِن جاهِـلٍ أَردى ... حَليمًا حينَ يَلقاهُ
يَقـــــاسُ المَرءُ بِالمَرءِ ... إِذا ما هُوَ ماشاهُ
وَلِلشَّيءِ عَلـــى الشَيءِ ... مَقاييسٌ وَأَشباهُ
وَلِلقَلبِ عَلـــى القَلبِ ... دَليلٌ حينَ يَلقاهُ

طائفة من حكمه:

قال الامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: (أَعْجَبُ ما في الإنسان قَلْبُه، وله مواد من الحكمة، وأضْدَاد من خِلاَفها؛ فإنْ سَنَح له الرجاءُ أذَلَه الطمع، وإن هاجه الطمَعُ أهلكه الحِرص، وإنْ مَلَكه اليَأْسُ قتَله الأسَف، وإن عرض له الغضب اشتدَ به الغَيْظ، وإنْ أُسعد بالرضا نِسِي التحفظ، وإن أتاه الخوفُ شغلَه الحذَر، وإن اتسَع له الأمن استلبته العِزة، وإن أصابته مصيبة فَضَحه الجَزَع، وإن استفاد مالًا أطْغاه الغِنَى، وإن عضتْه فاقة بلغ به البلاء، وإن جَهد به الجوعُ قعد به الضعْف، وإن أفرط في الشبع كَظته البِطْنَة، فكل تقصيرٍ مضِرّ، وكلّ إفراطٍ له قَاتِل)[٤٧].

(لكل جواد كبوة ولكل حكيم هفوة؛ ولكل نفس ملة، فاطلبوا لها طرائف الحكمة)[٤٨].

قيمة كل امرئ ما يحسن. المرء مخبوء تحت لسانه. الناس من خوف الذل في ذل. الناس أعداء ما جهلوا. رأي الشيخ خير من مشهد الغلام. استغن

عمن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت فأنت أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره. لا ترجون إلا ربك ولا تخافنّ إلا ذنبك. من أيقن بالخلف جاد بالعطية. قصر ثيابك فإنها أنقى وأبقى. بقية السيف أنمى عددًا وأكثر ولدًا. خير أموالك ما كفاك وخير إخوانك من واساك. لو كشف الغطاء ما ازددت إلا يقينًا. الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم. ما هلك امرؤ عرف قدره. من عذب لسانه كثر إخوانه. بالبر يستعبد الحر. بشر مال البخيل بحادث أو وارث. لا تنظر إلى من قال: لا ظفر مع البغي. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لا ثناء مع كبر ولا بر مع شح ولا صحة مع نهم ولا شرف مع سوء أدب ولا اجتناب لمحرم مع حرص ولا محبة مع مراء ولا سؤدد مع انتقام ولا راحة لحسود ولا زيارة مع دعارة ولا صواب مع ترك المشورة ولا مروءة لكذوب ولا وفاء لملول ولا كر أعز من التقى ولا شرف أعلى من الإسلام ولا معقل أحرز من الورع ولا شفيع أنجح من التوبة ولا داء أعيا من الجهل ولا مرض أضنى من قلة العقل. لسانك يقتضيك ما عودته. المرء عدو ما جهل. لا ظهير كالمشاورة. رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكير الذنب. النصح بين الملا تقريع. إذا تك العقل نقص الكلام. الشفيع جناح الطالب. نفاق المرء ذلة. الجزع أتعب من الصبر. المسئول حر ما لم يعد. أكبر الأعداء مكيدة أخفاهم مشورة. من طلب ما لم يعنه فاته ما يعنيه الراحة مع اليأس. الحرمان مع الحرص. من كثر مزاحه لم يخل من حقد عليه أو استخفاف به عبد الشهوة أذل من عبد الرق[٤٩].

كلمة الختام:

إن الإنسان لا يعيش منفردًا وإنما يبحث عن الأوساط المجتمعية التي يمكنه، عن طريقها، تلبية احتياجاته ويمارس فيها نشاطاته؛ وكما يقول دوركهايم: إن في كل منا عنصرًا لا شخصًا، إذن فالبشرية عبارة عن مجموعة عناصر كيميائية تتفاعل معًا، (٥٠). منها الخامل ومنها النشط النشط وهم القادة والعظماء كالإمام عليّ عليه السلام، وأضرابه، فقد عاش في الناس ولكنه كان يمثل النموذج الأوحدَ والجوهر الفرد، كأنه الشمس والآخرون كواكب كاسفة بضيائه، فقد كان بحق نموذجًا للشهادة الصادقة و نبراسًا يحتذى به وضوءًا يهتدى بهديه. وليس من شك في أن الدراسة قد تضمنت شخصية من أعظم الشخصيات وأهمها التي أنجبتها الدعوة الإسلامية، منذ أن بدأت وإلى يومنا هذا، إنها الشخصية التي نالت الحب والكبير من رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله، واستحقت الثناء والتقدير من جميع ممن دان قلبه بالإسلام ونطق لسانه بالشهادتين.

نتائج واستنتاجات:

١) تمثلت في شخصية الإمام عليّ عليه السلام، كل الصفات النموذجية والسمات الإيمانية التي دعا إليها الدين الإسلامي والعوة المحمدية.

٢) كان الامام عليّ عليه السلام، حبيبًا ومحببًا إلى نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو جدير بأن نال تلك المرتبة السامية وأن يرتقي ذلكم المرتقى الرفيع.

٣) ما ناله الامام عليّ عليه السلام من محبة ومكانة عند رسول الله صلى الله عليه وآله، جعلته يتبوأ، في قلوب المسلمين، القمة الأسمى، ويحظى منهم بالمحبة والمهابة والإجلال والتكريم.

٤) تميزت شخصية الامام عليّ عليه السلام بالعدل والعدالة في أعلا مراتبها وأسما معانيها فأحبه العامة وشغف به الخاصة.

٥) نال الإمام عليّ عليه السلام من الحكمة الذهنية والفطنة العقلية ما جعل منه شخصية إسلامية خلدها التاريخ بأحرف من نور ومداد من ذهب، ولا يمكن للتاريخ تجاوز منجزاتها وأفعالها.

٦) تكاملت في شخصية الإمام عليّ عليه السلام كل صفات الإنسانية؛ فاستحق، عن جدارة، الشهادة في الإسلام والتي تعد من أعلى ما يمكن للمرء أن يطلبه ويتمناه وتهفوا إليه نفسه وتتوق إليه وروحه.

٧) لقد تعالت شخصية الامام عليّ عليه السلام عن مباهج الدنيا وتسامت على وزخرفها؛ فنال الخلود التاريخي في الدنيا وحظي بالنعيم الأبدي في جنان الخلد في الآخرة.

هوامش البحث:

١- سيريل بيرت: علم النفس الديني، ص: ٢٢، منشورات دار الثقافة (بيروت) ١٩٨٥م.
٢- نفس المصدر، ج١، ص:١٠٧.
٣- عباس الزين عمارة: مدخل إلى الطب النفسي، ص: ٢١١، دار الثقافة (بيروت) ١٩٨٦م.
٤- عبد الرحمن العيسوي: موسوعة ميادين علم النفس، ج٢، ص: ٥٠، دار الراتب الجامعية (بيروت) ٢٠٠٤م.
٥- ديوان الإمام عليّ: جمعه وضبطه وشرحه نعيم زرزور، ص: ٥، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٩٨٥م.
٦- ديوان ابن عبدون، ص: ٢٧، موسوعة الشعر العربي الإصدار ٢٠٠٩م .www.arapoer.com
٧- أحمد علي حبيب: علم النفس الاجتماعي، ص:١٤، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع (القاهرة) ٢٠٠٩م.
٨- عباس العقاد: مجموعة العقبريات الإسلامية، عبقرية الإمام، ص: ١٦، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٥م.
٩- عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ... جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص: ٢١٢.
١٠- عبد الحليم محمود السيد: الإبداع والشخصية، ص: ٢٣، دار المعارف .القاهرة) ١٩٧١م.
١١- محمد بن خلف بن حيان ... (وكيع): أخبار القضاة، ص: ٤٩٩.
١٢- الموسوعة العربية العالمية الإصدار الأول ٢٠٠٤م.
١٣- جميل صليبا: علم النفس، ص: ٣٨٤، دار الكتاب اللبناني (بيروت) ١٩٨٤م.
١٤- عباس العقاد: مجموعة العبقريات الإسلامية، عبقرية الإمام، ص: ٢٣، المكتبة العصرية (بيروت) ٢٠٠٥م.
١٥- محمد بن يحي بن عبد الله أبوبكر الصولي: أدب الكاتب، ص: ٨٠.
١٦- علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي: البصائر والنظائر، ص: ١١٨٢.
١٧- علي بن محمد بن عبد الكري ... (ابن الأثير): الكامل في التاريخ، ص: ١٥٥٣.
١٨- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ص: ٧٩٩.
١٩- أحمد بن داود بن ونند الدينوري: الأخبار الطوال، ص: ١٥١
٢٠- محمد بن منصور بن حبيش الواعظ: الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ص: ٨.
٢١- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي: أبو الطيب المتنبئ ماله وما عليه، ص: ١٢٧، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول ٢٠٠٩م. www.poetry.com
٢٢- أحمد بن خالد بن حماد ... السلاوي: الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، ص: ٥٢.

٢٣- نفس المصدر، ص: ٥٣.
٢٤- أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد: ص: ١٦٦١.
٢٥- علي بن الحيسن ... المسعودي: التنبيه والإشراف، ص: ٢٧٢.
٢٦- عباس العقاد: مجموعة العبقريات الإسلامية، عبقرية الإمام، ص: ٣٤، المكتبة العصرية (بيروت) ٢٠٠٥م.
٢٧- عبد الرحمن العيسوي: موسوعة ميادين علم النفس، ج٢، ص: ٥٠، دار الراتب الجامعية (بيروت) ٢٠٠٤م.
٢٨- نفس المصدر، ص: ١٩.
٢٩- عبد الحميد بن هبة الله ... بن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢٩٠٦.
٣٠- محمد عثمان نجاتي: علم النفس والحياة، ٣٦٩، دار القلم (الكويت) ١٩٩٣م.
٣١- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، ص:٣.
٣٢- أحمد بن داود بن ونند الدينوري: الأخبار الطوال، ص: ١٦٠.
٣٣- عباس العقاد: مجموعة العبقريات الإسلامية، عبقرية الإمام، ص: ٢٦، المكتبة العصرية (بيروت) ٢٠٠٥م.
٣٤- نفس المصدر، ص: ٢٧.
٣٥- محمد بن خلف بن حيان ... (وكيع): أخبار القضاة، ص: ٥٥.
٣٦- عبد الحميد بن هبة الله ... بن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٩٨٣.
٣٧- عباس العقاد: مجموعة العبقريات الإسلامية، عبقرية الإمام، ص: ٣٩، المكتبة العصرية (بيروت) ٢٠٠٥م.
٣٨- عبد الرحمن بن اسحاق النهاوندي: أخبار الزجاجي، ص: ٧٩.
٣٩- نفس المصدر ١٤٩.
٤٠- المصدر السابق، ص: ١٤٩.
٤١- محمد بن يحي بن عبد الله أبو بكر الصولي: أخبار أبي تمام، ص: ٦٣.
٤٢- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ٤٧٨.
٤٣- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: بحر الدموع، ص: ١٢٤.
٤٤- محمد بن محمد بن الوليد ... الطرطوشي: سراج الملوك، ص: ١٢٧.
٤٥- أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ص: ١٠٤.
٤٦- بدر الدين الغزي: آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، ص: ٢.
٤٧- إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري ... الحضري: زهرة الآداب وثمرة الألباب، ٥٤٦.
٤٨- أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ... النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ص: ٢٦٧٧.
٤٩- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي: الإعجاز والإيجاز، ص: ١٢.
٥٠- جميل صليبا: علم النفس، ص: ٣٨٥، دار الكتاب اللبناني (بيروت) ١٩٨٤م.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
* إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري ... الحضري: زهرة الآداب وثمرة الألباب.
* أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين.
* أحمد بن خالد بن حماد ... السلاوي: الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى.
* أحمد بن داود بن ونند الدينوري: الأخبار الطوال.
* أحمد بن داود بن ونند الدينوري: الأخبار الطوال.
* أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ... النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب.
* أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي: الأزمنة والأمكنة.
* أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد.
* أحمد علي حبيب: علم النفس الاجتماعي، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع (القاهرة) ٢٠٠٩م.
* بدر الدين الغزي: آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة.
* جميل صليبا: علم النفس، ص: ٣٨٤، دار الكتاب اللبناني (بيروت) ١٩٨٤م.
* ديوان ابن عبدون، موسوعة الشعر العربي الإصدار ٢٠٠٩م www.arapoer.com
* ديوان الإمام عليّ: جمعه وضبطه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٩٨٥م.
* سيريل بيرت: علم النفس الديني، منشورات دار الثقافة (بيروت) ١٩٨٥م.
* عباس الزين عمارة: مدخل إلى الطب النفسي، دار الثقافة (بيروت) ١٩٨٦م.
* عباس العقاد: مجموعة العبقريات الإسلامية، عبقرية الإمام، المكتبة العصرية (بيروت) ٢٠٠٥م.
* عبد الحليم محمود السيد: الإبداع والشخصية، دار المعارف ٠القاهرة) ١٩٧١م.
* عبد الحميد بن هبة الله ... بن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة.
* عبد الرحمن العيسوي: موسوعة ميادين علم النفس، ج١٬٢، دار الراتب الجامعية (بيروت) ٢٠٠٤م.
* عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ... جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء.
* عبد الرحمن بن اسحاق النهاوندي: أخبار الزجاجي.
* عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين.
* عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: بحر الدموع.
* عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار.
* عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي: الإعجاز والإيجاز.
* عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي: أبو الطيب المتنبئ

ماله وما عليه، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول ٢٠٠٩م. www.poetry.com

* علي بن الحيسن ... المسعودي: التنبيه والإشراف.

* علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي: البصائر والنظائر.

* علي بن محمد بن عبد الكري ... (ابن الأثير): الكامل في التاريخ.

* محمد بن خلف بن حيان ... (وكيع): أخبار القضاة.

* محمد بن خلف بن حيان ... (وكيع): أخبار القضاة.

* محمد بن محمد بن الوليد ... الطرطوشي: سراج الملوك.

* محمد بن منصور بن حبيش الواعظ: الجوهر النفيس في سياسة الرئيس.

* محمد بن يحي بن عبد الله أبو بكر الصولي: أخبار أبي تمام.

* محمد بن يحي بن عبد الله أبوبكر الصولي: أدب الكاتب.

* محمد عثمان نجاتي: علم النفس والحياة، دار القلم (الكويت) ١٩٩٣م.

* الموسوعة العربية العالمية الإصدار الأول ٢٠٠٤م.

الخطط العسكرية النبوية الشريفة بين الواقع والمروي
-منع المياه انموذجًا –

م.د. نزار ناجي محمد

Prophetic military plans between reality and imagination Preventing water as a sample

Lect. Dr. Nizar Naji Muhammed

Abstract:

The wars and conflicts in the Arabian Peninsula before the Prophet's mission had a great role in devising various methods of military plans to contribute to resolving battles ،such as preventing the enemy from using water in wars. The Prophet's Biography The Prophet (PBUH) used that military strategy in his war with the polytheists ،so the study will highlight the use of the Prophet (PBUH) that military strategy ،and how reliable are those narrations .

الملخص

كان للحروب والنزاعات في شبه الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية الشريفة أثر كبير في ابتكار اساليب متنوعة من الخطط العسكرية لتساهم في حسم المعارك كمنع العدو من استخدام المياه في الحروب، ولمعرفتهم بأهمية المياه في بيئة مثل شبه الجزيرة العربية فقد استعملت سلاحًا في المعركة، وتنقل لنا مرويات السيرة النبوية الشريفة استخدام النبي (صلى الله عليه واله) لتلك الاستراتيجية العسكرية في حربه مع المشركين، لذا ستسلط الدراسة الضوء على استخدام النبي ﷺ تلك الاستراتيجية العسكرية، وما مدى وثاقة تلك المرويات.

التمهيد

يعد المتخيل صنو الزيف والوهم والخطأ [١]، وقد أسهم في إقصاء الواقع الحقيقي، فالمتخيل هو منتوج ومنتج في الوقت نفسه، ووجب التفطن إلى روافد ذلك المتخيل والكشف عن فضائه الثقافي، فمن الثابت علميًا وعمليًا أن أي ملفوظ شفوي ما أن يأخذ في الارتحال عبر مساره الشفوي والانتقال من محطة سردية إلى اخرى حتى يأخذ في التعرض إلى ما لا يمكن حصره من ضروب التّغير والتحويل [٢]، وهذا ما ينطبق على النقل الشفوي لمرويات السيرة النبوية الشريفة واحتمالية تعرضها لذلك التّغير والتحول لبعض احداثها .

والواقع هو ما حدث وانتهى بصورة لا يستطيع تصويرها بصورة قريبة من الواقع سوى من عايشوا تلك الحادثة أو القريبين منها، والمتخيل هو إحياء لواقع منه يطرح بديلًا لذلك الواقع، فقد تمزج مرويات السيرة النبوية الشريفة بين الواقع والمتخيل ليفرز بنية جديدة يمتزج فيها الطرفان، فالمتخيل هو إظهار أمر بعيد عن الحقيقة ويخدع العقل، وهو ينطلق من الواقع ليكتب نصًا جديدًا يؤثر في المتلقي حيث ينسج عالمًا خياليًا بعيدًا عن الواقع لكنه يستمد احداثه من المخزون السردي للراوي [٣]، وقد يتأثر بتوجه السلطة المهيمنة على التدوين التاريخي فتوجههُ بالطريقة التي تريد، وهذا ما ستتناوله هذه الدراسة لبيان ما هو واقعي وما هو متخيل في ما ورد في مرويات السيرة النبوية الشريفة من منع المياه عن المشركين كاستراتيجية عسكرية نبوية .

أولًا : أهمية المياه وأثرها في حياة العرب قبل البعثة النبوية الشريفة

الماء عنصر رئيس في حياة الإنسان؛ لذلك اشار القرآن الكريم إلى أهميته بقوله تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾[٤]، فالمياه هي السبيل للحياة في هذه المعمورة، وهي الوسيلة التي عن طريقها تحيا الأرض حتى بعد موتها، وقد أكد القرآن الكريم في عدد من الآيات على أثر المياه في حياة الأرض

كما ورد بقوله تعالى: ﴿وَاللهُ الَّذِيْ أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيْرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (٥)، وقوله تعالى :﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(٦)، فحياة الإنسان تعتمد على المياه بصورة اساسية سواء ما يحتاجه الجسم منها، أم عن طريق دورها في حياة النباتات والحيوانات وهما الآخران يعدان عنصرين مهمين في حياة الانسان، وقد ورد قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوْه﴾ (٧)، فالمياه المنزلة من السماء هي وسيلة لحياة الانسان والحيوان وحاجة اساسية لنمو النبات الذي يعد عنصرًا اساسيًا في غذاء الإنسان والحيوان على حدٍ سواء ، وقد ورد في القرآن الكريم عن دور المياه في حياة النبات ومنها ما ورد في قوله تعالى:﴿وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾(٨)، وقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ (٩) .

والمياه المنزلة من السماء بعضها يأخذ طريقه إلى باطن الأرض ويخرج على شكل عيون وينابيع بصورة طبيعية، وبعضها يستخرج من باطن الأرض بطريقة اصطناعية عن طريق حفر الآبار، وبعضها يتم تخزينه على شكل خزانات أو صهاريج ويتم استخدامها وقت الحاجة ، لهذا أكد القرآن الكريم أهمية المياه النازلة من السماء أثرها في دورة حياة الانسان، ومن الفوائد التي جاء ذكرها في القرآن الكريم عن المياه بعدِّها وسيلة للتطهير قوله تعالى:﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوْرًا﴾ (١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾(١١)، فالآيات القرآنية تدلل على أهمية المياه وأثرها في الحياة الانسانية ، لذلك جاء تأكيدها في العديد من الآيات القرآنية .

وكان نشوء أقدم الحضارات قرب مصادر المياه العذبة كحضارة وادي الرافدين ووادي النيل اللتين كان استقرار السكان فيهما قرب الأنهار، بل كان توفر المياه عاملًا رئيسًا في نشوئها وازدهارهما، ولما كانت شبه الجزيرة

العربية خالية من الأنهار الكبيرة الدائمة الجريان كان اعتماد سكانها على الآبار والعيون والينابيع والبرك وخزانات المياه التي تتجمع فيها المياه النازلة بفعل الأمطار، أو المياه الخارجة من باطن الأرض، فكان توفر مثل تلك المصادر من المياه سببًا في نشوء مدن شبه الجزيرة العربية واستقرار القبائل العربية قربها، كقصة نشوء مدينة مكة وبئر زمزم وقصة هاجر واسماعيل عليهما السلام [١٢]، ومدينة يثرب حيث كانت الآبار هي واحدة من سمات هذه المدينة [١٣].

وكان امتلاك أحد مصادر المياه مدعاة للفخر عند العرب قبل البعثة النبوية [١٤]، كما كان امتلاكها مدعاة للفخر كانت حيازتها سببًا في النزاع والتخاصم بين ابناء القبيلة الواحدة؛ وذلك بسبب أهمية المياه في البيئة الصحراوية التي تتمتع بها شبه الجزيرة العربية، وحدث عند منازعة قبيلة قريش لعبد المطلب بن هاشم عند حفره بئر زمزم في مكة ومطالبتها مشاركته في ذلك البئر لما له من أهمية دينية في سقي الحجيج ومدعاة للفخر بتقديم الماء لهم في بيئة تشح فيها موارد المياه مع زيادة اعداد الحجيج لهذا المكان المقدس، والتسابق في تقديم الماء والغذاء لهؤلاء الوافدين [١٥]، وكذا الحال كان في الصراعات القبلية على المياه فكانت كل قبيلة تريد حيازة مصادر المياه لها ومنع الآخرين منها وهذا ما يشكل صراعًا دائمًا على المياه ومصادرها؛ لارتباطها بالحياة الانسانية كما حدث بين بني مازن وبني شيبان في قتالهم على ماء يقال له سفوان، فزعمت بنو شيبان أنه لهم، وأرادوا أن يبعدوا تميم عنها، فاقتتلوا قتالا شديدا انتهى بهزيمة بني مازن وبقاء تلك المياه في حيازة بني تميم [١٦].

تبلغ مساحة شبه الجزيرة العربية مليونًا وربع المليون ميل من الأميال المربعة، وإذا ما ثبتنا مواضع المياه على خارطتها سنجدها قليلة ولا تتناسب مع المساحة الشاسعة لها، وزيادة على ذلك كان مناخ تلك المساحة من الأرض هي الأجواء الحارة والجافة وهو ما يسرع من وتيرة تبخر المياه مع

قلة نسب الأمطار الساقطة وتذبذبها بين حين وآخر جعل مياه تلك المنطقة قليلة ومحدودة [١٧]، لذا اضطر سكان شبه الجزيرة العربية ان يلجؤوا إلى الوسائل الصناعية للاستفادة من المياه، وذلك لقلتها وشحتها سواء كانت مياه أمطار أم مياه أرض متدفقة من جوف الأرض على هيئة عيون أم آبار أم جعافر أم صهاريج، وكانت الأخيرة تستعمل لخزن المياه فقد كان للصهاريج أهمية في أيام الحروب إذ تمنع العدو من قطع الماء عن المحاصرين، وبذلك يستطيعون البقاء مدة طويلة يدافعون عن اماكنهم خلف الاسوار [١٨]، لذلك ادرك العرب أهمية المياه في تلك المناطق الشحيحة المياه، وعرفوا أهميتها في حسم المعارك، فالسيطرة على مورد المياه وحرمان العدو منها يعني حسم جزء كبير من المعركة، ولما كانت شبه الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية تشهد صراعات وحروبًا مستمرة استعملت فيها مختلف الاستراتيجيات العسكرية منها استعمال المياه في الخطط العسكرية لأثرها الكبير في حسم المعارك .

ثانيًا : منع المياه استراتيجية عسكرية عند العرب قبل البعثة النبوية الشريفة

ادرك العرب أهمية المياه في شبه الجزيرة العربية وأثرها في حسم الحروب في منطقة تشهد قلة في المياه، لذا كان أول ما يشغل بال الاطراف المتنازعة هو التموضع عند مصادر المياه، لأن حمل المياه وقت الحروب في بيئة صحراوية قد يصعب من حركة تلك الاعداد المتقدمة من المقاتلين للحرب، زيادة على حاجة المحاربين للمياه والغذاء في وقت الحروب وقد تحتاج الحيوانات المستخدمة في تلك الصراعات للماء هي الأخرى وبكميات كبيرة، لذا يكون حمل المياه وقت الحروب صعبًا للأطراف المتصارعة ؛ لذا تسارع تلك الاطراف للسيطرة على مصادر المياه والتموضع عندها لحرمان الآخر منها من أجل اضعافه ومن ثم القضاء عليه عسكريًا بعد نفاد ما يملك من ماء وغذاء فينتهي الأمر بتلك القوات بالهزيمة أو القتل .

وواحدة من اشهر الحروب التي استعمل المياه فيها سلاحًا في الحرب هوما يعرف بـ (يوم شعب جبلة) حين سار بنو تميم برؤسائهم ومنهم حاجب بن زرارة، ولقيط بن زرارة، وعمرو بن عمرو، والحارث بن شهاب، ومعهم احلافهم وجمع من الناس الطامعين في الغنيمة ، وكل من كان يكن العداوة لبني عامر، حتى تم لهم جمع لم يكن في الجاهلية أكثر منه، وهم يريدون مهاجمة بني عامر بسبب قتلهم معبد بن زرارة في (يوم رحرحان) بعد رفض بني تميم يوم رحرحان الزيادة في فداء معبد بن زرارة بعد وقوعه في الأسر فقتل بعد منع الماء عنه فكان خروجهم طلبًا للثأر بمقتله، فلما سمعت بذلك بنو عامر اجتمعوا عند كبيرهم الأحوص وهو شيخ كبير فعرض عليه أحد بني عامر وهو عمرو بن عبد الله بن جعدة الرجوع إلى ديارهم بعد ان رفض رأي الأحوص الهروب لما فيه من فضيحة بين القبائل بالخوف من المواجهة فذكر له خطته بالرجوع إلى شعب جبلة فيحرزون في رأس الجبل النساء والضعفاء والذراري والأموال، ويكون المقاتلون في وسطه ؛ لأن فيه مصادر المياه فإن جاء العدو اقام اسفل الجبل على غير ماء ولا مقام لهم، وإن صعدوا قاتلهم المقاتلة من فوق برميهم بالحجارة وهم في حرز وكان عدوهم في غير ذلك فيكونون على قتالهم أقوى، فعجبت الفكرة الأحوص ثم عرض على قيس بن زهير العبسي الأمر بعد تحالفهم معهم فذكر له رأيه في ان يدخلوا النوق شعب جبلة ثم يظمئونها هذه الأيام ولا يوردوها الماء فإذا جاء القوم واقتحموا الجبل اخرجوا عليهم الأبل بعد نخسها بالسيوف والرماح، فتخرج مذعورة وعطشى فتشغلهم وتفرق جمعهم ويخرج المقاتلون في آثارها، ففعل الأحوص كبير بني عامر ما قيل له من استراتيجية عسكرية تستخدم فيها المياه وسيلة لإضعاف العدو، وعندما هاجم الجبل بنو تميم اطلق بنو عامر الأبل وهي عطشى ومذعورة وهي تحطم كل شيء مرت به، وخرج بنو

عامر في آثارهن يقتلون كل من وقف في طريقهم فانهزمت بنو تميم شر هزيمة [١٩]، وهذا يبين أهمية المياه في حسم المعارك عند العرب قبل البعثة النبوية .

ومن الأيام التي ذكر استعمال المياه فيها سلاحًا في المعركة للتأثير في معنويات المقاتلين هو(يوم غدير قلبي) حين سبقت بنو عبس عدوها بني سعد بن ثعلبة بن ذبيان غدير الماء المسمى (قلبي) بعد أن رفضت الاخيرة الصلح وتقدمهم لمهاجمة بني عبس، حيث سبقتهم للاستحواذ على مصدر المياه ، وتموضع بنو عبس حول ذلك الغدير فمنعوا بنو سعد بن ثعلبة بن ذبيان الماء حتى كادوا يموتون من العطش فقبلوا في الصلح في نهاية الأمر [٢٠]، وهذا يبين ترجيح كفة الطرف الذي يحرز الماء فهو الاكثر قدرة على حسم المعركة، فتمثل هذه الحوادث الخزين السردي للخطط العسكرية عند العرب في شبه الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية لمواجهة الأعداء والمحافظة على مصادر المياه والدفاع عنها .

ثالثًا : منع المياه استراتيجية عسكرية في مرويات السيرة النبوية الشريفة

تضمنت مصادر السيرة النبوية حروب النبي ﷺ مع المشركين بعد الهجرة إلى المدينة المنورة التي استعمل فيها مجموعة من الاستراتيجيات العسكرية لمواجهة جيوش المشركين، ومنها استعمال منع المياه وسيلة للضغط على الجيوش المتقدمة والتأثير في معنويات المقاتلين المشركين لكسب المعركة .

تنقل لنا مرويات السيرة استخدام النبي ﷺ مثل تلك الاستراتيجية في معركة بدر في السنة الثانية من الهجرة حين تقدم جيش المسلمين لمقابلة جيش المشركين لسبقهم إلى الماء، حتى إذا جاء جيش المسلمين أدنى ماء من بدر فنزلوا به [٢١]، وبعدها ينقل لنا ابن إسحاق (ت ١٥١ هـ) عن التموضع قبل تلك المعركة بقوله : " حدثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكروا : أن الحباب بن المنذر بن الجموح[٢٢] قال : يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل،

أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال : يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس، حتى نأتى أدنى ماء من القوم، فنزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي . فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه، فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية . " (٢٣).

وجاء عن ابن عباس : " أن رسول الله ﷺ نزل منزلا يوم بدر فقال الحباب بن المنذر ليس هذا بمنزل انطلق بنا إلى أدنى ماء إلى القوم ثم نبني عليه حوضا ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل وتعور ما سواها من القلب، قال فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال الرأي ما أشار به الحباب بن المنذر فقال رسول الله ﷺ يا حباب أشرت بالرأي فنهض رسول الله ﷺ ففعل ذلك " (٢٤).

وورد عن يحيى بن سعيد(٢٥) قال : " أن النبي ﷺ استشار الناس يوم بدر فقام الحباب بن المنذر فقال نحن أهل الحرب أرى أن نعور المياه إلا ماء واحدا نلقاهم عليه " (٢٦).

لم ينقل ابن اسحاق (ت ١٥١ هـ) هوية الرجال من بني سلمة الذي نقل عنهم هذا الخبر، أو على الأقل رجل واحد منهم فلا يمكن معاصرة هؤلاء الرجال من بني سلمة أحداث معركة بدر في السنة الثانية من الهجرة حتى عصر ابن اسحاق؛ لأن المدة الزمنية بين المعركة وعهد ابن اسحاق طويلة، فلا يمكن اعتماد قول هؤلاء الرجال في ظل مجهولية الرواة الناقلين، كما ان قيام مجموعة رجال من بني سلمة بنقل مثل هكذا رواية من الممكن ان تكون محاولة لرفع مكانة القبيلة أو أحد شخوصها في مرويات السيرة النبوية ؛ لأن

نسب الحباب بن المنذر يرجع إلى بني سلمة وهذا ما يزيد احتمالية الشك في مثل هكذا نوع من المرويات ذات الطابع القبلي.

ولم تنقل مروية ابن عباس عمن سمع ذلك الحديث فهو لم يكن وقتها موجودًا في المدينة المنورة [٢٧]، فلا بد من سماعه هذا الحديث من الساكنين في المدينة المنورة وممن عايشوا تلك اللحظات، ولا حتى التابعي يحيى بن سعيد الأنصاري الذي لم يكن مولودًا بعد [٢٨]، ولم ينقل لنا عمن نقل روايتها ؟

الشيء الآخر هو سؤال الحباب بن المنذر للنبي ﷺ عن المنزل الذي نزله جيش المسلمين هل هو تدبير سماوي لا يمكن تغييره أو هو (الرأي والحرب والمكيدة)، ولا شك ان المشاورة أو الرأي والرأي الآخر واحدة من سمات النبي ﷺ التي ذكرها القرآن الكريم [٢٩]، ويذكر ابو هريرة تلك السمة عند النبي ﷺ بقوله : " فلم أر أحدًا كان أكثر مشاورةً لأصحابه من رسول الله ﷺ وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط " [٣٠]، لكن العمل بالمكيدة لم تكن من سمات الأنبياء، بل في الغالب هي صفة مذمومة كما ورد في قوله تعالى : ﴿**أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ**﴾ [٣١]، والكَيْدُ من المَكِيدَة، والكَيْدُ هو الخُبْثُ والمَكْرُ، والكَيْدُ هو الاحتيالُ والاجتهاد، وبه سميت الحرب كيدًا [٣٢]، فلا يمكن ان يتصف النبي ﷺ بتلك الصفات حتى على مستوى الحرب، ولا نجد لحديث المكيدة ذكرًا فيما نقل عن ابن عباس أو يحيى بن سعيد الأنصاري .

والقضية الاخرى والأهم هي منع المياه، فهل كان من خلق النبي ﷺ منع المياه التي هي السبيل للحياة، أو حتى تخريب مصدر المياه الذي يحتاجه الجميع ؟!!

تنقل بعض النصوص نزول الملك جبرائيل بتأييد ذلك الرأي الذي اشار عليه الحباب بن المنذر [٣٣]، فهل لمنع المياه تأييد سماوي كنوع من انواع الخطط العسكرية كما اشار الحباب بن المنذر بذلك ؟!!، مع ان بعض

النصوص ذكرت سماح النبي ﷺ للقرشيين بشرب الماء قبل موعد المعركة [٣٤].

تذكر بعض النصوص سبق المشركين في الوصول لتلك المياه ومنعها عن المسلمين، أي ان قصة منع الماء كانت معكوسة والمشركون هم من منعوا المياه عن جيش المسلمين كاستراتيجية عسكرية لأضعاف جيش المسلمين [٣٥]، فلو كانت جزئية منع المياه من قبل النبي ﷺ لما قال الله في محكم كتابه : ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**﴾ [٣٦]، فالماء لو توفر عند جيش المسلمين لما نزل من السماء تطهيرًا لهم لعدم توفره لديهم حتى كان المنافقون والذين في قلوبهم مرض يذكرون نقص الماء في جيش المسلمين فكانوا يقولون تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله على المسلمين مطرا شديدا فاغتسلوا وتوضؤوا وشربوا، فقصة منع المياه معكوسة تمامًا استنادًا للنص القرآني، وهوما أكده المفسرون للنص القرآني [٣٧]، ويستدل بهذا النص القرآني على زوال العسر وحصول اليسر والمسرة من نزول الماء، ولوكان الماء متوفرًا لما كان نزوله رسالة من السماء للمسلمين بان الله معهم وناصرهم على عدوهم .

وكان للسنة النبوية أثر في بيان أهمية المياه وعدم استخدامها نوعًا من انواع الاستراتيجيات العسكرية في المعركة فنقل عن النبي ﷺ قوله :" المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار " [٣٨]، وقوله : " ثلاث لا يمنعن الماء والكلأ والنار " [٣٩]، وقد سُئل النبي ﷺ عن الشيء الذي لا يحل منعه فقال : الماء [٤٠]، فهذه الاحاديث النبوية تذكر حرمة منع الماء، وهي الأخرى تؤكد عدم صدق روايات منع المياه عن جيش المشركين في معركة بدر، أو حتى تخريب مصدر من مصادر المياه في بيئة تشح فيها المياه، لذا النبي ﷺ لم يكن ليمنع المياه التي هي مصدر الحياة عن المشركين حتى في وقت المعركة .

ولو تتبعنا بعض الحوادث التاريخية في من تربى وعاش في كنف النبي ﷺ نجد الصورة مختلفة عما تنقله لنا مرويات السيرة النبوية، فمثلا نجد الإمام علي عليه السلام قد مر بمثل ذلك الموقف في معركة صفين حينما سيطر جيش الإمام علي عليه السلام على مصدر المياه بعد منعه من قبل جند الشام، فلم يمنع عنهم استخدام الماء وجعل جيشه والجيش الشامي فيه سواء فيأخذ كل جيش مما يليه حاجته من الماء [٤١]، وقد كان عمرو بن العاص يذكر لمعاوية بعد منعه الماء عن جيش الإمام علي عليه السلام بقوله :" ما ظنك بالقوم إن منعوك الماء اليوم كما منعتهم أمس، أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه . وما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة . قال: دع عنك ما مضى منه، ما ظنك بعلي ؟ قال : ظني أنه لا يستحل منك ما استحللت منه " [٤٢]، لذا كان ظن عمرو بن العاص بعدم استخدام الإمام علي عليه السلام مثل تلك الاستراتيجية العسكرية غير الإنسانية وهي شهادة من الجيش المعادي لجيش الإمام علي عليه السلام، ومن الشواهد التاريخية كذلك هي ما حدث في واقعة الطف سنة (٦١هـ) فقد كان حفيد النبي ﷺ الإمام الحسين عليه السلام في تلك الحرب لم يمنع الماء عن جند يزيد بن معاوية، وعندما سيطر جند الأمويين على مورد المياه منعوها عن جيش الإمام الحسين عليه السلام [٤٣]، وهذا يدلل على ان الخلق النبوي لم يكن مع منع المياه التي هي مصدر الحياة عن جيش المشركين في معركة بدر عن طريق تلك الحوادث التاريخية التي تمثل من تخلقوا بخلق النبي ﷺ وعاشوا في كنفه، فهو الذي وصفه الباري عز وجل بانه صاحب الخلق العظيم [٤٤]، ومحال ان يقوم صاحب الخلق العظيم بما يقوم به المتسلطون والجبابرة من الأعمال غير الإنسانية فهو رحمة للعالمين [٤٥]، وكذلك هم آل بيته الطيبون الطاهرون .

الخاتمة

الروايات التي نقلت لنا استعمال النبي ﷺ هذه الاستراتيجية تتعارض مع آيات القرآن الكريم في قصة عدم توفر المياه لدى المسلمين قبل المعركة، وهذا يدلل على استعمال المشركين تلك الاستراتيجية العسكرية ، وآيات الذكر الحكيم هي المواكبة لتلك الاحداث والقريبة من زمنية الحدث والأكثر مصداقية خلاف مصادر السيرة الأخرى، زيادة على ذلك تعارض هذه القصة مع ما ورد عنه من احاديث بحرمة منع المياه حتى لو كان ذلك في اوقات الحروب، وأكدت ذلك الاحداث التاريخية في من تربى في كنف النبي ﷺ وتخلق بخلقهِ وهم محمد واله الطيبون الطاهرون .

في خاتمة هذا البحث قد يتبادر إلى ذهن المطالع لهذه الاسطر القليلة عن سبب وجود هكذا مرويات في السيرة النبوية، وما الغاية منها ؟ لعل السبب الرئيس لزج هذه المرويات في بنية السيرة النبوية هو إعطاء تلك الاستراتيجية العسكرية وغير الإنسانية التي استعمالها المتسلطون والمتجبرون الشرعية استعماله في حروبهم عن طريق نسبتها للنبي ﷺ وبنسج عدد من المرويات تتحدث عن استخدامه ﷺ منع المياه خطة عسكرية في وقت الحروب، ونزول الوحي بتأييد تلك الاستراتيجية غير الإنسانية، وجعلها روايات تأسيسية لذا لا حاجة لنقد الأمويين في استخدامها في حربهم ضد مخالفيهم ومعارضيهم كما حدث في صفين أو في واقعة الطف في كربلاء .

هوامش البحث

١- خالَ الشيءَ يَخالُ خَيْلًا وخِيلة وخَيْلة وخالًا وخِيَلًا وخَيَلانًا ومَخالة ومَخِيلة وخَيْلُولة : ظَنَّه، وفي المثل : من يَسْمَعْ يَخَلْ أَي يظن .ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، (د. ط.، قم، ادب الحوزة، ١٩٨٥م)، ج١١ / ص ٢٢٦- ٢٢٨ .

٢- باسم المكي، المعجزة في المتخيل الإسلامي، (ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣م)، ص ٢٣- ٢٤ .

٣- ليلى رحمانية، جدلية الواقعي والمتخيل في المنجز السردي الروائي الجزائري المعاصر، (اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة العميد الحاج لخضر باتنه، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٢٠م)، ص ١- ١٢ .

٤- سورة الأنبياء، الآية : ٣٠ .

٥- سورة فاطر الآية : ٩ .

٦- سورة النحل، الآية : ٦٥ .

٧- سورة الحجر، الآية : ٢٢ .

٨- سورة البقرة، الآية: ٢٢ .

٩- سورة النبأ، الآيات : ١٤- ١٦ .

١٠- سورة الفرقان، الآية: ٤٨ .

١١- سورة الانفال، الآية : ١١ .

١٢- الأزرقي، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحس، (ط١، قم، انتشارات الشريف الرضي، ١٩٩٠م)، ج١ / ص ٥٥- ٥٦ .

١٣- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (ط٢، بغداد، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٩٣م) ج٤/ ص١٣١ .

١٤- ينظر افتخار السموأل بن عاديا بترك أبيه عاديا له بئر يستقي منه متى شاء . ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي(ت٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، (د. ط.، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٧٩ م)، ج١/ ص ٧٥ .

١٥- الأزرقي، أخبار مكة، ج٢ / ص ٤٥ – ٤٦ .

١٦- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (د. ط.، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، د.ت.) ، ١٥/ ص ٣٩٠ .

١٧- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧/ ص ٦- ١٣ .

١٨- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٧/ ص ١٦٨- ١٧٠ .

١٩- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت ٣٥٦ هـ)، كتاب الأغاني، (د. ط.، د. م.، دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، ج١١/ ص٨٩- ١١١ ؛ محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، (د.ط.، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت .)، ص ٣٤٤- ٣٦٤ .

٢٠- النويري، نهاية الأرب، ج ١٥ / ص ٣٦٣ .

٢١- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ)، السيرة النبوية، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط١، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٦٣ م)، ج٢/ ص ٤٥٢ ؛ الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الرسل والملوك) (تاريخ الطبري)، تح : نخبة من العلماء، (ط٤، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٣م)، ج٢/ ص ١٤٤ ؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، (د. ط.، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥م) ، ج٢/ ١٢٢ ؛ ابن سيد الناس، ، أبو الفتح محمد بن عبد الله بن يحيى (ت ٧٣٤هـ)، عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير (السيرة النبوية)، (د. ط .، بيروت مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، ١٩٨٦م)، ج١/ ص ٣١١ ؛ ابن كثير، ، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية، تح: علي شيري، (ط١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨ م)، ج٣/ ص ٣٢٦ .

٢٢- الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد بدرا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وشهد أحدا والخندق والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ وسلم، يقال استشاره النبي ﷺ في معركة بدر وفي يوم قريظة والنضير، مات الحباب بن المنذر في خلافة عمر بن الخطاب . للمزيد من التفاصيل ينظر : ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، ، (د. ط.، بيروت، دار صادر، د.ت)، ج٣/ ص ٥٦٧- ٥٦٨ ؛ ابن عبد البر، ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح : علي محمد البجاوي، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م)، ج١/ ص ٣١٦ .

٢٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/ ص ٤٥٢ ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٢/ ص ١٤٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/ ص٣٢٦- ٣٢٧ .

٢٤- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ص ٥٦٧ .

٢٥- يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو الأنصاري الخزرجي النجاري، ولد قبل السبعين زمن ابن الزبير، الم المدينة في زمانه، وشيخ عالم المدينة، وتلميذ الفقهاء، روى عنه عدد كبير من التابعيين، وكان غزير الحديث، توفي بالهاشمية بقرب الكوفة، وله بضع وسبعون سنة، سنة ثلاث وأربعين ومئة . للمزيد من التفاصيل ينظر : الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، سير اعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط وحسين الأسد، (ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ج٥/ ص ٤٦٨ – ٤٨١ .

٢٦- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ص ٥٦٧ .

٢٧- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت٦٣٠ هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (د. ط.، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.)، ج٣/ ص ١٩٢- ١٩٥ .

٢٨- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٥/ ص ٤٦٨ – ٤٨١ .

٢٩- سورة آل عمران، الآية: ١٥٩ .

٣٠- الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)، كتاب المغازي، تح : مارسدن جونس، (ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤ م)، ج ١/ ص ٥٨٠ .

٣١- سورة الطور، الآية : ٤٢ .

٣٢- ابن منظور، لسان العرب، ج٣/ ص ٣٨٣ .

٣٣- الواقدي، المغازي، ج١/ ص ٥٤ ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ص ٥٦٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/ ص ٣٢٧ .

٣٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/ ص ٤٥٣ ؛الواقدي، المغازي، ج١/ ص٦١ ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٢/ ص ١٤٥ ؛ الكلاعي، أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري(ت ٦٣٤هـ)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ) والثلاثة الخلفا، تح: محمد عبد القادر عطا، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ج١/ ص ٣٣٢ ؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١/ ص ٣٣٣ .

٣٥- الطبري، تاريخ الطبري، ج٢ / ص ١٣٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/ ص ٣٣٩ . وينظر ما ذكره المفسرون : الطبري ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، قدم له: خليل الميس، ضبط: صدقي جميل العطار (د. ط.، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م)، ج٩/ ص ٢٥٧ – ٢٦١ ؛ السمر قندي، ابو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم (٣٨٣هـ)، تفسير السمرقندي، ، تح : محمود مطرجي (د.ط.، بيروت، دار الفكر، د.ت.)، ج٢/ ص ٧ ؛ الثعلبي، أحمد بن محمد

بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ)، الكشف والبيان في تفسير القرآن(تفسير الثعلبي)، (ط١، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م)، ج٤/ ص ٣٣٣ ؛ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، (د. ط.، مصر، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م)، ج ٢/ ص ١٤٧ ؛ الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن (ت٦٠٤هـ)، مفاتيح الغيب، ج١٥/ ص ١٣٣- ١٣٤ .

٣٦- سورة الأنفال، الآية :١١ .

٣٧- الطبري، جامع البيان، ج٩/ ص ٢٥٧ – ٢٦١ ؛ السمرقندي، تفسير السمرقندي، ج٢/ ص ٧ ؛الثعلبي، الكشف والبيان ، ج٤/ ص ٣٣٣ ؛ الزمخشري، الكشاف، ج ٢/ ص ١٤٧ ؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (تفسير الفخر الرازي)، (ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١ م)، ج١٥/ ص ١٣٣- ١٣٤ .

٣٨- ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد بن حنبل، (د. ط.، بيروت، دار صادر، د.ت.)، ج٥/ ص ٣٦٤ ؛ ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط.، د. م.، دار الفكر، د.ت) ، ج٢/ ص ٨٢٦ ؛ ابو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) سنن أبي داود، تح : سعيد محمد اللحام، (ط١، د. م.، دار الفكر، ١٩٩٠م)، ج٢/ ص ١٤٠ .

٣٩- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج٢/ ص ٨٢٦-

٤٠- ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ٣/ ص ٤٨٠ – ٤٨١ ؛ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج٢/ ص ٨٢٦ ؛ أبوداود، سنن أبي داود، ج٢/ ص ١٤٠ .

٤١- نصر بن مزاحم المنقري (٢١٢هـ)، وقعة صفين، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، (ط٢، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر، ١٩٦٢م)، ص ١٩٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣/ ص ٢٨٤- ٢٨٥ .

٤٢- المنقري، وقعة صفين، ص ١٨٦ .

٤٣- ينظر الطبري، تاريخ الطبري، ج٤/ ص ٣٠٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤ / ص ٤٦ .

٤٤- سورة القلم، الآية : ٤ . ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .

٤٥- سورة الأنبياء، الآية : ١٠٧ . ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر الأولية

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)
* أسد الغابة في معرفة الصحابة، (د. ط.، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.).
* الكامل في التاريخ، (د. ط.، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥م) .
* الأزرقي، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)
* أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحس، (ط١، قم، انتشارات الشريف الرضي، ١٩٩٠م) .
* الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ / ١٠٣٥ م).
* الكشف والبيان في تفسير القرآن(تفسير الثعلبي)، (ط١، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م).
* ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م).
* مسند أحمد بن حنبل، (د. ط.، بيروت، دار صادر، د.ت.).
* أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨م) .
* سنن أبي داود، تح : سعيد محمد اللحام، (ط١، د. م.، دار الفكر، ١٩٩٠م).
* الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م) .
* سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط وحسين الأسد، (ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).
* الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م) .
* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، (د. ط.، مصر، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م).
* ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠هـ/ ٩٤١م) .
* الطبقات الكبرى، (د. ط.، بيروت، دار صادر، د.ت).
* السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم (٣٨٣هـ/ ٩٩٣م) .
* تفسير السمرقندي، تح : محمود مطرجي (د.ط.، بيروت، دار الفكر، د.ت.).
* ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن عبد الله بن يحيى (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م) .
* عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير (السيرة النبوية)، (د.ط .، بيروت مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، ١٩٨٦م) .
* الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢ م) .
* تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الرسل والملوك) (تاريخ الطبري)، تح : نخبة من العلماء، (ط٤، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٣م).
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن، قدم له: خليل الميس، ضبط: صدقي جميل العطار (د. ط.، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م).
* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠ م) .
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م).
* الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن

الحسن (ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م) .
* التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (تفسير الفخر الرازي)، (ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١ م).
* أبو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٦م) .
* كتاب الأغاني، (د.ط.، د.م.، دار إحياء التراث العربي، د.ت.) .
* ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م) .
* البداية والنهاية، تح: علي شيري، (ط١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨ م).
* الكلاعي، أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري(ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م)
* الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ) والثلاثة الخلفا، تح: محمد عبد القادر عطا، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
* ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨م)
* سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط.، د.م.، دار الفكر، د.ت) .
* ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١ م)
* لسان العرب، (د. ط.، قم، ادب الحوزة، ١٩٨٥م).
* المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ/ ٨٢٧ م).
* واقعة صفين، تح : عبد السلام محمد هارون، (ط٢، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر، ١٩٦٢ م) .
* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣م)
* نهاية الأرب في فنون الأدب، (د.ط.، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، د.ت.) .
* ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م) .
* السيرة النبوية، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، (ط١، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٦٣م).
* الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) .
* كتاب المغازي، تح : مارسدن جونس، (ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤ م) .
* ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي(ت٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)
* معجم البلدان، (د. ط.، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٧٩ م).

المراجع الثانوية

* علي، جواد .
* المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط٢، بغداد، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٩٣م) .
* المكي، باسم .
* المعجزة في المتخيل الإسلامي، (ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣م)
* المولى، محمد أحمد جاد المولى وآخرون .
* أيام العرب في الجاهلية، (د.ط.، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت .) .
* الرسائل الجامعية
* رحمانية، ليلى .
* جدلية الواقعي والمتخيل في المنجز السردي الروائي الجزائري المعاصر، (اطروحه دكتوراه غير منشورة، جامعة العميد الحاج لخضر، باتنه، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٢٠م).

الموارد المالية لرسول الله (صلى الله عليه واله)
من اموال الخمس والانفال في ضوء القران الكريم

م.م ازر عبد الكاظم إسماعيل

The financial resources of the Messenger of God (PBUH) From the wealth of the five and the Anfal in the light of the Noble Qur'an

Asst.Lect. Azer Abdul Kadhim Ismail

Abstract :

God (the Almighty) honored His Messenger and the people of his house (peace be upon them) from the rest of the Muslims with some financial sources in honor of them, and many of the Qur'anic verses have revealed in that, including the Almighty saying} :God has fulfilled his Messenger from the family and Ibn al-Sabeel) as well as the Almighty's saying: (They ask you On the authority of the enforcement, say the breath of God and the Messenger), and his saying: "Know that you have been sang of something, for God is the one who is the one who is the one who is the one who is the Messenger and the Messenger, and the Messenger of God, and the Messenger, and the Messenger."This confirms that the Messenger of God (may God's prayers and peace be upon him and his family) said: I was given four things which no one before us had given them, and I asked my Lord in the fifth and He gave it to us, as well as His saying (may God bless him and his family):

He permitted the five to us, and it was not permitted to anyone who was before us, and he (may God bless him and his family) said: O Ali, Abdul Muttalib enacted in the pre-Islamic era five Sunnahs that God (Almighty and Glorious is He) instituted in Islam, one of which was that he found a treasure, so take out the fifth of it, and give it alms, so he was revealed. God (Mighty and Majestic) and know that you have spoiled, and likewise the saying of the Commander of the Faithful, Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him), he says: We, by God, are those whom God has meant with kindred, whom God Himself and His Prophet (may God bless him and his family) associate with, in particular, and He did not make us an arrow. In charity, God has honored His Prophet, and honored us to feed us the dirt of what is in people's

hands." And on the authority of Abu Abdullah (peace be upon him), he said: "We are a people that God made obligatory for us to obey, and we have the purity of money, and we are firmly rooted in knowledge." So the Messenger of God (May God's prayers and peace be upon him and his family) and his family (peace be upon them) one-fifth of every booty that the Muslims spoil in the war house, as well as the money of al-fai' and al-Anfal, which is all the land that the Muslims conquered in peace without fighting. From the land of the Jews, God has made it exclusive to His Messenger and his family (peace be upon them) and that is the saying of the Most High: You have dried up on him horses and riders, but God sends His messengers to power.)

الملخص:

فقد أكرم الله عزوجل رسوله وأهل بيته عليهم السلام عن باقي المسلمين ببعض المصادر المالية اكراما وتنزيها لهم، ولقد نزلت في ذلك عدد من الايات القرانية منها قوله تعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لله وَالرَّسُولِ**﴾، وقوله: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ كما وردت مجموعة من الاحاديث الشريفة عن اهل البيت عليهم السلام ما يؤكد ذلك فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنهُ قال: أعطيتُ أربعا لم يعطهن احد كان قبلنا، وسالت ربي في الخامسة فاعطانياها، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: واحل لنا الخمس، ولم يحل لأحد كان قبلنا، وقال صلى الله عليه وآله: يا علي أن عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن أجراها الله عزوجل في الإسلام، منها انهُ وجد كنزا، فاخرج منهُ الخُمس، وتصدق بهِ، فأنزل الله عزوجل واعلموا إنما غنمتم، وكذلك قول أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: نحنُ والله الذين عنى الله بذي القربى، الذين قرنهم الله بنفسه، ونبيه صلى الله عليه وآله، خاصة ولم يجعل لنا سهما في الصدقة، أكرم الله نبيه، وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس"، وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: "نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال، ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم"، فكان لرسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام الخُمس من كل مغنم يغنمه المسلمين في دار الحرب فضلا عن اموال الفيء والانفال وهي كل ارض فتحها المسلمين صلحا بدون قتال وما كان من اموال لم يكن فيها هراقة دم او قتل كاراضي فدك وبني النضير وغيرها من ارض اليهود، فقد جعلها الله خالصة لرسوله واهل بيته عليهم السلام وذلك قوله تعالى ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ**﴾.

المقدمة:

إن من أهم مقومات نجاح أي دعوة أو مشروع اصلاحي هو العامل الاقتصادي والذي يتمثل بالمال ولذلك نجد أن الله عزوجل قد ركز منذ بداية دعوة النبي صلى الله عليه وآله على هذا العامل وبينه وشرعه عبر كتابه المقدس القران الكريم في عدد من الايات القرآنية التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ليبينها للناس بعد ذلك، ولعل أبرز هذه الآيات هي آية الخمس كقوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ**﴾، ومن ثم آية الانفال في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ**﴾، وبعد ذلك آية الفيء: ﴿**مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾، إذ أوضح صلى الله عليه وآله في هذه الايات حقه وحق أهل بيته عليهم السلام من الاموال الخاصة التي نص عليه كتاب الله عز وجل، فهي خالصة له ولمن يأتي من بعده من الحكام الشرعيين ونقصد بهم اهل البيت عليهم السلام لا يشاركهم بها احد تكريما لهم من الله عزوجل، ولا يجوز التعدي او التجاوز من أي احد كان على هذه الاموال الخاصة فهي تحت تصرف رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام يصرفونها بحسب ما تقتضيه المصلحة العامة، فكان النبي صلى الله عليه وآله يؤتى بالغنيمة، فيضرب بيدهِ فما وقع من شيء جعلهُ للكعبة، وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقي على خمسة، لنبي الله سهم، ولذي القربى سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم، ولابن السبيل سهم

المبحث الاول: أموال الخُمس

كانت العرب في الجاهلية اذا غزت اخذ رئيسهم ربع الغنيمة، وقسم الباقي فيما بينهم، و في ذلك يقول الشاعر:

لك المرباع منها، والصفايـــا وحكمك، في النشيطة والفضول [١].

وكان عبدالله بن جحش [٢] أول من أعطى الخُمس في الغنيمة للنبي صلى الله عليه وآله

من قبل أن يفرض الله تعالى الخمس، فأنزل الله تعالى بعد ذلك آية الخمس، وانما كان قبل ذلك المرباع، فلما رجع عبد الله بن جحش من سريته من نخلة [٣] خمس ما غنم، وقسم بين أصحابهِ سائر الغنيمة، فكان أول خمس خُمس في الاسلام [٤]، ولما نزلت آية ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾[٥] في معركة بدر عرف المسلمون انهُ لاحق لهم في الغنيمة، وأنها لرسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله سمعا، وطاعة، فاصنع ما شئت، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِالله وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٦]، أي ما غنمتم بعد بدر [٧] .

وعن عبادة بن الصامت انهُ قال: سلمنا الانفال لله، ولرسولهِ، ولم يُخمس رسول الله ﷺ بدرًا، ونزلت بعد ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ ﴾، فأستقبل رسول الله ﷺ بالمسلمين الخُمس، فيما كان اول غنيمة بعد بدر [٨]، وقال رسول الله ﷺ: "يا علي أن عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن أجراها الله عز وجل في الإسلام، منها انهُ وجد كنزا، فاخرج منهُ الخُمس، وتصدق بهِ، فأنزل الله عز وجل واعلموا إنما غنمتم " [٩].

وعن رسول الله ﷺ، انهُ قال: "أعطيتُ أربعا لم يعطهن احد كان قبلنا، وسالت ربي في الخامسة، فاعطانياها الى ان قال: واحل لنا الخمس، ولم يحل لأحد كان قبلنا" [١٠]، وقال رسول الله ﷺ، في كتابهِ لبني زهير بن اقيش، وهم حي من عقل: "إنكم إن شهدتم أن لا اله إلا الله، وأقمتم الصلاة، واتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم من الغنائم الخُمس، وسهم النبي، والصفي، فانتم آمنون بأمان الله، وأمان رسوله " [١١] .

فكان لرسول الله ﷺ الخُمس [١٢] من كل مغنم، ففي يوم حنين لما فرغ رسول الله ﷺ من رد السبايا إلى أهلها، قال لهُ الناس : "اقسم علينا فيئنا

من الإبل، والغنم، فألجؤه إلى شجرة، وأخذوا رداؤهُ، فقال: ردوا علي ردائي أيها الناس، فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسّمتهُ عليكم، ثم ما ألفيتموني بخيلا، ولا جبانا، ولا كذابا، ثم قام إلى جنب بعير، فاخذ وبرة منهُ، فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها وقال: أيها الناس، والله مالي من فيئكم، حتى هذه الوبرة إلا الخُمس، والخمس مردود عليكم، فادوا الخياط، والمخيط، فان الغلول يكون على أهلهِ عارا، ونارا، وشنارا، يوم القيامة" (١٣).

"فكان رسول الله ﷺ، إذا أصاب غنيمة أمر بلالا، فنادى في الناس، فيجيؤون بغنائمهم، فيخمسها، ويقسمها، فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر، فقال: يا رسول الله هذا فيما كنا اصبناهُ من الغنيمة، فقال: أسمعت بلالا نادى ثلاثًا ؟ قال: نعم قال: فما منعك ان تجيء به، فأعتذر، فقال: انت تجيء به يوم القيامة، فلن اقبل منك " (١٤).

كما ورد عن رجل من اهل الشام أنهُ قال: أتيت النبي ﷺ، وهو بوادي القرى، فقلتُ لهُ: يا رسول الله ما تقول في الغنيمة ؟ فقال: "لله خُمسها، واربعة اخماس للجيش، فقلتُ : فما احد اولى به من احد ؟ قال: لا، ولا السهم تستخرجهُ من جنبك ليس انت احق به من اخيك المسلم"(١٥) .

وعن ابن عباس قال: الانفال المغانم كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لأحد منها شيء، ما اصاب سرايا المسلمين اتوا به، فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول، فسألوا رسول الله ﷺ ان يعطيهم منها، فقال الله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لله وَالرَّسُولِ** ﴾ ليس لكم منها شيء، ثم انزل عز وجل ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ** ﴾ ، ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله، ولذي القربى يعني قرابة النبي واليتامى والمجاهدين في سبيل الله، وجعل اربعة اخماس الغنيمة بين الناس فيه سواء للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وللراجل سهم (١٦).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: " اربعة اخماس الغنيمة لمن قاتل عليها للفارس سهمان وللراجل سهم " [١٧]، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة، فضرب ذلك الخمس في خمسة، ثم قرأ: واعلموا انما غنمتم من شيء [١٨].

فكان النبي صلى الله عليه وآله يؤتى بالغنيمة، فيضرب بيدهِ فما وقع من شيء جعلهُ للكعبة، وهو سهم الله . ثم يقسم ما بقي على خمسة، لنبي الله سهم، ولذي القربى سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم، ولابن السبيل سهم[١٩] .

وقال ابو عبد الله عليه السلام: " كان رسول الله صلى الله عليه وآله، اذا اتاهُ المغنم اخذ صفوهُ، وكان ذلك لهُ، ثم يقسم ما بقي خمسة اخماس، ثم يأخذ خمسهُ، ثم يقسم اربعة اخماس بين الناس، ثم يقسم الخمس الذي اخذهُ خمسة اخماس يأخذ خمس الله لنفسهِ، ثم يقسم الاربعة اخماس بين ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابناء السبيل يعطي كل واحد منهم جميعا، وكذلك الامام يأخذ كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله " [٢٠] .

وسئل ابو عبد الله عليه السلام في السرية يبعثها الامام، فيصيبون غنائم كيف تُقسم قال: "ان قاتلوا عليها مع امير امّره الامام عليهم اخرج منها الخُمس لله وللرسول، وقسم بينهم اربعة اخماس، وان لم يكونوا قاتلوا عليها المشركين، كان كل ما غنموا للامام يجعلهُ حيث احب " [٢١] .

وعن الامام علي عليه السلام قال: "الخُمس في خمسة اشياء من الغنائم، والغوص، ومن الكنوز، ومن المعادن، والملاحة، يؤخذ من كل هذه الصنوف الخمس، فيجعل لمن جعله الله له، ويقسم الاربعة الاخماس بين من قاتل عليه، وولي ذلك، ولهُ ان يسد بذلك المال جميع ما ينوبه من مثل اعطاء المؤلفة قلوبهم، وغير ذلك مما ينوبه، فأن بقي بعد ذلك شيء اخرج الخُمس منهُ، فقسمهُ في اهلهِ، وقسم الباقي على من ولي ذلك، وان لم يبق بعد سد النوائب " [٢٢] .

ولما نزلت آية ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ** ﴾ أعطى رسول

الله ﷺ سهم ذي القربى بني هاشم، وبني المطلب فدلّ ذلك على أن الذين حرم الله عليهم الصدقة، وعوضهم الخمس، والذين اعطاهم رسول الله ﷺ الخمس هم آل محمد الذين امرنا بالصلاة عليهم معهُ (٢٣).

واجتمع ربيعة بن الحارث، والعباس بن عبد المطلب فقالا: لو بعثنا هذين الغلامين أي عبد المطلب بن ربيعة، والفضل بن العباس الى رسول الله ﷺ، فيُكلماهُ فيأمرهما على هذه الصدقات، فيصيبا، مما يُصيب الناس، فبينما هما في ذلك حتى جاء علي بن ابي طالب عليه السلام، فكلماه في ذلك، فقال عليه السلام: لا تفعلا فو الله أن رسول الله ﷺ ليس بفاعل ذلك، فقال له ربيعة بن الحارث: والله ما دفعك الى ذلك الا حسدًا منك علينا، فو الله لقد صاهرتَ رسول الله ﷺ فما حسدناك عليه، فقال علي عليه السلام: ارسلوهما اليه، فلما جاءا رسول الله ﷺ قالا له: يا رسول الله انت ابر الناس، واوصل الناس، وقد بلغنا النكاح، فجئنا لتأمرنا على بعض هذه الصدقات، فنؤدي اليك كما يؤدي الناس، ونصيب كما يصيبون، فقال ﷺ: " ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد انما هي اوساخ الناس" (٢٤).

كما روي عن الامام الحسن عليه السلام انهُ قال: " اخذ رسول الله ﷺ بيدي، فمشيتُ معهُ، فمررنا بتمر مصبوب من تمر الصدقة وانا يومئذ غلام، فتناولت تمرة، فجعلتها في فيه، فجاء رسول الله ﷺ، وادخل اصبعهُ في فيه، فأخرجها بلعابها، فرمى بها في التمر، ثم قال: إنّا اهل بيت لاتحل لنا الصدقة" (٢٥).

"وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انهُ سئل عن قوله تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ** ﴾، فقال :أما خُمس الله، فهو للرسول يضعهُ في سبيل الله، وخمس الرسول، فلأقاربه، وخمس ذي القربى فهم أقرباؤه، وأما اليتامى يتامى أهل بيته، فجعل هذه الأربعة أسهم فيهم، وأما المساكين، وأبناء السبيل فقد عرفتم إنا لاناكل الصدقة، ولا تحل لنا فهي للمساكين، وأبناء السبيل" (٢٦).

ويقول القاضي ابو يوسف في كتابهِ الخراج [٢٧]: "أن ما أصاب المسلمون من عساكر أهل الشرك، وما اجلبوا بهِ من المتاع، والسلاح، والكراع، وغير ذلك، وكذلك كل ما أصيب من المعادن من الذهب، والفضة، والنحاس، والحديد، فان في ذلك الخُمس في ارض العرب كان أو في ارض العجم، وفيما يستخرج من البحر من حلية، وعنبر، فالخمس يوضع في مواضع الغنائم على ما قال الله عز وجل :﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية إذا عطب الرجل في قليب جعلوا القليب عقلهُ، واذا قتلتهُ دابة جعلوها عقلهُ، واذا قتلهُ معدن جعلوهُ، عقلهُ، فسال سائل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: العجماء جبار، والمعدن جبار، والبئر جبار، وفي الركاز الخمس، فقيل لهُ: ما الركاز يا رسول الله؟ فقال: الذهب، والفضة الذي خلقهُ الله في الأرض يوم خلقت".

فكان ﷺ ياخذ خُمس الركاز، " فعن انس بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فدخل صاحب لنا خربة يقضي حاجتهُ، فتناول لبنة ليستطيب بها، فانهارت عليه تبرا، فأخذها، فأتى بها رسول الله ﷺ، فاخبرهُ بذلك، فقال له: زنها، فوزنها فقال النبي: هذا ركاز، وفيه الخمس" [٢٨].

ووجد رجل يومئذ في خربة مائتي درهم، فأخذ منها رسول الله ﷺ ودفعها اليه [٢٩]، وبعث رسول الله عليا عليه السلام عاملا على اليمن، فأتى بركاز، فاخذ منهُ الخمس، ودفع بقيته إلى صاحبه، فبلغ ذلك النبي فأعجبهُ [٣٠]، واحتفر بني الحي في دار بني كلاب، فأصابوا بها كنزا، فقالت كلاب: دارنا، وقال الحي: احتفرنا فوجدناهُ، فتخاصموا في ذلك إلى رسول الله ﷺ فقضى به لحي، واخذ منهم الخُمس، فأشتروا بنصيبهم من ذلك مائة من النعم [٣١].

المبحث الثاني: اموال الأنفال والفيء:

النفل : الغنيمة، والجمع : أنفال، ونفلت فلانا : اي أعطيته نفلا، وغنما، والإمام ينفل الجند، إذا جعل لهم ما غنموا، والنافلة : العطية يعطيها تطوعا بعد الفريضة من صدقة أو صلاح أو عمل خير [٣٢]، وقال لبيد بن ربيعة:

أن تقوى ربنا خير نفـــل وبـأذن الله ريثـي والعجلُ

وتقول: منه نفلتك تنفيلا، أي أعطيتك نفلا[٣٣]، وقال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لله وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [٣٤]، واختلف أهل التفسير في معنى الأنفال التي ذكرها الله تعالى في هذا الموضع، فقال: بعضهم هي الغنائم التي غنمها، فقالوا: معنى الكلام يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمتها أنت، وأصحابك يوم بدر لمن هي، فقل: هي لله ولرسوله [٣٥] .

كما واختلف المفسرون في سبب نزولها، فقال قوم : نزلت في غنائم بدر، لان النبي ﷺ كان نفل أقواما على بلاء، فأبلى أقوام، وتخلف آخرون مع النبي ﷺ، فلما انقضى الحرب اختلفوا، فقال قوم : نحن أخذنا، لأننا قاتلنا، وقال آخرون: نحن أحطنا بالنبي ﷺ، ولو أردنا لاخذنا، وقال آخرون : نحن كُنا وراءكم نحفظكم، فأنزل الله هذه الآية يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله ﷺ ماض، وجائز، وقال قوم : نزلت في بعض أصحاب النبي ﷺ عندما سأل النبي ﷺ من المغنم شيئا قبل قسمتها، فلم يعطهِ إياهاُ لأنهُ كان مشتركًا بين الجيش، فجعل الله جميع ذلك للنبي ﷺ، وروي ذلك عن سعد ابن أبي وقاص، حيث قال : وكان سيف سعد بن العاص يسمى ذا الكثيفة، فأصبناهُ، فأتيت النبي ﷺ فسألتهُ السيف، فقال : ليس هذا لي، ولا لك، فوليت عنهُ، ثم قال: فإذا رسول الله ﷺ خلفي، فقال: إن السيف قد صار لي، فأعطانيه [٣٦]، وقال بعض المؤرخين[٣٧]، لقد نزلت هذه الآية في أصحاب بدر، حين اختلفوا في النفل، وساءت أخلاقهم، فنزعهُ الله من

أيديهم، وجعلهُ في رسول الله ﷺ، فقسمه بين المسلمين على السواء.

إذ قال رسول الله ﷺ: يوم بدر من فعل كذا، وكذا، فله من النفل كذا، قال: فتقدم الفتيان، ولزم المشيخة، فلم يبرحوها، فلما فتح الله عليهم قال المشيخة: كنا ردءًا لكم ، فلا تذهبوا بالمغنم، ونبقى، فأبى الفتيان، وقالوا: جعلهُ رسول ﷺ لنا، فانزل الله ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لله وَالرَّسُولِ ﴾ [٣٨] .

فالأنفال كانت لرسول الله خالصة في حياته، وهي لمن قام مقامهِ بعده في أمور المسلمين، وهي تشمل ايضا كل أرض خربة قد باد أهلها عنها، وكل ارض لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب أو يسلمونها هم بغير قتال، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، والآجام، والارضون الموات التي لا ارباب لها، وصوافي الملوك، وقطائعهم مما كان في أيديهم من غير وجه الغصب، وميراث من لا وارث له"، فهذه كلها من الانفال [٣٩] .

ولقد وردت عدد من الاحاديث الشريفة عن اهل البيت عليهم السلام بخصوص الانفال، فعن ابي عبد الله عليه السلام قال: "الانفال كل قرية يهلك اهلها او يجلون عنها، فهي نفل لله عز وجل نصفها يقسم بين الناس، ونصفها لرسول الله ﷺ، فما كان لرسول الله فهو للامام عليه السلام"، وقال: "الانفال كل ارض خربة او شيء كان للملوك، فهو خالص للامام، وليس للناس فيها سهم "، وقال: "ومنها البحرين لم يوجف عليها بخيل ولاركاب " [٤٠] . وعنه عليه السلام ايضا إو قال: "نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال، ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم "[٤١] .

وقوله عليه السلام في الغنيمة: "يخرج منها الخُمس، ويقسم ما بقي بين من قاتل عليه وولي ذلك، فأما الفيء، والانفال، فهو خالص لرسول الله ﷺ "[٤٢]، وقال رسول الله ﷺ: "من ترك مالا، فلورثتهِ، وانا وارث من لاوارث لها عقل لهُ وارثهُ "[٤٣] .

والأنفال كذلك ما اخذ مما سقط من المتاع بعد ما تُقسم الغنائم، فهي نفل لله، والرسول، وقال آخرون: النفل الخُمس الذي جعله الله لأهل الخُمس

(٤٤)، ولقد تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار في يوم بدر(٤٥).

وأما الفيء فهو الغنيمة ايضًا، والفعل منهُ أفاء (٤٦)، والفيء : الخراج والغنيمة، واستفأت هذا المال أي أخذتهُ فيئا (٤٧)، وقيل: ان الغنيمة ما أخذ عنوة، والفيء: ما كان عن صلح كما قيل في الغنيمة : ما أصاب المسلمون عنوة بقتال ففيه الخمس، وأربعة أخماسه لمن شهدها، والفيء : ما صولحوا عليه بغير قتال، وليس فيه خُمس، هو لمن سمى الله، وقال آخرون: الغنيمة والفيء بمعنى واحد (٤٨)، فقال عز وجل: ﴿**مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيل كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (٤٩).

ولذلك فأن مال الفيء في هذه الاية غير مال الغنيمة، فالغنيمة كل ما أُخذ من دار الحرب بالسيف عنوة مما يمكن نقلهُ إلى دار الاسلام، وما لا يمكن نقلهُ إلى دار الاسلام، فهو لجميع المسلمين ينظر فيه الامام، ويصرف انتفاعهُ إلى بيت المال لمصالح المسلمين، والفيء كل ما اخذ من الكفار بغير قتال أو انجلا عنها أهلها، وكان ذلك للنبي ﷺ خاصة، وهو لمن قام مقامه من الأئمة الراشدين المعصومين عليهم السلام، ولقد نزلت هذه الاية في مال بني النضير فكان للنبي خاصة، وقد بينه الله بقولهِ : وما أفاء الله، يعني ما ارجعهُ الله وردهُ على رسوله منهم يعني من بني النضير، ثم بين، فقال: فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب، أي لم توجفوا على ذلك بخيل، ولا ركاب، ثم قال مبينا من استحق ذلك، فقال: ما أفاء الله على رسولهِ من أهل القرى، يعني بني النضير، فلله، وللرسول ولذي القربى يعني أهل بيت رسول الله عليهم السلام، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، من أهل بيت رسول الله ﷺ ايضا، ثم بين لم فعل ذلك، فقال: كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم، ثم قال : وما أتاكم الرسول فخذوه، أي ما أعطاكم رسوله من الفيء، فخذوهُ،

وارضوا به، وما أمركم به فأفعلوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، عنه فإنهُ، لا يأمر، ولا ينهى إلا عن أمر الله ثم قال: واتقوا الله، في ترك معاصيهُ، وفعل طاعاتهِ، وقال: إن الله شديد العقاب، يعني لمن عصاهُ بعد ذلك، وترك أوامرهُ[٥٠].

وكانت اموال بني النضير من اموال الفيء حيث قبض رسول الله ﷺ اموال بني النضير، والحلقة، فوجد خمسين درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاَ، فقال لهُ عمر بن الخطاب : ألا تُخمس ما أصبت؟ فقال له ﷺ: لا اجعل شيئا جعله الله لي دون المؤمنين بقوله تعالى :﴿ **مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ ، فكانت صدقاتهُ منها[٥١].

كذلك كانت فدك من اموال الفيء وهي خالصة لرسول الله ﷺ، لان المسلمين لم يجلبوا عليها بخيل، ولا ركاب[٥٢]، وفي تفسير الثعلبي قوله تعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾، فقال: هي قريظة، والنضير، وهما بالمدينة، وفدك، وهي من المدينة على ثلاثة أميال، وخيبر، وقرى عرينة، وينبع، وجعلها الله تعالى لرسوله يحكم فيها ما أراد[٥٣]، وقيل: إن الله عز وجل لما أنزل على رسوله ﷺ قوله:﴿ **وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّه** ﴾[٥٤] دعا فاطمةعليها السلام، فأعطاها فدكا[٥٥] .

ولقد جعل الله تبارك وتعالى الدنيا كلها بأسرها لخليفته، إذ يقول للملائكة: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[٥٦]، فكانت الدنيا بأسرها لآدم، وصارت بعدهُ لأبرار ولدهِ وخلفائهِ، فما غلب عليه اعداؤهم ثم رجع اليهم بحرب او غلبة سُمي فيئا، وهو ان يفيء اليهم بغلبة، وحرب، وكان حكمهُ فيه ما قال الله تعالى:﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ** ﴾[٥٧]، فهو لله وللرسول،

ولقرابة الرسول، فهذا هو الفيء الراجع، وانما يكون الراجع ما كان في يد غيرهم، فأخذ منهم بالسيف، واما ما رجع اليهم من غير ان يوجف عليه بخيل، ولا ركاب، فهو الانفال هو لله، وللرسول خاصة، وليس لأحد فيه شركة، وانما جعل الشركة في شيء قوتل عليه، فجعل لمن قاتل من الغنائم اربعة اسهم، وللرسول سهم والذي للرسول يقسمهُ على ستة اسهم ثلاثة لهُ، وثلاثة لليتامى والمساكين وابن السبيل، واما الانفال فليس هذه سبيلها كان للرسول خاصة، وكانت فدك لرسول الله ﷺ خاصة لأنهُ فتحها، وامير المؤمنين عليه السلام لم يكن معهما احد، فزال عنها اسم الفيء، ولزمها اسم الانفال، وكذلك الآجام، والمعادن، والبحار[٥٨].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام يقول: " نحنُ والله الذين عنى الله بذي القربى، الذين قرنهم الله بنفسه، ونبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿ **مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾ منا خاصة ولم يجعل لنا سهما في الصدقة، أكرم الله نبيه، وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس "[٥٩].

فالفيء للامام خاصة يفرقهُ، فيمن شاء بعضهُ في مؤنة نفسهِ، وذوي قرابتهِ، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل من أهل بيت رسول الله ﷺ ليس لسائر الناس فيه شيء[٦٠].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنهُ قال: " ان الانفال ما كان من ارض خربة او بطون اودية فهذا كلهُ من الفيء، والانفال لله وللرسول، فما كان لله، فهو للرسول يضعهُ حيث احب "، وقال عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ الله يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾، ذلك الفيء، ما كان من اموال لم يكن فيها هراقة دم او قتل، والانفال مثل ذلك هو بمنزلتهِ "[٦١].

النتائج:

لقد خص الله عز وجل رسول الله ﷺ واهل بيته عليهم السلام ببعض الاموال تكريما لهم وتنزيها عن مسألة الناس ولا سيما الاموال التي حصل عليها المسلمون اثناء حروبهم مع المشركين او اليهود في المدينة، وجاء هذا التكريم من الله عز وجل عبر العديد من الايات القرانية التي نزلت في ذلك ومن هذه الايات :

١ – اية الخمس وهي قوله تعالى :﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِالله وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ فقد اكدت هذه الاية الشريفة على حق رسول الله ﷺ واهل بيته عليهم السلام في خمس الاموال التي يحصل عليها المسلمون من كل مغنم، فكان رسول الله ياخذ الخمس من الغنيمة ويقسم الباقي على المسلمين، ولقد اكدت مجموعة من الاحاديث الشريفة والواردة عنهم عليهم السلام على اثبات حقهم من الخمس كقوله ﷺ: "يا علي أن عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن أجراها الله عز وجل في الإسلام، منها انهُ وجد كنزا، فاخرج منهُ الخُمس، وتصدق بهِ، فأنزل الله عز وجل واعلموا إنما غنمتم "، وقوله ﷺ، انهُ قال: "أعطيتُ أربعا لم يعطهن احد كان قبلنا، وسالت ربي في الخامسة، فاعطانياها الى ان قال: واحل لنا الخمس، ولم يحل لأحد كان قبلنا ، وكذلك ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انهُ سئل عن قوله تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ** ﴾، فقال :أما خُمس الله، فهو للرسول يضعهُ في سبيل الله، وخمس الرسول، فلأقاربه، وخمس ذي القربى فهم أقرباؤه، وأما اليتامى يتامى أهل بيته، فجعل هذه الأربعة أسهم فيهم، وأما المساكين، وأبناء السبيل فقد عرفتم إنا لاناكل الصدقة، ولا تحل لنا فهي للمساكين، وأبناء السبيل .

٢- الاية الثانية قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لله وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين** ﴾، فكان رسول الله يتنفل من الغنيمة قبل الخمس حتى انه تنفل سيف ذو الفقار يوم بدر قبل الخمس، فالأنفال كانت لرسول الله خالصة في حياته، وهي لمن قام مقامهِ بعده في أمور المسلمين وهم اهل بيته عليهم السلام، وهي تشمل ايضا كل ارض خربة قد باد أهلها عنها، وكل ارض لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب أو يسلمونها هم بغير قتال، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، والآجام، والارضون الموات التي لا ارباب لها، وصوافي الملوك، وقطائعهم مما كان في أيديهم من غير وجه الغصب، وميراث من لا وارث له"، فهذه كلها من الانفال، ولقد وردت العديد من الاحاديث الشريفة عنهم عليهم السلام في ذلك فعن ابي عبد الله عليه السلام قال: "الانفال كل قرية يهلك اهلها او يجلون عنها، فهي نفل لله عز وجل نصفها يقسم بين الناس، ونصفها لرسول الله صلى الله عليه وآله، فما كان لرسول الله فهو للامام عليه السلام"، وقال: "الانفال كل ارض خربة او شيء كان للملوك، فهو خالص للامام، وليس للناس فيها سهم "، وقال: "ومنها البحرين لم يوجف عليها بخيل ولاركاب ". وعنه عليه السلام ايضا حيث قال: "نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال، ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم".

٣- الاية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿ **ما أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيل** ﴾ فمال الفئ في هذه الاية غير مال الغنيمة، فالغنيمة كل ما أُخذ من دار الحرب بالسيف عنوة مما يمكن نقلهُ إلى دار الاسلام، وما لا يمكن نقلهُ إلى دار الاسلام، فهو لجميع المسلمين ينظر فيه الامام، ويصرف انتفاعهُ إلى بيت المال لمصالح المسلمين، اما الفئ فهو كل ما اخذ من الكفار بغير قتال أو انجلى عنها أهلها، أي لم يوجفوا عليها بخيل، ولا ركاب وكان ذلك للنبي صلى الله عليه وآله خاصة، وهو لمن قام مقامه من

الأئمة الراشدين المعصومين عليهم السلام، ولقد نزلت هذه الاية في مال بني النضير فكان للنبي خاصة، وكذلك نزلت في اراضي فدك فكانت من اموال الفيء ايضا وهي خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، لان المسلمين لم يجلبوا عليها بخيل، ولا ركاب، وقيل: أن الله عز وجل لما انزل على رسوله صلى الله عليه وآله قوله: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّه**﴾ دعا فاطمة عليها السلام، فأعطاها فدكا كذلك وردت العديد من الاحاديث الشريفة عن المعصومين عليهم السلام في الفيء ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : " نحنُ والله الذين عنى الله بذي القربى، الذين قرنهم الله بنفسه، ونبيه صلى الله عليه وآله، فقال تعالى : ﴿**مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلله وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ منا خاصة ولم يجعل لنا سهما في الصدقة، أكرم الله نبيه، وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس .

هوامش البحث :

١- النشيطة والفضول : هي إبل يسيرة ينشطها الجيش أو بعضهم فلا تسع القسمة فيجعلونها للرئيس، ينظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد، (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ايران، ٩ , ١٤ هـ ، ج٦، ص٢٣٨ .

٢- كان عبدالله بن جحش ممن هاجر الى ارض الحبشة مع اخويه ابي احمد وعبيد الله ابن جحش ثم هاجر الى المدينة وشهد بدرا واستشهد يوم احد يعرف بالمجدع في الله لأنهُ مُثل به يوم احد وقطع انفه هذا وان رسول الله ﷺ خطب يوما فقال: لبعثنّ عليكم رجلا ليس بخيركم ولكنه اصبركم للجوع والعطش فبعث عبدالله بن جحش، فكان اول لواء عقده رسول الله ﷺ عقده لعبدالله بن جحش، ينظر: ابن عبد البر، ابي عمر يوسف بن عبدالله، (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح:علي محمد البجاوي، ط١، دارالجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج٣، ص٨٧٨ .

٣- نخلة : موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخل وكروم، وهي المرحلة الأولى للصادر عن مكة، ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين الحموي ابي عبدالله، (ت ٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ج٥، ص٢٧٧ .

٤- الواقدي، محمد بن عمر، (ت٢٧٠هـ)، المغازي، تح:مارسدن جونس، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م، ج ١، ص١٣ .

٥- الانفال:١ .

٦- الانفال: ٤١ .

٧- الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن، (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القران، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥م، ج٤، ص٤٢٦ .

٨- الواقدي، المغازي، ج١، ص٩٩ .

٩- الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي، (ت٣٨١هـ)، الخصال، تح: علي اكبر غفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ٣, ١٤هـ ٣١٢ .

١٠- الهيثمي، علي بن أبي بكر، (ت٨٠٧هـ)، موارد الضمان إلى زوائد ابن حبان، تح:حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، ط١، دمشق، ١٩٩٢م، ج٧، ص٢٨ .

١١- ابن إسحاق، محمد بن يسارالمطلبي، (ت ١٥١هـ)، السيرة النبوية، تح: احمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ج١، ص٤ , ٣ .

١٢- البلاذري، احمد بن يحيى، (ت ٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تح:محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، ج١، ص٥١٤ .

١٣- ابن هشام الحميري، محمد بن عبد الملك(ت٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تح:محمد محيي

الدين عبد الحميد، المدني، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٤، ص٩٢٨ .
١٤- احمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ)، مسند احمد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٢، ص٢١٣ .
١٥- ابن قدامة، ابي محمد عبدالله بن احمد، (ت٦٢٠هـ)، المغني، دارالكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ج١.، ص٥٥٧.
١٦- البيهقي، احمد بن الحسين، (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، دارالفكر، بيروت، (د.ت)، ج٦، ص٢٩٣ .
١٧- القاضي المغربي، ابي حنيفة النعمان بن محمد، (ت٣٦٣هـ)، دعائم الاسلام، تح:آصف بن علي اصغر فيضي، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦.م، ج١، ص٣٨٧ .
١٨- الطبراني، سليمان بن احمد، (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد، ط٢، القاهرة، ١٩٨٤م، ج١٢، ص٩٧.
١٩- البلاذري، احمد بن يحيى، (ت ٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تح:محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، ج١، ص٥١٥ .
٢٠- الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، (ت٤٦٠هـ) تهذيب الأحكام، تح:حسن الموسوي، ط٤، دارالكتب الاسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ، ج٤، ص١٢٨ .
٢١- الكليني، ابي جعفر محمد بن يعقوب، (ت٣٢٩هـ)، الكافي، تح:علي اكبر غفاري، ط٣، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٦٧هـ، ج٥، ص٤٤ .
٢٢- الحرالعاملي، محمد بن الحسن، (ت ١١٠٤هـ) وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة، تح ونشر:مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ، ج٩، ص٥٢٤ .
٢٣- البيهقي، احمد بن الحسين، (ت٤٥٨هـ)، معرفة السنن والاثار، تح:سيد كسروي حسن، دارالكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج٢، ص ٤٤٠.
٢٤- الواقدي، المغازي، ج٢، ص٦٩٦ .
٢٥- القاضي المغربي، ابي حنيفة النعمان بن محمد، (ت٣٦٣هـ)، دعائم الاسلام، تح:آصف بن علي اصغر فيضي، ط٢، دارالمعارف، مصر، ١٩٦.م، ج١، ص٢٥٩ .
٢٦- الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ) من لايحضره الفقيه، تح:علي اكبر غفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، قم، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص٤٢ .
٢٧- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم، (ت١٨٢هـ)، الخراج، ط٢، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ص٢٢ .

٢٨- الجرجاني، عبد الله بن عدي، (ت٣٦٥هـ)، الكامل، تح: يحيى مختارغزاوي، ط٣، دارالفكر، بيروت، ١٩٨٩م، ج٤، ص ٢٧٣ .
٢٩- الواقدي، المغازي، ج٢، ص٦٨٢ .
٣٠- السرخسي، شمس الدين ابوبكر محمد، (ت٤٨٣هـ)، المبسوط، دارالمعرفة، بيروت، ١٩٨٦م، ج١٥، ص٤ .
٣١- العيني، ابو محمد محمود بن احمد، (ت٨٥٥هـ)، عمدة القاريء، داراحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ج ٩، ص٢ , ١ .
٣٢- الفراهيدي، العين، ج٨، ص٣٢٥ .
٣٣- الجوهري، اسماعيل بن حماد، (ت٣٩٣هـ) الصحاح، تح: احمد عبد الغفورالعطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج٥، ص١٨٣٣ .
٣٤- الانفال:١ .
٣٥- الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القران، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥م، ج٩، ص ٢٢٤ .
٣٦- الطوسي، احمد بن الحسن، (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تح: احمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٩ , ١٤٠هـ، ج٥، ص٧٣ .
٣٧- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٤٦٩ .
٣٨- السجستاني، أبي داود بن الأشعث، (ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تح :سعيد محمداللحام، دار الفكرللطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص٦٢٢ .
٣٩- الصفار، محمد بن الحسن الصفار، (ت٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات الكبرى، تح: ميرزاحسن(كوجي باغي)، مؤسسة الاعلمي، طهران، ٤ , ١٤٠هـ، ص٢٢٤ .
٤٠- الطوسي، تهذيب الاحكام، ج٤، ص١٣٤ .
٤١- القاضي المغربي، ابي حنيفة النعمان بن محمد، (ت٣٦٣هـ)، شرح الاخبارفي فضائل الائمة الاطهار، تح:محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، (د .ت)، ج٣، ص٥١٧
٤٢- الطوسي، تهذيب الاحكام، ج٤، ص١٣٢ .
٤٣- السجستاني، أبي داود سليمان بن الأشعث، (ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تح :سعيد محمد اللحام، دار الفكرللطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص٦ .
٤٤- الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ) جامع البيان في تفسير القران، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥م، ج٩، ص٢٢٦ .
٤٥- ابن سعد، محمد بن منيع، (ت٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، تح علي محمد عمر، ط١،

مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م .، ج٢، ص٢٦
٤٦- الفراهيدي، العين، ج٨، ص٧, ٤ .
٤٧- الجوهري، الصحاح، ج١، ص٦٣ .
٤٨- الطبري، جامع البيان، ج١٠، ص٣ .
٤٩- الحشر: ٧ .
٥٠- الطوسي، التبيان، ج٩، ص٥٦٣ .
٥١- الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٧٧ .
٥٢- المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين، (ت٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف، دار صعب، بيروت، (د.ت)، ص٢٢٥
٥٣- الثعلبي، ابو اسحاق احمد بن محمد، (ت٤٢٧هـ)، الكشف والبيان في تفسير القرآن(تفسير الثعلبي)، تح:ابي محمد بن عاشور، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٩، ص٢٧٢.
٥٤- سورة: الإسراء:آية :٢٦ .
٥٥- العياشي، محمد بن مسعود، (ت٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، تح: هاشم الرسولي، المكتبة العالمية الاسلامية، طهران، ١٣٨١هـ، ج٢، ص٢٧٨
٥٦- البقرة:٣. .
٥٧- الانفال: ١ .
٥٨- الفيض الكاشاني، محمد محسن، (ت١٠٩١هـ)، الوافي، تح: ضياء الدين الحسيني، ط١، افست نشاط اصفهان، اصفهان، ١٤٠٩هـ، ج١٠، ص٢٧٧ .
٥٩- الكافي، الكليني، ج١، ص٥٣٩
٦٠- الطوسي، التبيان، ج٥، ص١٢٣ .
٦١- الطوسي، تهذيب الاحكام، ج٤، ص١٣٢ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* احمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ)، مسند احمد، دار صادر، بيروت، (د.ت) .

* ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي، (ت ١٥١هـ)، السيرة النبوية، تح: احمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م .

* البلاذري، احمد بن يحيى، (ت ٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تح:محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م

* البيهقي، احمد بن الحسين، (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، دارالفكر، بيروت، (د.ت)،

* البيهقي، احمد بن الحسين، (ت٤٥٨هـ)، معرفة السنن والاثار، تح:سيد كسروي حسن، دارالكتب العلمية، بيروت، (د.ت) .

* الثعلبي، ابو اسحاق احمد بن محمد، (ت٤٢٧هـ)، الكشف والبيان في تفسير القرآن(تفسير الثعلبي)، تح:ابي محمد بن عاشور، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م

* الجرجاني، عبد الله بن عدي، (ت٣٦٥هـ)، الكامل، تح: يحيى مختارغزاوي، ط٣، دارالفكر، بيروت، ١٩٨٩م .

* الجوهري، اسماعيل بن حماد، (ت٣٩٣ هـ) الصحاح، تح: احمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

* - الحر العاملي، محمد بن الحسن، (ت ١١٠٤هـ) وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة، تح ونشر:مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ .

* السجستاني، أبي داود بن الأشعث، (ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تح :سعيد محمداللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٠م .

* السرخسي، شمس الدين ابوبكر محمد، (ت٤٨٣هـ)، المبسوط، دارالمعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.

* ابن سعد، محمد بن منيع، (ت٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، تح علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م.

* ١٤ - الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي، (ت٣٨١هـ)، الخصال، تح: علي اكبر غفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤٠٣هـ .

* الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ) من لايحضره الفقيه، تح:علي اكبر غفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، قم، ١٤٠٤هـ .

* الصفار، محمد بن الحسن الصفار، (ت٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات الكبرى، تح: ميرزاحسن (كوجي باغي)، مؤسسة الاعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ .

* الطبراني، سليمان بن احمد، (ت٣٦٠هـ)،

المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد، ط ٢، القاهرة، ١٩٨٤م .
* الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن، (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القران، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥م
* الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١.هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القران، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥م .
* - الطوسي، احمد بن الحسن، (ت٤٦. هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تح: احمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٩ , ١٤هـ .
* الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، (ت٤٦.هـ) تهذيب الأحكام، تح:حسن الموسوي، ط٤، دارالكتب الاسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ .
* ابن عبد البر، ابي عمر يوسف بن عبدالله، (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح:علي محمد البجاوي، ط١، دارالجيل، بيروت، ١٩٩٢م .
* العياشي، محمد بن مسعود، (ت٣٢. هـ)، تفسير العياشي، تح: هاشم الرسولي، المكتبة العالمية الاسلامية، طهران، ١٣٨١هـ
* ٢٤ العيني، ابو محمد محمود بن احمد، (ت٨٥٥هـ)، عمدة القاريء، داراحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت) .
* الفراهيدي، الخليل بن احمد، (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ايران، ٩, ١٤ هـ .
* الفيض الكاشاني، محمد محسن، (ت٩١ , ١هـ)، الوافي، تح: ضياء الدين الحسيني، ط١، افست نشاط اصفهان، اصفهان، ٩ , ١٤هـ .
* القاضي المغربي، ابي حنيفة النعمان بن محمد، (ت٣٦٣هـ)، دعائم الاسلام، تح: آصف بن علي اصغر فيضي، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦.م .
* القاضي المغربي، ابي حنيفة النعمان بن محمد، (ت٣٦٣هـ)، شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار، تح:محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، (د .ت)،
* ابن قدامة، ابي محمد عبدالله بن احمد، (ت٦٢.هـ)، المغني، دارالكتاب العربي، بيروت، (د.ت)
* الكليني، ابي جعفر محمد بن يعقوب، (ت٣٢٩هـ)، الكافي، تح:علي اكبر غفاري، ط٣، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٦٧هـ .
* المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين، (ت٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف، دار صعب، بيروت، (د.ت)،
* ابن هشام الحميري، محمد بن عبد الملك(ت٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تح:محمد محيي الدين عبد الحميد، المدني،

القاهـرة، ١٩٦٣م.
* الهيثمي، علي بن أبي بكر، (ت٧, ٨هـ)، موارد الضمان إلى زوائد ابن حبان، تح:حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، ط١، دمشق، ١٩٩٢م .
* الواقدي، محمد بن عمر، (ت٢٧.هـ)، المغازي، تح:مارسدن جونس، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م .
* ياقوت الحموي، شهاب الدين الحموي ابي عبدالله، (ت ٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م .
* ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم، (ت١٨٢هـ)، الخراج، ط٢، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٢هـ .